بسم الله الرحمن الرحيم

سياحة في تصوف حضرموت

تأليف

أكرم مبارك عصبان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه.. وبعد:

فإن الفكر الصوفي في حضرموت ينتظم في سلك الطرق الصوفية المتناثرة في العالم الإسلامي، ويصب مجراه في وادي الفكر الصوفي، بل ويعد أحد روافده الهامة، وهولا يخرج عن التصوف في الخطوط العريضة، وإنما اختط لنفسه طريقة للوصول إلى الغاية التي تلتقي عندها خطوط الطرق الأخرى، حيث يترتب أسبقية الوصول إلى الغاية على نوع المراتب والمقامات والأحوال التي يسلكها الشيوخ، ويوصلون مريديهم عبرها.

ومن يدرس الفكر الصوفي يلاحظ غيبة المدرسة الحضرمية في دواوين الفكر الصوفي العام، حيث لم يول ا عناية بالذكر فضلا عن الدراسة، مع أن ساحتها قد حوت كل مفردات التصوف، فأردنا ذه الدراسة السياحة في ميدان التصوف الحضرمي خاصة، وذلك بعد استكمال العدة من اقتناء مصادر الفكر ذاته، والرجوع إلى الخطوط العريضة للفكر الصوفي فإ ا أصل ترد إليه فروع التصوف الحضرمي.

- ولابد في **المقدمة من بعض التنبيهات:**

أولاً: ليس من غرض هذه السياحة التعرض لمشاهير المتصوفة بالذكر، بقدر ما تنصب على دراسة الظاهرة وما حوته من معالم، وإبراز هذه المعالم على حقيقتها وقد تم التركيز على كتب التراجم والسير - وهي ضرورة للولوج إلى الطريقة، والضرورة إنما تقدر بقدرها - لإعادة التوازن لهذه الطريقة حين أراد بعض من يتحدث عنها حذف الشق العلمي الفلسفي منها، وحصرها في الشق العملي السلوكي فجردها حينئذ من الوصول عن الغاية المنشودة.

ثانياً: مادة هذه السياحة عبارة عن نقولات منتزعة من مصادر الطريقة نفسها، أورد ا لاعتقاد ناقليها بصحتها، مع علمي بصدق ما ذكره حسين عبد الرحمن الأهدل (ت:٨٥٥هـ) في تحفة الزمن من التوقف في بعض ما يذكر من أحوال المتصوفة لأن عاد م التساهل قال:(وكذا ينبغي التوقف في أكثر مجموعات المتصوفة وحكايا م، خصوصا أهل اليمن منهم، فإ م يوردون ما لا يعلمون صحته وفساده، فاعلم ذلك والله أعلم)[1]

قلت: ومتصوفة حضرموت داخلون لهم حظ من هذا الخصوص لمن تأمل أمهات المراجع، كالجوهر والمشرع، والعقد النبوي وغيرها، وعليه فما كان قبل الإمام العيدروس (ت:٨٦٥هـ) فللتوقف فيه مجال وأي مجال، لأنه يعد أول من صنف في الطريقة كما قال باسودان في ذخيرة المعاد: (إن الشيخ عبدالله العيدروس كان مظهرا من مظاهر آل باعلوي، وهو أول من صنف في طريقهم والشيخ عبدالله الحداد (ت:١١٣٢هـ)

(١) تحفة الزمن لحسين عبد الرحمن الأهدل (٢/٤٠٠).

كالخاتم لتلك الطريقة)[1].

وقد قيل لم يكن الصوفية بحضرموت يهتمون بالتأليف في المراحل الأولى والسبب يعزى (لكو ا طريق تحقيق وأذواق وأسرار، فجنحوا للخمول والسر والإسرار، ولم يضعوا في ذلك تأليفا، ولم يصنفوا فيه تصنيفا، ومضت الطبقة الأولى إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي، فاتسعت الدائرة وبعد المزار، واتصل م القريب المنفصل ببعيد الدار، واحتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف)[2].

ثالثاً: ما ذكر عن تحقيق الأعمال والسلوك، ونشر الدعوة نشرا موسعا، وكان مدار الحديث على التواضع وموافقة العبادة واستشعار الخوف وكمال اليقين وحسن الأخلاق وإصلاح النيات وتطهير القلوب ومجانبة العيوب وغير ذلك من ا اهدات - إذا خلت من شائبة الغلو والابتداع - لا حاجة لنا بالوقوف أمامه طويلا، لكونه من دائرة الإسلام، ونسبته للهدي النبوي أولى من نسبته لطريقة معينة، ومن تأمل الكتب والرسائل والوصايا يجد اهتماما بالحث على التمسك بالكتاب والسنة كالنقولات في عقد اليواقيت وغيره[3] التي وصفت الطريقة الحضرمية بأ ا العلم والعمل والورع والخوف من الله والإخلاص، ولو كان حال الصوفية كذلك ولم يخلطوها بالرياضات المحدثة، أو يلوثوها بمصطلحات القطبية والغوثية والإنسان الكامل لالتزمنا جها، ولم جر إلا اسمها، ولكن هيهات، هيهات، فقد انتهوا با اهدات ذات الطابع العملي إلى الجمع والبقاء ذي ال عة الفلسفية ولم يقفوا عند الرياضة بالوصيد، بل كسروا الباب، ومضوا إلى متاهات نحو السراب.

والتصوف فعلا قد بدأ بالزهد والازورار عن الحياة حين أبدت زخرفها، ثم فسد حين أخذ من سوق الفلاسفة ذيب النفس عبر المقامات، وتغلظ الفساد بالخوض في الإنسان الكامل ومجارة الغلاة في إثبات م لة له فيها خصائص الربوبية، تحت مسمى الغوثية والقطبية، أوقعت الأتباع في عقائد فاسدة، وغالب المتأخرين اشترى من هذه البضاعة الكاسدة.

إذ أن مصطلح التصوف لم يقف عند حقيقة النشأة، بل ما فتئ يتطور وينمو حتى استقر على صيغة ائية ينصرف إليها الاسم عند الإطلاق، ومن يحصرها على المعنى السلوكي من ترقيق القلوب، وتزكية النفوس، فإنه يقطع سير الصوفية إلى الغاية التي اتجهوا نحوها من حيث أراد ت يههم، ولم يراع لهم حقوقا، ومن البر ما يكون عقوقا.

رابعاً: إن المشكلة ليست في جوانب سلوكية وإن كانت ملوثة بالتواجد والسماع، والخنوع للشيوخ، والتنقيب في أشياء كالجوع والسهر والخلوة لم ينقب فيها السابقون، ولكن الحديث إنما هو عن الرياضة التي

---

(١) ذخيرة المعاد (ص:٢٤٤) وانظر غاية القصد والمراد (ص:١٠٠).

(٢) ظهور الحقائق (٤٨) وقال الحداد في هذا المعنى كما في التائية من الديوان فعن عيدروس السر بعد عفيفه إلى الشيخ قطب العارفين الأئمـ ـةعلي بن أبي بكر الإمام ملاذنا وعمدتنا في نقل علم الحقيقةوقد صرح ابن عبيدالله السقاف في إدام القوت بقوله: لم يكثر التأليف في العلويين إلا بعد ظهور السادة آل العيدروس (٤٩٨/١).

(٣) والعقود اللؤلؤية لمحمد بن حسين الحبشي وتبصرة الولي لأحمد بن زين الحبشي وغيرهما.

قادت للشطح ثم ال ول إلى البقاء، ولا يفيد شيئا بعد ذلك النسبة لأعلام من السلف اتصفوا بالزهد، فتلك شنشنة معروفة عن كثير من الرافضة من نسبة بعض سلف آل البيت إلى نحلتهم، وبالمقابل ينبغي أيضا عدم نسبة غلاة الصوفية إلى من خاض في الزهد أو الفناء في الشهود كالقسم الثالث الذي أشار إليه شيخ الإسلام بقوله: (ابن عربي وأتباعه وإن ادعوا أ م من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل الكلام فضلا وأن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبدالله التستري وأمثالهم..)[1].

خامساً: إن مناقشة الفكر لا تلزم تضليل الأفراد والحكم عليهم بفساد المعتقد لأن العبرة بالخواتيم وعلم ذلك إلى الله وحده، ولا يليق الانتقاص من أحد من الأفراد، وإنما المراد معرفة القضايا الفلسفية التي جرها حسن الظن بابن عربي وأمثاله وقراءة كتبه المشحونة بالطوام، حين أسروها بضاعة، وتأثروا بمفردا ا فانعكس هذا التأثر على الواقع، كما لا يتوهم الناظر في السياحة أ ا من دائر ة تتبع الزلات، أو من جنس التقاط العثرات، لأن تصنيفها في كتب القوم ضمن الفضائل والمناقب والكرامات، بل حتى الشطحات التي يتوارى بعضهم من روايتها، تعد أحيانا من باب التحدث بالنعمة الربانية، أو أن يظهر الشاطح للناس سر الوراثة المحمدية كما سيأتي في موضعه.

سادساً: إن سبيل العدل في التعامل مع مفردات الفكر الصوفي يقتضي أمرين أحدهما: توثيق النصوص من المصادر الأصيلة المعتمدة لديهم ذلك (أن توثيق الكلام المردود عليه من كتبهم ذا ا لا من الكتب التي ترد عليهم أو تحكي عنهم أو فيما يقال عنهم فهذه مصادر ثانوية...)[2] والأمر الثاني: أني لا أرد ماء التسويغات الممجوجة التي يقتفيها أهل المديح، وكذلك عدم تحميل الكلام محامل بعيدة ابتغاء التجريح، ولكني أسوق النقول من مظا ا ولا أدعها سائمة بل أعلق عليها بما يقتضيه المقام، كما أن العدل يلزم أيضا عدم التعميم لقضية معينة - بلغت حدا كبيرا في الغلو - على جميع من ينتمي لهذه المدرسة بل تكون على من نسبت إليه محصورة، وإن لم تصح النسبة تضل على من نقلها مقصورة.

سابعاً: إن عملي في هذه السياحة هو صياغة ما تفرق في شعاب الكتب والتراجم التي قذفتها لنا المكتبات - مطبوعة ومخطوطة - وأسفر النقاب عنها بعدما ظلت زمنا رهينة محبس شيوخ يضنون ا حيث يظنون عدم هضم ما حوته، وفي مرحلة السبق الدعوي أفرج عنها فكان لا بد من جمع ما تفرق في أوديتها وتوجيهه في إطار الفكر الصوفي العام وإبراز مدى التشابه الكبير بينه وبين تصوف حضرموت، ولا أكون بعد صياغة ما أطلعونا عليه في منأى عن لسان جاهل يطعن في محبتي لأولياء الله ومودتي لآل البيت، فأما الولاية التي حدها قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) فحاشا مسلم أن يكن

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

(٢) الرد على المخالف تأليف بكر أبي زيد قال (ولهذا دخل على ابن حزم رحمه الله الداخل من هذه الناحية لأنه في مقارعته للأشـاعرة في فاسـد مذهبهم تحريف نصوص من الأسماء والصفات افتقد لمسائل في كتبهم ذا ا فرد عليه بعض الأشاعرة بأن هذه ليس مذهبا لهم) ص ٥٩.

العداوة لأهلها فضلا أن يسطرها فيبوأ بحرب الله كما ثبت في الصحيح، وأما آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فالنصوص في فضلهم صريحة، والآثار في وجوب مود م صحيحة ومقررة في مظا ا من كتب الاعتقاد وعليه فمحبتهم معقودة في الجنان، وذكرهم بالثناء جار على اللسان.

ثامناً: ليست السياحة من تمزيق الصفوف في شيء لأ ا ليست بالحديث المرجم،وما زال كثير من آثار التصوف قائم على أصوله، حيث قاد الاسترسال في ذكر الكرامات والخوارق إلى الغلو في الذوات، وقد نقل باسودان في الذخيرة عن المزجاجي بعد ذكر الحديث القدسي (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر..) قوله: وقد ذهب العامة هذا المذهب في أولياء الله فإن مرضوا قالوا هذا صدر من فلان وإن شفوا قالوا هذا من بركة فلان فلما اعتقدوا ضرهم ونفعهم حلفوا م من دون الله فإن أجرى الله سبحانه الوادي قالوا شيء لله يا فلان وإن قبض عنهم المطر قالوا جمعه فلان والله سبحانه القابض الباسط المحيي المميت وكل شيء بيده من ملك وملكوت ولو ذهبنا نتكلم بما في الكتاب والسنة من التحذير عن ذلك لكاد أن يرى الناس قد هلكوا ولهذا تراهم أكثر أتباع الدجال فافهم هذه الجملة فإ ا نافعة)[1].

ثامناً: همسة في أذن كل مخدوع بمصطلحات الصوفية وألفاظها من غير غوص في حقائقها ومضامينها، وهو حال الكثير أقول له ارجع -يا رعاك الله- إلى النبع الأصيل والزم المهيع العتيق، ودع عنك بنيات الطريق، واصرف -هداك الله- جهدك ووقتك في الكتاب والسنة علما وعملا ودعوة ثم اصبر على ذلك كله. بدلا من الدعوة تحت طريقة معينة، والله الهادي إلى سواء السبيل، وأسأله أن يغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا يجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا إنه غفور رحيم.

- مظاهر تصوف مدرسة حضرموت المعاصر:

وقبل الخوض في ثنايا السياحة نفرد التنبيه التاسع المتمثل في مظاهر الصوفية المعاصرة بالحديث عن فكر عشش ثم باض وفرخ بحضرموت، وامتد إلى عصرنا وبرز في عدة مظاهر تتضح من خلال رموزه المعاصرة التي تقوم بالترويج له بأساليب مختلفة تتجه كلها نحو إبرازه ويمكن إجمالها في ما يلي من النقاط:

الأولى: التأكيد على الدعوة إلى مدرسة حضرموت التي لها مصادرها المشهورة، بل ويقال عن هذه المدرسة أ ا مخصصة لنصوص الكتاب والسنة العامة، وبيان ملها، كما نقل عمر بن محمد بن حفيظ في خلاصة المدد النبوي تصريح القائل بأن طريق السادة آل باعلوي: إتباع المنصوص على وجه مخصوص، و ذيب الأصول لتقريب الأصول، قال: فلهذا فائدة ونفع معلوم يزيد على ما يقتضيه إتباع الكتاب والسنة

(١) (ص:١٦٦) وليس أمر الغلو يرجع إلى زمان بعيد بل قد ورد في التعليقات على رحلة الأشواق القوية عند ذكر علـي بـن محمـد الحبـشي (ت:١٣٣٣هـ) بسيؤن الاعتراف ذه الحقيقة بـ(أن اعتقاد الورى فيه يفوق وصف الواصفين إلى مجازفة طوائف في معتقدا م إلى الحـدود المذمومة) (ص:١١) قلت: وينظر ما يفعل في الاحتفال بإلباس تابوته في شهر ربيع الأول سنة (١٤٢٦هـ).

على وجه العموم!!!(1) وقد أقر ابن حفيظ الطير في وكنا ا متبنيا هذا الطرح الغريب الذي يجسد فهم النصوص وفق السيرة العملية لهذه الطريقة والمعروف بداهة إنما يكون اتباع الكتاب والسنة على فهم الصحابة سلف الأمة، لا على تخصيص طريقة معينة.

والمتأمل يجد أن خبايا هذا الخصوص قد ورد في عادات تريم التي تضمنت زيارة أضرحة المقبورين، والاحتفال بإلباس التوابيت، وإقامة الموالد، وإقرار الحضرات أو مجالس السماع، وإقرار فضائل المساجد والمعابد بحضرموت، كل ذلك وغيره دبجه عمر بن محمد بن حفيظ في التقديم لعادات تريم بأ ا (عادات رجال الهدى القادات، الملحقة بالعبادات لقيامها على أسس العلم والمتابعات، والاقتداء دي سيد السادات، بتريم وحضرموت... فسررت ذا الجمع - مادة كتاب عادات تريم - ورجوت أن يكون مصدر نفع، وأن يكون له في قلوب الناشئة المتطلعين إلى تراتيب أئمتهم أحسن الوقع.. وكم تنوسي وأهمل من أعمال أسسها أكابر، ففقد خلفهم سواكب غيثها المتواتر، وفا م ما انطوى فيها من سر وخير في الباطن والظاهر)(2).

وقد أشار أيضا في بعض قصائده في المواجيد إلى أكابر مدرسة التصوف بحضرموت ممن حواهم واديه وضمتهم تربه كتربة بشار بتريم فيقول في الضوء اللامع شعرا:

والهناء يا أخوه لنا با يعود في **وادي** الخير **زين بأهل الشهود**
لي **حل فيه المهاجر نسل خير الجدود** **وحل فيه المقدم سيد أهل السجود**
وحل فيه الكرام العارفون الأسود **مثل ابن سالم** عظيم **الشأن حامي الحدود**
وأهل بشار هم أهل الوفاء بالعهود **كل من تعلق م طالعه سعد السعود**
ومن دخل في حماهم لم **يزل** في **صعود** وفي **مراتب عطا من** غير **حصر أو قيود**

الثانية: ما يطالعنا به أبرز المروجين للتصوف الحضرمي وهو زين العابدين علي الجفري في الإعلام بقنواته الفضائية والصحفية - الذي تطير عبارته في الآفاق ويتلقفها فئام من الناس بالقبول ممن لا يحسن النظر بالتصويب - من التبشير بقدوم التصوف وذلك في حديثه لجريدة الشرق الأوسط بقوله (التصوف قادم بوجهه الصحيح) وقد علل ذلك بقوله (لأن أهل التصوف الصادقين بعد أن أوذوا وحصل لهم ما حصل بدأوا الآن يستعيدون وجودهم...)(3).

---

(1) نقله عن عبد الرحمن بلفقيه في فاتحة خلاصة المدد النبوي وتتمة كلامه (وذلك علم الأحكام المشتمل والمتعلق بظاهر الأحكام أصل موضـوعه عام في عام شامل لما المقصود منه ربط النظام وتقييد الطغام وغيرهم من العوام ولا شك أن الناس مختلفون في الدين في كل مقام فلا بد من علم خاص لكل مخصوص وهو محل نظر الخواص).

(2) الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم تأليف حامد بن محمد بن شهاب مكتبة تريم الحديثة الطبعة الأولى (١٤٢٢ هـ).

(3) جريدة الشرق الأوسط جمادى أول (١٤٢٣ هـ) يوليو (٢٠٠٢م) وهي عبارة ذات دلالة وبعد عميقين ينبغي التيقظ لصدقها وحملها علـى الجد لأ ا صدرت ممن طاف في البلاد شرقا وغربا حتى صرح بقوله: (فلنا محاضرات في الجامعات الموجودة بدولة الإمـارات وفي الكويـت

قلت: وقوله الآن يراد به بعد ما هبت رياح عاتية بعد أحداث سبتمبر التي أتت على الخطاب الديني المقيد بأعنة الكتاب والسنة ونادت عليه بالتغيير والتعديل والتبديل فاغتنمها دعاة التصوف في إبراز مضامين مدرستهم، وانتعش أمر أصحاب الطرق لأن مراكزهم بقيت في منأى قوة هذه الهجمة.

وأما قيد الصحة الوارد في عبارته المذكورة فلا يفيد في البيان شيئا لاشتماله على الإجمال إذ يستطيع تفسيره عند المعارضين - أو المتوقفين في التصوف - على ما ينبذونه وفق تصورهم، كما يستطيع أن يحمله إذا خلا بمؤيديه على نبذ الحلول والاتحاد ولو كان واضحا لأبان لنا في تفصيل المراد ولكن التعميم صفة تكثر في أجوبته حتى فطن لها بعض محاوريه بقوله (إجابتك دبلوماسية)[١] وقد حدد الوجه الصحيح للتصوف في المنهج الذي يدعو به كما ورد في صحيفتي الأيام و(٢٦) سبتمبر اليمنيتين فقال في بيان الفرق بين دعوته ودعوة عمرو خالد: (المنهج الذي ندعو إليه له جذور تمتد ألف سنة...)[٢] قال (ودار المصطفى -بتريم- امتداد لهذا التاريخ..).

هكذا ذكر لنا طول المنهج على امتداد التاريخ، ولكن ما لونه ما ريحه ما المطعم؟ لا يستطيع القارئ أن يتعرف على شئ من ذلك إلا إذا كان على خلفية مسبقة بالطريقة الصوفية الحضرمية، ونحن لا نلمح شيئا من خطاب هذا المنهج المقرر في مصادر الطريقة عند المتقدمين منهم والمتأخرين ممن يعدهم ضمن شيوخه، وذلك لوحشة من يخاطبهم من الخطاب التقليدي، فأدخل عليه تعديلا حتى يتلآم مع العصر بقوله (التصوف بمعناه الراقي لا الهزلي).

هذا هو التعديل الجديد على المنهج وبه كاد أن ينقض قوله السابق المتمثل في الدعوة إلى منهج محدد فهو يرى كما في صحيفة السياسة الكويتية أن مصيبة الأمة ترجع إلى حب الدنيا وكراهية الموت والذي يعالج هاتين الخصلتين هو علم التصوف بمعناه الراقي وليس الهزلي الذي يمارسه البعض اليوم فالتصوف الراقي هو الذي يعتني بتطهير القلوب وصفائها ويخلصها من حب الدنيا وكراهية الموت ويربطها بالله عز وجل)[٣].

الثالثة: ما تفرزه دور النشر والتوزيع من مطبوعات كنا نعد مفردا ا في هذا الزمان كباقي الوشم في ظاهر اليد، فإذا ا ترجع جذعة بكل ما تحمله من طوام، وكأ ا من عهد ضارب في القدم يرجع إلى طغيان المد الصوفي الذي اجتاح البلاد في القرون المنصرمة، حين كثرت دعاوى الكرامات وتعلق الناس ا كبديل

والبحرين وقطر وعمان وفي الأردن ولبنان كنا ضيوفا على سماحة المفتي وقمت برحلات إلى أندونسيا وسيريلانكا وشرق أفريقيا وإلى أمريكـا وهولندا وبلجيكا وإيرلندا وبريطانيا كل هذه الدول مفتوحة لنا وفي مجال دعوتنا بفضل الله تعالى) صحيفة الرأية القطرية (٢٠٠٢/٨/٣٠) وفي صحيفة الأيام البحرينية (٢٠٠٥/٨/٢٦) قال (ما رأيت نظاما يتخوف منها) أي الصوفية.وخص في مجلة المـصور المـصرية (٢٠٠٢/٧/٢٦) النظام المصري في معرض حديثه عن سبب ترحيله من مصر فقال:(والمسؤولون ليسوا من أصحاب التوجه المحارب لأضرحة الأولياء)!!

(١) صحيفة الأنباء الكويتية نقلا عن موقع عي زين العابدين.

(٢) موقع زين العابدين الجفري.

(٣) السياسة الكويتية من موقع زين العابدين الجفري.

مناسب للضعف والوهن، ونأخذ مثالا لهذا الإفراز الجديد دار الأصول للنشر والتوزيع والدراسات الإسلامية في مطبوعته الموسومة بـ (أغلى الجواهر، المنتقى من تراجم حاوي جميع المفاخر، أبي بكر بن سالم تاج الأكابر) تأليف لجنة البحث العلمي سنة (٢٠٠٤هـ) كما هو في البريد الإلكتروني(١).

وفي أول صفحة من هذا الكتاب يصطدم القارئ بهذا الاستهلال الذي نصه: (وفي حقيقة الأمر ما كنا نحلم يوما بأن أمثالنا ستتاح لهم جوانح السعد، بنعمة الشرف بمزاولتها، والقبض على زمام فخرها، وماذا عسانا أن نستطيعه في ترجمة سلطان أهل العشق والمودة، بحر المعرفة الكبرى، واسطة عقد أهل الولاية في الدنيا والأخرى!! فخر السادة الأكابر الأشراف بني علوي، من ألقت إليهم الولاية والمعارف أفلاذ أكبادها، بل القطبية والمعارف أزمة أجيادها! وشهدت الأكوان بأنهم حكام دولتها وأفراد زهادها وعبادها!!، من أمداد العالم من إمداده الرحماني ونفحات الوجود مقتبسة من مشكاة نوره الصمداني حامل لواء القطبية العظمى!! من تحقق على رأسه أعلام الولاية من كل جانب، وانطوت فيه سائر المقامات والمراتب، وبأنفاسه الطيبة تزول الأوهام والشكوك، وبالصدق في محبته يوصل إلى مراتب الوجود، من هزت الأرض أعطافها بوجوده، واعترفت كل فرقة أنها أعظم جنوده، صاحب وقته الذي ما مِن ذرة من الموجودات إلا وهي تطلب حفظها من مدده الساري في الأكوان!!! ولا حقيقة من الحقائق إلا وهي تناديه يا فارس ميدان العرفان، السر الأعظم الأحدي، والطلسم الأفخم الأحمدي مولانا وسيدنا أبوبكر بن سالم...).

وتأمل هذا الغلو الذي ينضح من الدائرة المسماة عندهم بالغوثية، وما فيها من خصائص الربوبية يتبين لك إصرار هذه المطبوعات على إخراج ما يستحي منه، وإذا طالعونا بأغلى الجواهر من بحر المذكور، فكيف يا ترى يكون ما أخفوه من الصدف؟ وسيأتي في ثنايا هذه السياحة مناقشة لبعض ما نقل من هذا الكتاب.

وهناك دور أخرى تقذف بكثير من المطبوعات التي تشهر هذه الطريقة أشهرها بتريم دار العلم والدعوة - مركز النور - دار الفقيه للنشر التوزيع - تريم للدراسات والنشر.

الرابعة: المنتديات الثقافية، والحلقات العلمية، والدعوة إلى إحياء الآثار التي تكرس الفكر الصوفي، ويحمل لواءها أبوبكر العدني بن علي المشهور وقد عقد عنوانا بـ (آثار الإمام العدني) في كتابه جلاء الهم والحزن بذكر ترجمة صاحب عدن فقال فيه متباكيا على ما يعدها من الآثار: (أبقى الإمام العدني من بعده آثارا علمية كالرباط والمسجد وما فيهما من الدروس والمقام المبارك الذي صار مكانا للحضرة الشريفة التي هي من آثار الإمام العدني!! وكذلك ترك الإمام العدني من بعده بعض أمتعته التي يتبرك بها كالمسبحة والطاسة (إناء الماء) والعصا التي يحملها خطيب الجمعة!! وقد نهبت هذه الآثار في الهجمة الشرسة على المسجد والقبة ونهبت أيضا أبواب الضريح وهي من الساج الفاخر!! كما خربت النقوش والقناطر الأثرية وامتدت الأيدي إلى نافذة من

(١) الموزعون المعتمدون بأرقام الهواتف والفاكس - الجمهورية اليمنية دار العلم والدعوة تريم - مؤسسة الرضوان صنعاء مكتبة الصفاء عـدن - سيؤن (٠٠٩٦٧٧٣٨٨٠٦٥٩) - الإمارات المتحدة أبو ظبي دار الفقيه للنشر والتوزيع - الكويت حولي دار الضياء - الأردن عان دار الفتح.

نوافذ المسجد بالذات المسماة بنافذة تريم! وأحرقت مع عظام الموتى الذين نبشت قبورهم وأما المنبر فيعتقد أنه صنع لاحقا مع ترميمات بسيطة والتي قام ا مناصب القوم وهو على ما يذكر أنه جيء به من الهند مع بقية أخشاب المسجد وقد جدد المناصب في الفترة القريبة التوابيت والأبواب!! وتم ترميم المسجد من جديد بما في ذلك البركة الخاصة بالإمام العدني المسماة ببركة الشفاء! والتي كان يغتسل ا ويتوضأ منها ولا زالت بعض الندوب من آثار الاعتداء بادية على القبة والمنارة)[1].

قلت: وقد تنادى ذه الدعوى كثير من القائمين على مقامات الأولياء بحضرموت، فأحييت الآثار كترميم مسجد الفتح بتريم مثلا على ذلك، وأبرزت بركة الشفاء، ومتعبده ووضعت السبحة بموضع من زجاج، ولم يقف الأمر عند تجديد التوابيت، بل استحدثت من غير نكير كما يشهد على ذلك التابوت الذي وضع بتاريخ (٢٥) ذي الحجة (١٤٢٢هـ) على قبر سالم بن حفيظ - جد عمر بن محمد بن حفيظ - ببلد مشطة شرق تريم.

قلت: وتعظيم القبر مصيبة عظيمة بل نقل النووي عن العلماء قولهم: إنما ى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والإفتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية) وعلق أيضا الإمام النووي على قول أبي موسى من قوله: أن المسح على القبر وتقبيله إن ذلك عادة النصارى قال النووي (وما ذكره صحيح لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور). والنبي صلى الله عليه وسلم أوصى عليا بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله في الصحيح (لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته).

وأما التبرك فإنه أصل العبادة ولأجله قطع عمر الشجرة التي بويع تحتها كما قال الشاطبي والذي في صحيح البخاري أ ا أخفيت عليهم قال ابن عمر رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة كانت رحمة من الله وقال ابن المسيب نسيناها فلم نقدر عليها وفي رواية فعميت علينا والحكمة في ذلك أن لا يحصل افتتان لما وقع تحتها من الخير[2].

فإذ قيل أ ا من الآثار فماذا يقال في قطعها؟ فيا لله للتوحيد كيف يوهن أمره بوضع التوابيت على القبور، وإشادة القباب بحجة أ ا من إحياء الآثار، وهي بلية عظيمة وآفة خطيرة ينبغي التحذير من شرها حتى لا يصيب الناس شررها.

وأما الحلقات العلمية أو الحوليات التي تقام فإ ا صدى لزيارات مندثرة فهي آخية لدعوة إحياء التراث، وأشهر هذه الحلقات حلقة المهاجر أحمد بن عيسى (ت:٣٤٥هـ) التي أصلها زيارة لضريحه المشهور بالحسيسة

(١) (ص:١٥١) قال في الهامش أن الماء يدار في الحضرة بالطاسة التي كانت موجودة ضمن آثاره ولكنها فقدت بعد هجمة المتطرفين على المسجد والضريح. والمعلوم أن نافذة تريم سميت بذلك لأن الكرامة التي يتناقلها الناس أن سعدا السويني - بتريم - رمى الإمام العدني على سبيل المزاح بكف من الطين فدخلت من هذه النافذة وسيأتي ذكرها في الحديث عن حضرة العدني إن شاء الله. قلت ومن ذلك أيضا تجديد إشادة القباب في شهر ذي الحجة عام (١٢٤٦) بعمد.

(٢) انظر شرح المذهب للنووي (٣١١/٥) وفتح الباري لابن حجر (١١٧/٦) والموافقات للشاطبي (٩/٢).

- شرقي سيؤن - كانت تقام ويحضرها جمع غفير من الناس في يوم يتفقون عليه من شهر محرم قال مؤلف الدليل القويم (آملين إعادة الزيارة على حسب المعتاد) فحقق هذا الأمل أبو بكر العدني بن علي المشهور فأعادها ولكن بلباس عصري، وقد صرح بذلك في حديثه عن المهاجر فقال (ويلاحظ الزائر ذلك الشعب وقد شيدت على ضريح الإمام المهاجر تلك القبة والملاحق التي حولها في أعلى الجبل وفي أسفله دفن في الحائط الأدنى السيد أحمد الحبشي وشيدت عليه أيضا قبة أرى.. وكانت تقام في ذكرى دخول الإمام المهاجر زيارة سنوية ظلت مدة طويلة قائمة ثم انقطعت ولكنها أعيدت الآن بصورة محدودة وأضيف إليها في عام (١٤٢٢هـ) بعض الزيادات المناسبة للعصر حيث عقدت الحلقة العلمية الأولى عن وصول المهاجر إلى حضرموت واشترك في هذه الحلقة العديد من طلاب العلم والباحثين... والتي نأمل أن تظل تقليدا سنويا يعكس الصورة العلمية والتاريخية القيمة التي أرستها مدرسة المهاجر وما جاء من بعده لخدمة الإسلام والأمة والوطن!!!)[١].

قلت: وقد استمر هذا التقليد المأمول، وأفسح له ا ال، وكان آخرها الحلقة العلمية السادسة (٥-١٣) محرم (١٤٢٧هـ) واختتمت فعاليا ا بالشعب حيث ضريح المهاجر بحضرة جموع غفيرة، وفي دوعن بوادي حضرموت أقيم أيضا إحياء زيارة سعيد العمودي التي كانت تقام بقيدون وقد ماتت ثم عادت في الحلقة العلمية الخاصة لذكراه في (٢٣-٢٥) رجب (١٤٢٥هـ) واختتامها ببلده واختيار آخر جمعة من رجب مواطأة للزيارة المشهورة التي سنتحدث عنها في محلها[٢].

الخامسة: لو تأملنا الاهتمام بالزيارة التي تقام عند قبر النبي هود المزعوم -شرقي تريم- وما قيل فيها لرأينا أ ا ترجع إلى مصادر التلقي عند الصوفية كالكشف الصوفي، والإذن الرباني، وسماع الهواتف، والتسليم للشيوخ، ولا علاقة لها بالزيارة الفقهية، وقد قام سالم بن عبدالله الشاطري بتأويلات سمجة لتبريرها وصال على معترضيه حين رد على الأقوال المشهورة في الزيارة مثل:

- أن ر هود من أ ار الجنة!.
- من زار هود ولو للفضول غفرت ذنوبه!.
- الضحكة في الطريق إلى شعب هود بتسبيحة!!.
- قول القائل: من بشرنا بسلامة الزوار ضمنت له على الله بالجنة!!![٣].

---

(١) سلسلة أعلام حضرموت العدد الأول (ص:٣٦) - الدليل القويم (ص:١٧).

(٢) تقوم مجلة الجذوة التابعة لمركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث بتغطية هذه الحلقات ومنها: الحلقة العلمية الرابعة (١٢) لذكرى المهاجر (١٤ محرم ١٤٢٥هـ) والخامسة (١٤-١٦) محرم (١٤٢٣هـ) وتختتم بالشعب أيضا ومن الحلقات الحلقة العلمية الرابعة لذكرى الإمام عبد الله بن علوي الحداد (١٥-١٧) ذي القعدة (١٤٢٤ هـ)، وكذا الحلقة العلمية لذكرى سلطانة بنت علي الزبيدي والحلقة العلمية لذكرى العدني.

(٣) نيل المقصود في مشروعية زيارة النبي هود عليه السلام طبعة مزيدة تتضمن الرد على الشبهات المثارة حول الزيارة.

فأي سكوت فات الشاطري حين أجاب بما يضحك الثكلى؟ فرد على القول الأول بأنه هاتف سمعه مولى الدويلة ثم أطال في الحديث عن الهواتف بما ليس في موضعه. ورد على القول الثاني بأن في مجالس الذكر تغفر الذنوب وأما قولهم (ولو للفضول) فقد شبهه بحديث الرجل الخطأ الذي حضر مجلس الذكر وفيه (وله غفرت). ورد على في الثالث أنه من الترويح للإخوان وإذهاب لعناء السفر واستدل بحديث (تبسمك في وجه أخيك صدقة). وأما الرابع فمعناه عنده دعوت الله له بالجنة، قال وذلك على سبيل ا ـاز اللغوي. وهذه كلمات مكلومة، وهي حجج وبيت العنكبوت سيان، وسيأتي في ثنايا السياحة مناقشة هذه الردود إذ أن زيارة القبور من الناحية الفقهية لها شروطها وآدا ا وعدم الوقوع في المنهيات كشد الرحال إليها واتخاذها عيدا، وأما من الناحية الصوفية فالتسليم لأهل الله في ذلك هو المآل، ولا يحتاج بعد ذلك إلى حجج متهافتة عارية عن التأصيل الصحيح لأن مناط الزيارة في الطريقة الصوفية المبنية على تجميع الناس لها - كما ورد في قيد الأوابد - لا على طريقة الفقهاء الذين كانوا إنما يزورون في غير جموع، وكانت الزيارة عندهم وهي من عصر الفقيه وما قبله عبارة عن التسليم على الميت والدعاء له والترحم عليه والاتعاظ بذكر الموت، وأما الزيارة في زمان العيدروس (ت:٨٦٥هـ) فقد انتقلت إلى الطريقة الصوفية التي لا تقتصر على ما ذكرناه بل تتناول التوسل والاستمداد والتبرك بالمزار له، وكان العيدروس كما في التحفة النورانية لعبدالله عبد الرحمن باوزير متوقفا ثلاث عشرة سنة منتظرا الإذن الرباني في نقل زيارة قبر النبي هود من طريقة الفقهاء إلى الطريقة[١].

أقول و ـذه التبريرات أتت الوفود تسعى إليها حثيثا حيث يحتشد لها زهاء مائة ألف مسلم من اليمن ودول عربية ومن دول جنوب شرق آسيا كما في تقرير لصحيفة النداء اليمنية[٢].

قال أبو بكر بن علي المشهور موضحا أن الزيارة هي تقليد لمدرسة حضرموت بغض النظر عن إثبات القبر (والهدف الأساسي الذي كان السلف -سلف الصوفية بحضرموت- يرغبون في هذا الموطن هو الخلوة والتفرغ للعبادة للتعبد، إذ أن خروجهم إلى ناحية الشعب صار تقليدا لمدرسة حضرموت، ومسألة الخلاف حول موقع القبر ترجع إلى البحث العلمي والتاريخي وإن كان سلفنا الصالح قد تيقنوا من أن تلك المنطقة هي موقع قبر نبي الله هود، ولا يوجد لديهم خلاف في ذلك،ولكن القول الفصل لمن أراد التيقن إن كان هناك حاجة للجدل والمماحكة في موقع القبر فالأمر يرضخ للبحث العلمي والتاريخي المستقبلي، وأما تقليد وترتيب وعادات السلف فلا حاجة لها بعين الخلاف ذاته وإنما هو تقليد مدرسة واختيار رجالها أ. هـ)[٣] هذا نص كلامه الذي أورده وما هكذا تورد يا سعد الإبل! وقد استدار في الحجة بمسألة التقليد لأعلام المدرسة الصوفية، ليخرج من ولاية النصوص الشرعية.

---

(١) قيد الأوابد وإلحاق الشوارد لعبدالله بن حسن بلفقيه (ص:٨) وقد نقله عن أحمد بن عبد الرحمن السقاف.

(٢) صحيفة النداء العدد السابع والعشرون سبتمبر (٢٠٠٥م) إعداد أبي بكر عبد اله ونقل عن عمر بن حفيظ عميد دار المـصطفى إن المقـصود بالزيارة هو كسب رضوان الله والإيمان يزداد في القلب كما يزداد اليقين.كما نقلت زيارة لسنة نفسها (١٤٢٦) صحيفة المحرر العدد (٧).

(٣) سلسلة أعلام حضرموت بالهامش من العدد العاشر (ص:٢٥) وقد أنشأت زيارة خاصة سنوية في شهر محرم لجموع من دار المصطفى وغـيره تحت رعاية عمر بن حفيظ وكان من آخرها زيارة بتاريخ (٣-٥) محرم (١٤٢٧هـ).

السادسة: كما حصل خلط بين الزيارتين الفقهية والصوفية فقد حصل أعظم منه خلط بين التوسل واتخاذ الوسائط من ناحية - وروج له بعض المعاصرين - فسووا بينهما ابتغاء تجويز الثاني منهما، ومن ناحية أخرى تم خلط بين اتخاذ الوسائط ومقام الغوثية حين يدعى من يطلقون عليه القطب رأسا، ولا يتخذ واسطة بل يطلب منه تفريج الكربات، وهذه مسألة ترجع إلى دائرة القطب الذي يتخلق بجميع الأسماء الإلهية، وبزورةٍ واحدة إلى تربة تريم سيستوقفك قبر عمر المحضار (ت:٨٣٣هـ) - أحد مشاهير الطريقة - فستلاحظ ما كتب على ضريحه من قول (يا عمر) ثم الأبيات التالية:[١].

قف بالحضور وبالتأدب مسلما متضرعا في **حضرة المحضار**

قل يا أبا الخطاب تظفر بالمنى وبه استجر فهو العزيز الجار

وأنخ بساحة جوده نجب الرجا فهو الضمين حوائج الزوار

وهذا شاهد على الإقرار من قبل العلماء هناك أو السكوت، وتأكيدا لهذا الخلط البين الذي هو من دائرة القطبية فقد كتب أيضا (هذا قبر قطب في كل زمان ومكان!!، والمتصرف بإذن مولاه في جميع الأكوان!!!).

وما سبق يرجعونه إلى مقام البقاء، وأما ما يكون من دائرة الفناء فإنه يعد من الشطحات، مثل ما نسبوه لشهاب الدين أحمد وهو من قصيدة تنشد في السماع أو ما يسمى بحضرة السقاف[٢]:

إني سريع الغوث في **كل الشدائد فاهتف باسمي** تجدني **أسرع**

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن فأنا لخطبك أدفع

ولا يفيد حشد النصوص الواردة في التوسل في هذا المقام لأن المرجعية هنا إلى مفردات التصوف كما سيأتي، وقد أبدى زين العابدين الجفري حرصا على العوام فقال في جواب له عن التوسل واتخاذ الوسائط (لا أستطيع أن ألغي فكرة التوسل بالصالحين!! وتوسيطهم لكي لا يقع أحد العامة في الشرك!! فلو فعلت ذلك لارتكبت خطأ كبيرا في علاج المشكلة...)[٣] ورمى بآيات الكتاب والسنة الصريحة والإجماع الذي نقله من يرجعون إليه في نقل ذلك كابن حجر الهيتمي، وزعم أ ما فكرتان،فنقول على رسلك ثم رسلك فإخلاص التوحيد لله ليس فكرة بل هو العدل الذي أنزلت من أجله الكتب وأرسلت من أجله الرسل كما قال تعالى

---

(١) وللأسف أن هذا الاسم قال في تفسيره صاحب السلسلة القدوسية لكثرة حضوره عندما يستغاث به وقت الشدائد كما قيل شعرا: مـا قـط يدعو باسمه ذو كربة إلا ويدركه بغوث حاضر!!

(٢) المنهل العجيب الصاف وقد طبع مجددا من غير ذكر دار النشر وحذفت القصيدة التي منها هذان البيتان.

(٣) ندوة مجلة الأهرام العربي موقع زين العابدين الجفري وتتمة كلامه (الصواب تعريفهم بآدب توسلهم بالصالحين و ذيب أسلو م وخطـا م في هذا!! فالتوسل بالصالحين شرعا ليس حراما وفكرة! أن الله لا يحتاج إلى واسطة لا خلاف عليها ومجمع عليه! لكن تعال معي هل يحتاج الله إلى صلاة إلى صوم إلى زكاة؟ بل هل يحتاج إلى خلقه كلهم. بالطبع لا فالله غني عن العالمين لكن نحن نحتاج إلى صلاة نحتاج إلى صوم ونحتاج أدبا مع الله تعالى إلى الواسطة!!!).

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط).

وهناك خلط ثالث أيضا - جدير بالوقوف أمامه - بين الكرامات التي يكرم الله ا بعض عباده، وبين الخوارق التي تنسب لمشاهير الصوفية والأمور العظيمة التي يزعمو ا لهم كإحياء الموتى مثلا!! الذي يأتي خبره مما يكون من علامة القطب الغوث الظاهرة. ويخطئ كثيرا من يطيل الاستدلال بصحة الكرامات في النوع الثاني إذ أن رجوعه إنما هو إلى مقام القطبية أيضا.[١].

ومن هنا كانت أهمية هذه السياحة التي تكشف الضرر الذي جره الاعتقاد بعالم الأقطاب والتأثر بأقوال الغلاة، والوصول إلى هذا المقام عبر خط سير محدد وخلاصة القول أن للصوفية شروطا في الاستدلال كعدم الاعتراض على الشيخ، وترتيب الزيارة وفق منهجهم، والرجوع بالاستغاثة من زاويتهم، وتعليل الخوارق لا ينبغي أن يخلط في ذلك كله مع شروط الفقهاء فإن لكل فريق مشر م والله ولي التوفيق.

(١) سيأتي نقل ذلك عن ذخيرة المعاد وتفصيله إن شاء الله.

الفصل الأول

لمحة تاريخية

أولاً: الحياة العلمية بحضرموت قبل التصوف:

شهد القرن السادس الهجري بحضرموت لا سيما النصف الثاني منه ضة علمية رائدة بحضرموت في مراكز العلم وهي الهجرين وشبام وتريم والشحر، ويمكن إجمال روافد هذه النهضة العلمية في ثلاثة أمور هي:

١- استقرار الحياة السياسية في حضرموت استقرارا نسبيا والمتمثل في الدول المستقلة التي ظهرت على أنقاض الإمامة الإباضية التي ما فتئت تضعف إلى أن آلت إلى الشيخوخة أعقاب الغزو الصليحي وقد كان من أكبر المناوئين للإمام أبي إسحاق الهمداني دغار بن أحمد الذي ورد اسمه في السيف النقاد[1] فقامت دولة آل دغار بشبام وإمارة بني قحطان بتريم وآل فارس بالشحر، وقد رسخ هذا الاستقرار الحياة العلمية التي توجت بمشاركة أبناء الولاة كما يأتي في ذكر عبد الله بن راشد وقد أشار نشوان الحميري الذي زار تريم سنة (٥٧١هـ) في دولة السلطان راشد بن شجعنة إلى دور هذا السلطان في رعاية العلم وأهله بقوله بعد أن ذكر عددا من العلماء:

أولئك أهل الفضل في ظل فاضل ... عظيم من الأملاك عالي الدعائم

٢- البعثات العلمية التي قام ا علماء حضرموت فجاسوا خلال البلاد يتتبعون موارد العلم وعشبه وانطلقت طلائع المستفيدين فطافوا في الآفاق شرقا فبلغوا العراق وخراسان وذلك عبر بوابة ظفار، وغربا إلى زبيد ومكة ومصر يجالسون العلماء وينهلون من العلم ويضربون في النهضة العلمية بسهم وافر.

٣- ورود العلماء إلى حضرموت:

يعد ورود العلماء في سائر العلماء إلى حضرموت من أعظم الروافد التي أسهمت في قيام النهضة العلمية وقد أشار عمارة إلى العالم الذي نزل الساحل برمل حضرموت وتخرج به الفقيه محمد بن أحمد الحاسب في الفرائض وقراءة أبي عمرو بن العلاء وكان ذلك قبل سنة (٣٣٩هـ) أما لعل أشهر من لمع اسمه في هذه القضية

---

(١) قال أبو إسحاق الهمداني في الفائية في سياق استنصاره بإمام عمان على دغار ابن أحمد (ت:٥٠١هـ):

سيعلم دغار ابن أحمد والفتى ... سلالة مهدي وكل مخالف

إذا نزل المستنصرون بجحفل ... يهزون بيضاً كالبروق الخواطف

وقال أيضاً في فائية أخرى يصف أتباعه المنقادين له:

بعزة دغار كما قيل قبلهم ... بعزة فرعون أخي الضعف والسخف

رأيتً ألوفا تحت قبضة واحد ... يصرفهم بالضعف في الغي والدهف

ويعزى إليه انتشار الفقه الشافعي في حضرموت هو الإمام محمد بن علي القلعي الذي لا يسمح المقام بذكر دوره في النهضة العلمية وإنما من حقه أن يفرد بترجمة مستقلة وقد فعلت وسميتها بجهود الإمام القلعي العلمية يسر الله إخراجها قريباً.

والآن نستعرض العلوم التي شهدت اهتمام من قبل علماء حضرموت ونقف عند ثلاثة منها تدلنا على غيرها.

أولاً: الحديث:

أسهم علماء حضرموت إسهاما بارزا في الحديث سماعا وقراءة وكانوا يرحلون في طلبه إلى العراق وخراسان والإسكندرية حيث كانت تحوي المحدثين الشيوخ أمثال الحافظ السلفي الذي كان شيخ الحديث وكذا الرحلة بعد ذلك إلى مكة ويعودون لعقد مجالس السماع في حضرموت: فأبو عبد الله أحمد بن محمد النعمان الهجراني رحل إلى الإسكندرية وسمع على الحافظ الذي انتهى إليه علو الإسناد في عصره الإمام أبي طاهر السلفي وأخذ عنه وعاد إلى حضرموت للإسماع فسمع منه السلطان عبد الله بن راشد كما سيأتي، ورحل إلى عدن وعقد ا مجلسا للحديث وكان محمد بن أحمد القريظي سمع هو والشيخ علي بن يوسف إمام مسجد الشجرة بعدن كتاب شمائل الترمذي بقراءة غيرهما عليه وهما يسمعان وذلك سنة ٥٦٥ هـ. ويعد المحدث الهجراني شيخ ابن سمرة الجعدي قال فيه: لديه ورع وزهد ونظافة علم.[١] وأما أبو نزار ربيعة بن الحسن الحضرمي المحدث فقد رحل إلى وأصبهان سنة (٥٦٤هـ) وسمع صحيح البخاري على شيوخه ا وعاد إلى حضرموت فنشر الحديث فسمع الفقيه ابن أبي الذئب منه صحيح البخاري سنة (٥٦٧هـ) بجامع شبام، كما رحل إلى العراق والإسكندرية وسمع الأحاديث على الحافظ السلفي[٢].

ثانياً: الفقه الشافعي:

أما الفقه الشافعي الذي اختاره علماء حضرموت فقد تسرب بعد انحسار الفكر الإباضي الذي حصل له ضعف إبان الغزو الصليحي وقد كانت زبيد مركزا من مراكز الفقه الشافعي تعج بالفقهاء منهم القاسم بن محمد الجمحي (ت:٤٣٧هـ) الذي أخذ عنه علماء لحج وأبين، والفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي (ت:٥١٤هـ) أخذ عنه جلة الفقهاء من أبين وحضرموت وهذه هي بداية الظهور لمذهب الشافعي أما انتشاره في حضرموت فإنما كان على يد الإمام القلعي الذي ألقى رحله بمرباط سنة (٥٥٤هـ)[٣].

ومن أعلام الفقه الشافعي في تلك الفترة بحضرموت: القاضي محمد بن إبراهيم بن محمد باعيسى قاضي

---

(١) طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة (٢٢١) السلوك للجندي (٤٦٣/١) تحفة الزمن للحسين الأهدل (٣٩٦/١) وثغر عدن.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الحفاظ وطبقات المحدثين وسير أعلام النبلاء كلها للذهبي، شذرات الذهب للدمشقي (٣٧/٣) وانظر تاريخ شنبل سنتي (٥٦٤-٥٦٧هـ).

(٣) طبقات فقهاء اليمن (ص:٨٧-١٥٣) وقد قمت بترجمة خاصة للإمام القلعي يسر الله إخراجها.

شبام ومحيي السنة ومميت البدعة أبو عبد الله المعروف بأبي جحوش ذكره ابن سمرة في طبقاته في سياق حديثه عن فقهاء شافعية حضرموت فقال أذكر منهم أبا جحوش توفي (٥٥٣هـ) وقد ولي القضاء بعده أخوه أحمد سنة (٥٥٦هـ)[١] ومنهم الفقيه يحي بن سالم أكدر الإمام العالم الزاهد من أعلام مدرسة الفقهاء القراء بتريم الذين تعرضوا لفتنة الزنجيلي قال ابن سمرة في الطبقات وأذكر (أبا أكدر قاضي تريم جمع بين القراءات السبع والفقه) وكان يفيد العلم بمسجد بني حاتم وهو مراد تلميذه محمد بن علي بن حاتم بقوله يمدحه حين مرض:

فاليوم شهر حين غبت وشهرنا من طول مدته علينا عام

قد حن مسجدنا لفقدك واشتكى حالا وإن كثرت به الأقوام

فاسلم لنا يحي ليحي ذكرنا وعليك منا في الزمان سلام

وهو يعد شيخ الشيوخ وقاضي القضاة الذين تخرجوا به ومن الأعلام المرموقين رعاة النهضة بتريم كما تدل عليه إشارة نشوان الحميري في قوله حين زار تريم وأثنى على علمائها من بني حاتم.

رعى الله أخواني الذين عهدته ببطن تريم كالنجوم العواتم

عليا حليف النجدة ابن محمد وأبنا أخيه الغر من آل حاتم

وكم في تريم من فقيه مهذب وسيد أهل العلم يحي بن سالم

وله أخ اسمه أحمد يذكر بالخير والفضل قال فيه بامخرمه كان فقيها صالحا وقد قتلا شهيدين في فتنة الزنجيلي سنة (٥٧٥هـ)[٢].

ومنهم محمد بن عبدالله الحضرمي ابن أبي ذؤيب الشبامي كان فقيها فاضلا عالما بالفقه والنحو والأدب شاعرا مجيدا قال ابن سمرة (ومنهم ابن أبي ذؤيب شاعر مجود) وقد نظم التنبيه سمع صحيح البخاري على أبي نزار بجامع شبام سنة (٥٦٧هـ) كما مر، وهو شاعر أورد له في السلوك بعض الأبيات[٣].

ومنهم محمد بن عبدالله بن حماد الشبامي المعروف بابن المدير والذي انتقل إلى ظفار، ذكره الذهبي في السير وقد توفى (٥٨٦هـ) كان فقيها كبيرا تفقه به المحدث ربيعة الحضرمي وابنه إبراهيم فقيه أيضا[٤].

وهناك فقهاء ذكر ابن سمرة منهم بالهجرين أبا زنيخ وقال فيه الجندي في السلوك بأنه كان فقيها ومنهم

---

(١) طبقات فقهاء اليمن (٢٢١) السلوك (٣٦٤/١) تحفة الزمن (٤٦٤/١) تحفة الزمن (٣٧٦/١) تاريخ شنبل سنتي (٥٥٣-٥٥٦).

(٢) المراجع السابقة والذي في تاريخ شنبل أن قتلهما كان سنة (٥٧٦هـ) وذكر الملك الأفضل في العطايا أنه لما أمر بقتلهما قال القاضي أبو بكر لأخيه لما قدم للقتل أتسبقني إلى الجنة لا بأسعليك وإلى مثلها يكون السباق.قول ابن سمرة في طبقاته عن فتنة الزنجيلي (التي قتل فيهـا فقهـاء حضرموتوقراءها قتلا فقهاء حضرموت وقراءها قتلا ذريعا) يفيد كثر م التي لم يصل إلينا من أفرادها إلا الـ ر القليل.

(٣) طبقات فقهاء اليمن (٢٢١) السلوك (٤٦٣/١) تحفة الزمن (٣٦٧/١) وانظر وطرز أعلام للخزرجي وقلادة النحر.

(٤) سير أعلام النبلاء ترجمة أبي نزار.

محمد بن عبد الله الذي رحل إلى الإمام العمراني (ت:٥٥٣هـ) قال ابن سمرة فيه: مسكنه تريم وكذا محمد بن مفلح الحضرمي الذي سأل العمراني عن مشكلات المهذب، ومنهم محمد بن داود كان نظير ابن أبي الذئب.

ثالثاً: القراءات والتفسير:

سبق الوصف الذي أطلقه ابن سمرة على علماء حضرموت الذين تعرضوا لفتنة الزنجيلي بأ م فقهاء قراء وقد عرفنا خدمتهم للمذهب الشافعي والآن نريد أن نتعرف على دورهم في علم التفسير والقراءات ونستطيع القول أ م قد اهتموا بالقراءات السبع كما سبق ذكره في ترجمة يحي بن سالم أكدر، وبالرجوع إلى ما قبل سنة (٥٣٩هـ) نجد وجود حرف أبي عمرو بن العلاء عند محمد بن أحمد الحاسب صاحب عمارة وكان يقرأه عليه بالنهار بالليل يقرأ عليه الفرائض[1]ومن أعلام المفسرين أبوبكر علي بن أحمد بابكير التريمي القارئ والمفسر قال ابن سمرة عنه (لقيت أبا بكير هذا في عدن له سمت وهيبة محافظاً على الصلاة في أول وقتها.... وكانوا في عدن يقرأون على هذا الفقيه أبا بكير تفسير الواحدي وكتاب النجم) قتل شهيدا في تريم سنة (٥٧٥هـ) في غزاة الزنجيلي السالف ذكرها[2] وكذا أبو العباس سالم بن عبد الكريم بافضل التريمي المفسر الفقيه من أركان هذه المدرسة وأساطينها وصاحب الرحلة إلى العراق، له ذيل على تفسير القشيري، وله قصيدة رائعة تسمى القصيدة الفكرية توفي بتريم سنة (٥٨١هـ) وقد مدحه الإمام محمد بن علي القلعي بقوله:

جرت تريم على ا رة ذيلها عجبا وحق لها الفخار الأكبر

نال ابن فضل في الفضائل رتبة لم يستطعها منجد ومغور

فقه ابن إدريس وإعراب الخليل وما حوى سقراط والإسكندر

فبسالم سلمت شريعة أحمد عما يؤود قنا ا أو يكسر[3]

وقد تخرج على أيدي شيوخ مدرسة الفقهاء والقراء بحضرموت جيل من الشيوخ أبرزهم:

الفقيه علي بن أحمد بامروان نور الدين أبو الحسن المرواني صاحب رسالة تحرير الأيدي والعقود وألفاظ الطلاق تخرج بالإمام محمد بن علي القلعي شيخ الشافعية بمرباط وأفاد العلم بتريم حيث مسجده القائم ا إلى الآن ومن أشهر تلاميذه الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي توفي الفقيه بامروان سنة (٦٢٤هـ) وقبره بتريم[4] والفقيه محمد بن عبدالرحمن بن زكريا أبو محمد باعبيد التريمي. ذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى

---

(١) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لعمارة بن علي وفيه قصة طريفة لعمارة مع الفقيه الحاسب الحضرمي وقسمتهلفريضة بني زريق التي عجز كبـار الفرائضيين عن حلها لا يسمح المقام بسوقها فانظر (١٧١-١٧٢).

(٢) طبقات فقهاء اليمن (٢٢١) السلوك (٤٦٤/١) تحفة الزمن (٣٦٧/١) تاريخ شنبل سنة (٥٦٧هـ) وانظر قلادة النحر.

(٣) الرحلة ذكرها الخطيب في بداية الجوهر الشفاف.

(٤) حققت رسالة تحرير الأيدي والعقود وألفاظ الطلاق للفقيه بامروان يسر الله إخراجها.

مؤلف كتاب الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال (ت:٦١١هـ)[1] ومنهم السلطان عبدالله بن راشد القحطاني وقد قرأ صحيح البخاري على الفقيه محمد الهجراني سنة (٥٨٠هـ) ثم رحل إلى مكة فسمع الأحاديث على ابن أبي الصيف وابن المقدسي وابن عساكر وذلك سنة (٥٨٨هـ)[2] ومنهم المحدث علي بن محمد بن جديد الذي ينتهي نسبه للمهاجر أحمد بن عيسى رحل إلى مكة وسمع من ابن أبي الصيف بمكة (ت:٦٠٩هـ)[3].

وقد تلقى الفقيه المقدم الآتي ذكره العلوم الشرعية على أعلام هذه الطبقة وأخذ عن الفقيه بامروان وباعبيد وتعد هذه الفترة برزخ بين ذهاب الفكر الإباضي الذي تمكن في حضرموت من أوائل القرن الثاني الهجري حتى أواخر القرن الخامس وبين التصوف في بداية القرن السابع وقد شهدت ـضة شهد بوجودها الشلي في المشرع الروي فقال: (إن أهل حضرموت كانوا مشتغلين بالعلوم الفقهية، وجمع الأحاديث النبوية، ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية، ولا من يكشف اصطلاحتهم السنية، فأظهر الفقيه المقدم علومها، ونشر في تلك النواحي أعلامها...)[4].

ثانياً: دخول التصوف إلى حضرموت:

يعد الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي المتوفى (٦٥٣هـ) رائد التصوف بحضرموت كما سبقت إليه الإشارة قريباً وهو قطب الطريقة الحضرمية ومدار حقيقتها ولما كان الشيخ في الطريقة الصوفية يعتبر المحور الذي تدور حوله كان لابد من ربط الطريقة الحضرمية بأمهات الطرق وشيوخها حتى تنتسب له بالولاء وينتفي عنها الإدعاء. وقد تم ربط الطريقة الحضرمية بالطريقة المدينية - نسبة للشيخ أبي مدين شعيب المغربي - ولكن لم ترد كيفية هذا الارتباط إلاّ على شكل غزل نسجه لنا كتب التراجم في قصة مفادها أن الشيخ أبا مدين شعيب المغربي بعث عبد الرحمن المقعد إلى حضرموت من أجل التحكيم، وأخبره بأنه يموت!! بالطريق فلما كان بمكة أرسل عبد الله الصالح وقال له: اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي باعلوي عند الفقيه علي بن أحمد بامروان يستقي منه العلم طارحاً سلاحه على رجليه فاغمزه من عند الفقيه وحكمه وألبسه فذهب ووجده كذلك فغمزه وحكمه وألبسه الخرقة ثم كسر الفقيه المقدم السيف وعاد إلى شيخه بزي الصوفية....[5].

وهذه القصة لخصها بلفقيه بقوله:

وشيخهم الغوث الفقيه محمد أبو علوي ذو المعالي العلية

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ا لمد السادس ترجمة المذكور.

(٢) تاريخ شنبل سنتي (٥٨٠-٥٨٨) هـ.

(٣) انظر عقود اللآل لعيدروس بن عمر الحبشي ذكر أسانيد ابن أبي الصيف في روايته صحيح البخاري ومسلم.

(٤) المشرع الروي (٥/٢).

(٥) انظر الحكاية السابعة والعشرين من الجوهر الشفاف.

إمام الطريقين الحسيني نسبة ثوى في تريم البلدة الحضرمية

ومرجعه في لبسه وانتسابه أبو مدين شمس القرى المغربية

بخرقته قد أرسل الصالح الذي لدى الموت فيها المقعد أوصى بمكة

وهكذا تم الارتباط بين الطريقتين عن طريق مندوب أبي مدين عبدالرحمن المقعد الذي أرسله إلى الفقيه وقد مات بمكة وقبل موته كلف عبد الله الصالح المغربي بتنفيذ المهمة فكان هذان الرجلان واسطة بين الشيخ وتلميذه. ومن حكمه مبعوث أبي مدين من شيوخ حضرموت أيضا سعيد بن عيسى العمودي (ت:٦٧١هـ) بقيدون من بلد دوعن.

الفقيه بامروان وتلميذه الفقيه المقدم:

لمّا اختار الفقيه المقدم طريق التصوف وحلق رأسه وسلك مسلك الصوفية ولبس الخرقة المدينية قال له شيخه علي بامروان: أذهبت نورك وقد رجوناك أن تكون كابن فورك واخترت طريق التصوف والفقر وقد كنت علي المقدار والقدر. فرد عليه: الفقر فخري وبه أفتخر، وبه على النفس والشيطان أنتصر ولا أتباعد عنكم إعراضاً ولا تبدلت عنكم معتاضاً فلما فهجره شيخه إلى أن مات[١].

ومن ثم ارتبط اسم الفقيه بامروان بالفكر الصوفي كون الفقيه المقدم تلميذه هو حامل لوائه ولشدة هذا الارتباط وهم الجندي في كتابه السلوك حين ذكر من غفل عنه ابن سمرة من فقهاء حضرموت فقال: (ومنهم أبو مروان لقباً واسمه علي بن أحمد بن سالم بن محمد بن علي كان فقيهاً خيراً كبيراً عنه انتشر العلم بحضرموت انتشاراً موسعاً لصلاح كان وبركة في تدريسه وهو أول من تصوف من بيت باعلوي إذ هم إنما يعرفون بالفقه ولما بلغ الفقيه ذلك وأن هذا تصوف هجره.) ا. هـ[٢].

وهذا الهجر يكشف عن الـ اع الذي كان بين الفقهاء والصوفية ويمثل هذا الهجر أعظم أنواع الإنكار على مبادئ المتصوفة وأفكارهم[٣].

وأسفر هذا الحدث عن تحول مجرى العلم والفقه الذي كانوا لا يلون على غيره إلى طريق الفقر وجاء

---

(١) انظر الحكاية السابعة والعشرين من الجوهر الشفاف وانظر قلادة النحر للطيب بامخرمه.

(٢) السلوك للجندي وقد أزال هذا الإشكال ما ورد في النسخة التي اعتمد عليه حسين الأهدل في تحفة الزمن فقال نقلا عـن الجنـدي (وبـه - بامروان - تفقه محمد بن علي باعلوي وهو أول من تصوف من بيت باعلوي إذ هم إنما يعرفون بالفقه والشرف ولما بلغ الفقيه أب مروان أنه تصوف هجره كذا قال الجندي) (٤٢٨/٢).

(٣) حاول المتصوفة إزالة هذه الوحشة بين الشيخ بامروان والفقيه المقدم فزعموا كما ورد في الجوهر والبرقة وغيرهما أنه لما توفي الإمـام بـامروان والفقيه محمد بن علي غائب عن البلد فلما علم بموته سار إلى تريم فوجده قد دفن فدخل المسجد الجامع وطلع منارته وآلى أن لا يخرج حـتى يأتيه الفقيه بامروان من قبره ويجتمع به يزيل ما في خاطره فأتاه أبو مروان وتم الاجتماع به وقال له يترجاك أهل البرزخ كما يترجـى أهـل الخريف وقد سمع ذلك حميد المؤذن عندما أراد أن يؤذن لصلاة الفجر كما تزعم هذه الرواية!! وهذا لا شك أنه من الأوهام والتخييلات الـتي تروى بلا زمام.

التصوف ليلفت أهل حضرموت عن اشتغالهم بالعلوم الشرعية وجادة العلم وناديه ليدخلوا في شعب التصوف وواديه، وقد واجه الفقيه المقدم صراعا عنيفا ومواجهة صلبة خوفا من إصابة الجسد العلمي بهذا الدخيل في نظر الفقهاء الذين يرون تمايز المذهبين وافتراق الطريقين وأنهما لا يلتقيان كما قيل.

راحت مشرقة ورحت مغربا شتان بين مشرقا ومغربا

وقد توج هذا الصراح في أعلى مراحله بالهجران ولم يسلم الفقيه المقدم في ترقيه في مدارج التصوف بعد ذلك من توجيه أصابع النقد لما قد يبديه من شطحات من قبل معاصريه ممن هو على خط التصوف كالشيخ محمد بن علي باطحن - الذي تعرض له في رسالته تحفة المريد - فضلا عن غيره من الفقهاء مثل بافضل في الإنكار على ما نسب للفقيه من قوله: (ما لي حاجة إلى محمد ومحمده) الذي يأتي الحديث عنه في ذكر الشطحات.

وقد عرض محمد بن أحمد الشاطري في محاضرة سيرة السلف من بني علوي الحسنيين ببعض علماء تريم لما اعترضوا على منحى التصوف واعتبرهم يخافون من ضياع آمالهم العظمى التي يأملونها من زعامة وقيادة وإمامة وغيرها قال ولكن هؤلاء الناقمين يظنون أن الطريقة التي سيجري عليها سيدنا الفقيه وأتباعه وسلالته هي طريقة صوفية بحتة...[1] وهذا من باب إلقاء الكلام على عواهنه من غير نظر إلى سياق أو سباق للحادثة ومن السهل اتهام المخالف بظنون وهمية لا توجد إلا في الذهن حيث أنه لم يذكر أي دليل يؤيد ما ظنه.

الفقيه المقدم محمد بن علي الظفاري:

ولابد هنا من الإشارة إلى وجود إرهاصات كانت تبشر بدور الريادة الذي يضطلع بالفقيه المقدم الذي ارتبطت باسمه المدرسة الحضرمية وما يذكر عنه من امتلاكه مؤهلات تمكنه من السير في هذا الدرب تكمن في ما بثه من أحواله الغريبة في الرسائل إلى الظفاري، ومما هو جدير بالإشارة إليه في هذه المقدمة أسبقية التصوف في الظهور على يد الشيخ تاج العارفين وسعد الدين محمد بن علي الظفاري الذي أخذ العلوم الشرعية على يد محمد بن علي القلعي وسالم بن عبد الكريم بافضل ومحمد بن علي صاحب مرباط ثم رحل إلى تهامة وأخذ الطريقة القادرية وتحكم للصوفي الشهير عبدالله الأسدي (٢٥) سنة بأخذه عن الشيخ علي الحداد عن الصوفي عبدالقادر الجيلاني وقد توفي سعد الدين بالشحر سنة (٦٠٧هـ) ومن كلامه: القرآن دواء القلوب والأبدان، ما أعلم شيئا أقسى للقلب من أكل الشبهات، الجهل في العقائد أدى إلى الاختلاف ولو تحققوا لما اختلفوا.[2] وكان له سماع وتنسب له الكرامات كثيرة وقد ألف تلميذه باطحن كتابا في ترجمته وسماه أنس المستفيد وتحفة المريد.

ولما لم يجد الفقيه المقدم من يشفي غليله من فقهاء تريم في خطه الجديد الذي ارتضاه استعاض عنهم

---

(١) سيرة السلف من بني علوي (ص:٣١).
(٢) النفحات المسكية.

بمحمد بن علي الظفاري وأرسل له رسالتين فيها ما يرد عليه من الأمور الغريبة ومما ورد فيهما:

- إني أقع ما بين فزة واقشعرار ونزاع وذوبان في بعض الأحوال.
- إني كأني داخلني غير جنسي فإذا طلبت ما إليه غايته أجده يوجد لي عالما وصفة وحالا واستقرارا.
- إني في حالي الذي استفزني أجد حقيقة الذات.
- إني أجد الصورة المقابلة لي تشبه إنسانيتي وإ ا تأخذ من جميع جوارحي في لبا ا[١].

وقد قام شيخ بن عبد الله العيدروس - الحفيد - في السلسلة القدوسية بتفسير العبارة الأخيرة تفسيرا يتفق مع القول بالقطبية فقال (على قدر لطافة قلب العارف المواجهة للملكوتيات العلوية تنعكس عليه أشعة أنوارها وتتجلى لأسراره بأسرارها وإذا وصل العبد إلى هذا المقام سمي حينئذ عبد الله وناب عن الله في كل شيء ونال الخلافة العظمى وبلغ الولاية الكبرى. اهـ)[٢] ومما كتب إليه أيضا كما في الجوهر الشفاف أنه عرج به في ليلة سبع مرات![٣] وسيأتي بيان ذلك.

والملفت للتأمل في هذا المقام أمران أحدهما:عدم ذكر الدور الذي قام به محمد بن علي الظفاري في ريادة التصوف إذ أنه عكف نحو ربع قرن يتلقى الطريقة الصوفية من أقطا ا بل وسنده يعد عاليا إذ أن بينه وبين الجيلاني اثنان بل هو أعلى من ذلك فقد اجتمع الأسدي بالجيلاني حين وافاه في عرفات فأخذ عنه اليد وكان قد أخذها من ابن الحداد قبل هذا فيكون بينه وبين الجيلاني الأسدي فقط.[٤].

والثاني عدم إرتباط الفقيه المقدم بمحمد بن علي الظفاري بأخذ الطريقة القادرية مع قر ا منه بالشحر ولم يكن محتاجا لانتظار الخرقة المدينية من المغرب ولم تبِن لنا المراجع شيئا من هذين الإشكالين ربما يكون وراء ذلك خبيئة تكمن في مزاحمة محمد بن علي الظفاري للدور الريادي للفقيه المقدم والمسألة تحتاج إلى مزيد بحث.

---

(١) البرقة المشيقة (ص:٢٠٤) العقد النبوي (ص:٢٧٢).

(٢) (ص:٢) (٤١١).

(٣) (ص:٧٩) وقيل سبع وعشرين مرة وقيل سبعين مرة!!.

(٤) طبقات الخواص للشرجي (ص:١٧٩).

الفصل الثاني

التصوف العملي

أولاً: الرياضة وا اهدة:

إن التوحيد الذي يسعى الصوفية في تحقيقه والوصول إليه يتمثل في ما يسمونه بالفناء والكشف أو مشاهدة الأنوار، ومكاشفة الأسرار، حين يرتفع الحجاب، وقد عبر العيدروس في الكبريت الأحمر بأن الفناء حقيقة التوحيد فقال: (وحقيقة التوحيد ما قال الأكابر من الصوفية وهو محو البشرية وتجرد الإلهية.)[١] وقد تأخر الناس عن فهمه فضلا عن التحقق به (وليس مع الجميع منه إلا اسمه ولا يصل الواصلون إلا إلى القشر من رسمه إلا من فناه التوحيد عن توحيده، وانطمست كثرته في تفريده، فهو الواحد الموحد لنفسه، تعالت وحدانيته عن التوحيد!!)[٢] ثم حين يرجع عن الفناء ويصحو من المحو فإنه يـ ل مقام البقاء أو مقام الغوثية أو القطبية.

ولكن لا يتأتى الوصول إلى هذه الحقيقة إلا عبر الرياضة التي تؤهل صاحبها لتبوأ هذا المقعد، والرياضة هي مجاهدة النفس حتى تموت لتحيا بإشراق الأنوار والمشاهدة، وتتألف عند الغزالي من أربعة أمور هي (الخلوة - الصمت - الجوع - السهر) وهي التي يطلق عليها المتأخرون التصوف السني، أو العلوم الغزالية، أي طريق التربية وتصفية الذات وتطهيرها من رعونا ا حتى تطيق حمل السر وتنال المقصود وما يزال الصوفي يسعى في تحقيقها حتى يعانق المقصود، ويظفر بالكشف فيمتلك الخوارق كما تم تقريره (ولا يصل أحد إلى شيء من هذه الخوارق حتى تصير نفسه في غاية من اللطافة بواسطة الرياضة، ويتحقق بكتمان الأسرار، ويتعرى عن الحظوظ النفسية... والسالك وإن بلغ كل مبلغ في رياضة النفس ومجاهدا ا فلا بد وأن تبقى عليه بقايا من رعوناته وعوائده والتفات إلى الأكوان، فلا تنمحق تلك الرعونات بدون الفناء الصرف!!)[٣].

وقد صاغها شعرا مع الغاية منها أبو بكر بن سالم في التائية من الديوان بقوله:

فيا سالكا اسلك طريقة من نحا ودع من تمنى بالأماني الردية

وصم دهرك الباقي وقم فيه في الدجى وأصمت فإن الصمت فيه السلامة

وعش بالقناعة فهي كـ ومعدن وأدخل رياضات النفوس النفيسة

---

(١) ضمن ا موعة العيدروسية (ص:٦٦).

(٢) السلسلة القدوسية نقله عن العيدروس (٥٠٤/٢).

(٣) قال ذلك الحداد في إتحاف السائل (ص:٨٣-٨٥) وقال في العينية في صفات الولي وأحواله: جمع الرياضة والكشوف ولم يـزل يرقـى إلى أن يستجيب إذا دعي.

وأزهد ففيه نعمة الدين والدنا وكن سائحا فيها وخل الرئاسة

فتصبح مخطوبا لكل كريمة وتعطى لتصريف لقول المشيئة

فالنقل لا يفضي بالسالك إلى الوصول إلى الغاية بل لا بد من الرياضة القائمة على الأركان الأربعة وهي (الجوع والصمت والسهر والخلوة) قال علي بن أبي بكر السكران وقد جمعتها في بيت من قصائدي وهو هذا:

وأركان بنيان الرياضة عزلة وجوع وصمت مع سهاد مداوم

وربما استعاض صوفية حضرموت عن الصمت بالذكر وهو ما عليه الأكثرون.

فلا بد إذا من جهاد النفس بما يفيد مو ا بإرهاقها إرهاقا شديدا ذلك بأن النفس هي العدو الأكبر للإنسان، فجهادها إذا هو الأكبر عندهم، حتى تتمزق حجبها، فيصل السالك إلى بغيته وقد نقل العيدروس إجماع الصوفية على أن الحجاب بين العبد وربه هي نفسه وقال أيضا (والصوفية ماتوا قبل أن يموتوا، وأفنوا أنفسهم وغيرهم، قبل أن يفنوا)[1].

وعبر عن ذلك أبو بكر بن سالم بقوله من قصيدته التائية:

فموتي ا أصل الحياة فمت ا كئيبا فإن الموت في تلك راحة

وقال الحداد في شعره في المعنى نفسه:

الله لا تشهد سواه ولا ترى إلا هو في ملك وفي ملكوت

سافر إليه مة علوية حتى تراه وقل لنفسك موتي

وهكذا تم تقرير أن الرياضة وا اهدة والرقائق ترقق كثافة العبد فيرتقي إلى مرتبة أهل الصفات، ويتقدس عن كدورات النفس، وتنصقل جسمانيته بأوصاف روحانية، فيتمكن من الطيران في الهواء والمشي على الماء..!![2].

وقال أبوبكر العدني في قصيدة الوسيلة بالأولياء(قد اقتدوا ثم اهتدوا وشاهدوا فانتفى المحال) ففسر الحداد ذلك بأ م أحكموا الأصلين العلم والعمل به، وحسن الرياضة للنفوس بفطمها عن مألوفها ومعتادها، مع التوجه الصادق إلى الله تعالى، فتنورت سرائرهم، وانفتحت بصائرهم، فشاهدوا عالم الملكوت، وتحققوا بحقائق اللاهوت!! فانتفى المحال حينئذ، أعني انتفاء شهوده، وأما وجوده فلم يزل منتفيا...[3].

---

(١) انظر العرف العاطر (ص:٦١) والكبريت الأحمر. وأما حديث موتوا قبل أن تموتوا فقد ورد في كشف الخفاء أنه غير ثابت كما قال ابن حجر وقد أخذ أبو بكر العدني ما نسب للجيلاني بقوله مت ألف ميتة فصاغه شعرا فيكم قتلت ألف ميتة من قبل الحمام.

(٢) السلسلة القدوسية (٢٣٨/١).

(٣) إتحاف السائل (ص:٨٠).

وكتب متصوفة حضرموت ورسائلهم ووصاياهم ملأى بالحث على الاستمساك بالكتاب والسنة أولا، ثم الولوج في الرياضة وأركا ا ثانيا، وتوصلا إلى الكشف والمشاهدة أخيرا، ونحن هنا نذكر ما توادت عليه المصادر - لاسيما المتعلقة بالتراجم - من مجاهدات مشاهير الطريقة ننقلها من شرح العينية بما يغني عن غيرها:

- فالفقيه المقدم (ت:٦٥٣هـ) كان يتخلى في شعب النعير وقد (أقبل على ا اهدات العظيمة والمكابدات الشريفة السرية، والخلوات الغيبية، حتى ترادفت عليه الكشوفات، وسطعت على قلبه أنوار شموس المشاهدات، وانفجرت ينابيع الحكمة على لسانه من بحور العلوم اللدنية، والفتوحات الإلهية والعطايا الرحمانية).

- علي بن علوي بن الفقيه (ت:٧٠٩هـ) كان كثير الخلوة، وكان يجاور عند قبر النبي هود عليه السلام رجب وشعبان ورمضان.

- محمد بن علوي بن أحمد بن الفقيه (ت:٧٦٧هـ) مكث أربعين يوما ولم يأكل فيها إلا مدا ونصف وغاب عن أهله سبعة أيام فوجدوه يصلي في شعب النعير.

- السقاف (ت:٨١٨هـ) كانت له ا اهدات العظيمة لم ينم ثلاثا وثلاثين سنة وكان يمكث على الكف من الطحين ليالي.

- أبو بكر السكران (ت:٨٢١هـ) مكث أحد عشر شهرا لا ينام ليلا ولا ارا.

- عمر المحضار (ت:٨٣٣هـ) (كان في بدو أمره كثير ا اهدة ويرى كأنه عليل ومكث نحو ثلاثين سنة لا يأكل التمر ويقول التمر أحب الشهوات إلي فلذلك منعته نفسي ومكث خمس سنين لا يأكل شيئا ما يقتاته الناس هكذا رواه عنه عبدالله العيدروس ومكث شهرا في ريدة المشقاص لا يذوق إلا الماء ومع ذلك لم ينقص من قوته ولا من اجتهاده شئ ولا من مواقعته للنساء وطوى مرة أخرى أربعين يوما لم يذق فيها طعاما ولا شرابا[1] وأخذ مجاورا عند قبر النبي هود عليه السلام بحضرموت شهرا لم يأكل سوى رطل سمك).

- عبدالله العيدروس ت٨٦٥ هـ ابتدأ في مجاهدات النفس وهو ابن ست سنين وكان إذ ذاك يقتات من ثمر العشرق ومكث سنتين يفطر على سبع تمرات إلا شيئا من الليالي....

- أبوبكر العدني العيدروس (ت:٩١٤هـ) كانت له الرياضات العظيمة لم ينم عشرين سنة وكان في صغره يخرج هو وابن عمه الشيخ عبدالرحمن بن علي إلى شعب في تريم يتعبدان فينفرد كل واحد منهما بقراءة عشرة أجزاء من القرآن في الصلاة ويرجعان قبل الفجر.

---

(١) وتفسير طي أربعين يوما ونحوها - كما في العرف العاطر - لأحد أمرين إما نور التجلي الغالب عليه بحيث يمنع النفس من تصرفها في البدن بالتحليل والتغذية وإما الفرح بربه فإن برودته تذهب بحرارة الجوع.قال وحينئذ يتحقق صاحب هذه الحالة معنى قوله (أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني) أي تسكن نفسي في المقام الروحاني عند الحضرة الإلهية تطعمني مذاق تجليها وتسقيني شراب محبتها فيصير عوضا عن الشراب والطعام المحسوسين (ص:٧٣-٧٥).

- عبد الرحمن بن علي السكران (ت:٩٢٣هـ) من وصاياه (الله الله في العزلة عن الناس إلا عند الضرورة ودم على تلاوة القرآن وقولة لا إله إلا الله ولا تترك قيام الليل أصلا فإن الخير كله جمع فيه وما عقد ولاية لولي من أولياء الله إلا بالليل.. وقال بعض الصالحين عليك بالسهر وإن لم يكن بعبادة فالمراد الاستيقاظ فإن استطعت أن لا تكون آخر الليل إلا مستيقظا فافعل والله الله في الصمت والذكر وأن لا تتكلم بغيره إلا فيما لابد منه).

- أما معروف باجمال (ت:٩٦٩هـ) كانت مجاهداته كثيرة لم ينم خمس عشرة سنة ولم يأكل ولم يشرب مثلها وقد يحصل له بعض الليالي أنه يذكر الله أربعين ألف مرة ما بين تسبيح و لميل وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم[١].

- وأبو بكر بن سالم (ت:٩٩٢هـ) طوى ثلاثة أشهر في وادي يبحر صائما متعبدا لا أنيس له ولا جليس ومكث خمسة عشر سنة لم يطعم غير اللبن والقهوة البنية وقد يطوي الأسبوع والأسبوعين وقد تمضي له السنة لا يغمض العين[٢].

غير أن مجاهدات عبدالله بن محمد باعباد (ت:٦٨٧هـ) -تلميذ الفقيه المقدم- ومريد أحمد بن الجعد اليمني -قد بلغت أربعمائة ركعة في كل يوم وليلة قال: أقمت في مسجد الخوقة بشبام- اثني عشر سنة في الرياضة والعبادة معتكفا لا أجاوزه إلى غيره إلا الجمعة أو الدار لقضاء الحاجة، ولا أعرف شيئا من أحوال الناس في هذه المدة حتى سعر البلد ما أدري ما هو، ولا أسأل عن شيء من أمور الدنيا إلا ما يتعلق بالدين.[٣].

وهذا لا شك أنه خارج عن الهدي النبوي فإن النبوي صلى الله عليه وسلم كان يقوم وينام ويصوم ويفطر ويتزوج النساء كما ثبت في الصحيح.

الخلوة ودخول الأربعينية:

أنشأ المتصوفة -ومنهم بعض الحضرميين- الأربعينية، قال خرد باعلوي في الغرر: وكان من بركة جبال تريم أ ا كانت ا خلوات صالحيها وأربعينيا م[٤].

وقد اختار الصوفية الخلوة وعملوا ا لكو ا تبديل الصفات المذمومة وأضافوا إليها الصمت والجوع والسهر قيل و ذه الأربع صار الأبدال أبدلا:

بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا في من الأبدال

---

(١) شرح العينية (١٥٧-١٧٥-١٨٤-١٩٢-١٩٤-١٩٦-٢١٠-٢١٤-٢٢٠-٢٣٤) وقد عقد علوي بن طاهر الحداد عنوانا في عقود الألماس في الرياضة وكذا انظر عقد اليواقيت (٦/١-٧).

(٢) أغلى الجواهر (ص:٧٧).

(٣) عقد اليواقيت لعيدروس بن عمر (١٢٥/٢).

(٤) (ص:٩٠).

ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر الـ يه الغالي[١]

وما اشتهرت الأربعينيات عندهم ما اشتهرت عند العيدروس من حيث شروطها وكيفيتها وآدا ا وقد نقل عنه في اختصار السلوك وصية:

(الخلوة خلوة ثلاثة أيام، وخلوة أسبوع، وخلوة أربعين يوما، فأما خلوة ثلاثة أيام: فهي الإثنين والخميس والجمعة، ولها وظائف دوام الذكر بالليل والنهار والاعتزال في زاوية، وأكلة بعد العشاء، وترك النظر إلى الحرام، ولا ينام حتى يقول قبل النوم على طهارة في خلوة وحده: يا كريم يا رحيم ألف مرة، والصلاة على النبي ألف مرة، فقد صح فتح لجماعة في هذه. وأما خلوة الأسبوع: فبالصوم والعزلة والسهر والذكر إلا من ضرورة، وترك ذكر الدنيا وأهلها، وكذلك خلوة الشهر، والأربعينين)[٢].

وقوت من يدخر الأربعينية أن يقنع بالخبز والملح ويتناول كل ليلة رطلا واحدا يتناوله بعد العشاء، وإن لم يصبر على الإدام تناول الإدام، وإن كان الإدام يقوم مقام الخبز ينقص من الخبز بقدر ذلك، وإن أراد التقليل يزن قوته بنوى دقل خفيف وينقص كل ليلة حبة من نوى ذلك التمر[٣].

وقد يدخل المريد الخلوة فما يلبث ا إلا قليلا فيصل إلى المقصود وقد أدخل العيدروس أخاه عليا الخلوة سبعة أيام وأمره بقراءة أسماء الله الحسنى بغير صيام فما مضت تلك الأيام إلا وقد برز له بكل حرف من حروفها جسم روحاني، وأدخل ابنه أبا بكر العدني الخلوة أيضا ثم أمر بإخراجه بعد سبعة أيام وقال لا تحتاج إلى رياضة أصلا بحمد الله[٤].

وكان العيدروس يشير إلى خلوة مختصرة وهو أن يخلى المريد ليلة الجمعة، ويومها مع ملازمة الجوع والسهر والصمت، وترك مخالطة الناس مع إدمان التوجه إلى الله والعكوف على الذكر والتلاوة وهو القائل اعصر جسمك با اهدة حتى تستخرج منه دهن الصفا، وكذا يقول إن الكنوز كل الكنوز في دفائن ا اهدات[٥].

وممن دخل أربعينيات سعد بن علي مذحج (ت:٨٥٧هـ) كان يحب الخلوات في الخرابات ورؤوس الشعاب والفلوات شديد المكابدات وا اهدات من الجوع المفرط والصوم والصمت المتناهي والحزن المتواصل

---

(١) الكوكب الزاهر لأحمد بن عمر بن سميط (ص:٢٦).

(٢) عقود الألماس (ص:٨٨).

(٣) الكوكب الدري نقلا عن العيدروس الأكبر تأليف أبي بكر العدني (ص:٤٩).

(٤) شرح العينية (ص:٢٠٠-٢١٤).

(٥) مكاتبات الحداد عن عقد اليواقيت (١٠١/١) وانظر العرف العاطر (ص:١٢٧) وفي وصية لأحمد بن حسن العطاس أ ـا أربعينيـة مختـصرة وأضاف الخميس إلى الجمعة الخميس. وانظر عقد اليواقيت (١١٩/٢).

وكان طوى أربعين يوما لم يأكل فيها شيئا.[1] وكذلك علي بن سالم بن شيخ (ت:١٢٩٦هـ) في أولياته دخلها مرتين مروضا نفسه على الصوم والإفطار بلقيمات[2].

وتصل الخلوة أمدها حين تغلق على صاحبها الأبواب من شدة الواردات كما نسبوه لأبي بكر السكران[3].

هذا بالنسبة للخلوة وأما السياحة فالإشارة إلى وجودها قليل جدا بل هي ليست من الطريقة الحضرمية كما ورد في رؤيا صالح بن عبد الله العطاس (ت:١٢٧٩هـ) حين هم بالسياحة مع الدراويش والخروج إلى القفار والبراري ليهيم بسبب شدة الجذب فإذا بسلفه يقولون له إن هذه ليست طريقتنا، ويورد السواح قصصا عجيبا في سياحتهم، كإيراد عيدروس بن حسين العيدروس قصة غريبة، حين سافر مع ثلاثة من السواح على قدم التوكل والتجريد إلى السند[4].

ثمار ا اهدات:

قال عيدروس بن عمر الحبشي (ت:١٣١٣هـ) في عقد اليواقيت: (وأنتجت لهم تلك ا اهدات علوما ومعارف وكشوفات، فملؤوا الدفاتر بآثارها وتحدثوا بما أنعم الله عليهم به كما في الكتاب ا يد..).

قلت: وهذه الدفاتر المشار إليها آنفا هي أمهات المصادر التي تعج بالحديث عن الخوارق والكرامات، وما ذكروه من شطحات أفاض ا لسان الجمع بعدما أفضت إليها ا اهدات سنعرض له في فصل خاص، خلافا لما ينوح به الذين يتوارون من ذكرها مع أن بعض أربا ا يصرح أنه قالها تحدثا بالنعمة وعملا بالأمر الوارد في ذلك وقد نسبو للجيلاني:

وما قلت هذا القول فخرا وإنما أتى الإذن حتى تعرفون حقيقتي

قال مؤلف عقد اليواقيت معلقا: فهذا لمن انكشفت له حقيقة نفسه الشريفة وانقشعت عنها الحجب الكثيفة ووصلت إلى عالمها العلوي! وانفصلت عن قالبها السفلي، وصارت نفسه مطهرة قدسية، وروحه طاهرة إلى أوطا ا العلوية، فحينئذ تكون لها الكرامات وخوارق العادات، والانفعالات التصريفية،والكشوفات الغيبية[5].

---

(١) والدر المدهش البهي في مناقب سعد بن علي (ص:٣٣) وانظر الكواكب الدرية وقد ذكر هذه الخلوة وآدا ا وطرق الدخول فيها محمد بن عمر بحرق الحضرمي المتوفى (٩٣٠هـ) في رسالته ترتيب السلوك إلى ملك الملوك.

(٢) نقلا عن فيض الله العلي للمذكور كما في تعليقات عبد الله بن محمد السقاف رحلة الأشواق القوية (ص:٤٩).

(٣) المشرع الروي (٣٣/٢).

(٤) تاج الأعراس في مناقب صالح بن عبد الله العطاس (٥٤/١-٢٠٣) وفي القصة لقاءهم بيهودي رأى الإمام علي وحضر واقعة خيبر.

(٥) عقد اليواقيت لعيدروس بن عمر الحبشي (٧/١) وقال الحداد (ولو توجه العارف إلى جبل ليزول أو بحر ليغور لكان ذلك بقدرة الله تعالى ولا يصل أحد إلى شيء من هذه الخوارق حتى تصير نفسه في غاية اللطافة بواسطة الرياضة ويتحقق بكتمان الأسرار وتعرى من الحظوظ النفسانية) ذخيرة المعاد (٣٤).

وهذا يدل على اغتراب الفكر الصوفي في نزعته الفلسفية عن معاني الإسلام من خلال التأثر بمناهج أجنبية حاولا صياغتها وصبغتها بالرؤية الإسلامية حين تقود هذه الرياضات والمجاهدات إلى انكشاف الحقائق وتجعل السالك على استعداد لتلقي المعارف والعلوم والكشوفات وهو أيضا مسلك أهل الوحدة على لسان ابن الفارض بقوله:

فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصفت سكونا عن وجود سكينة

فمن بعد ما جاهدت شاهدت مشهدي وهادي لي **إياي بل** بي **قدوتي**

ويرى ابن خلدون في فتوى له عن التصوف أن للمتصوفة طريقتين الأولى هي طريقة السنة والثانية مشوبة بالبدع وهي طريقة قوم من المتأخرين يجعلون الأولى وسيلة إلى كشف حجاب الحس لأنها من نتائجها ومن هؤلاء ابن عربي وابن سبعين...[1].

فالرياضة حين يتوصل من خلالها إلى الكشف تعد مسلكا مخالفا نعاه ابن القيم، وعناه بكلام قيم، قال فيه: ومن كيد الشيطان ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والخلوات وأبرزه لهم في قالب الكشف، والكشف عند الصوفية الزعم بالإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية وجودا وشهودا وعندما أبرز لهم في قالب الكشف من الخيالات أوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقا إن هم سلكوه أفضى بهم إلى الكشف والعيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فزين لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي ما عليه أهل الدنيا وأهل الرئاسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء حتى يتنفس فيه الحق بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد من أنواع الباطل وخيله للنفس حتى جعله كاشفا وعيانا...[2].

ثانياً: الغزالي في الفكر الصوفي الحضرمي:

لصوفية حضرموت ولع بالعلوم الغزالية في إطار التصوف العملي أيما ولع، بعد ما قرروا أن طريقتهم ظاهرها غزالية، وذلك للاحتراز عن كتب التصوف المشتملة على الحقائق المجردة، والمنطوية على عقائد فاسدة، فعدلوا في أول السير إلى الالتزام بما شرحه وقرره الغزالي في كتبه لاسيما الإحياء منها، الذي اعتنوا به قراءة ومطالعة ومدارسة، فمنهم من قرأه أربعين مرة، ومنهم من قرأه سبعين مرة، ومنهم من حفظه[3].

قال عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في الصفة الصفية مشيرا إلى علوم الطريقة:

---

(١) الفتوى نقلت في كتاب نشأة الفلسفة الصوفية (ص:٢٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

(٣) عقد اليواقيت (٦٥/١-١١٧) أغلى الجواهر (٣٠).

ولكن علوم القوم أولى علومهم يعومون فيها في بحار الحقيقة

وفي كتب الطوسي حجة عصره لهم رغبة لله من خير رغبة

ولكن حوى الإحياء ما في جميعها فأحيا به المحيي حيا كل سنة

وقد بالغ أفراد منهم - أصلح الله طريقهم - في مدح الإحياء والإطناب فيه إلى حد خرج إلى الغلو الممقوت، نذكر هنا ما نقل عنهم معزوا لصاحبه:

- قال السقاف: من لا يطالع في كتاب الإحياء ما فيه حياء.

- وقال العيدروس: لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في الإحياء.

وقال أيضا: من حصل كتاب الإحياء وجعله في أربعين مجلدا ضمنت له على الله الجنة! قال الشلي في المشرع الروي معقبا: فتسارع الناس في ذلك منهم العلامة عبدالله بن أحمد باكثير وزاد في تزيينه وجعل لكل جلد كيسا، فلما رآه العيدروس قال زدت زيادة حسنة تحتاج إلى زيادة، قال أريد أن أرى الجنة في هذه الدار فأجابه الشيخ إلى ذلك! ثم قال له: لا يمكنك الجلوس بعدها فارحل.

وقال عبد القادر بن شيخ العيدروس لما بلغني أن سيدي الشيخ عبدالله العيدروس قال من حصل كتاب إحياء الدين وجعله في أربعين مجلدا ضمنت له على الله الجنة فحصلته كذلك بهذه النية ولله الحمد وفي موضع آخر من المشرع عنه: كتبت مؤلف تعريف الأحياء بفضائل الإحياء بسبب هذا الباعث ورجوت أن يتناولني دعاؤه.

وفي ذلك يقول الحداد مبينا ما نقل عن العيدروس في الإحياء شعرا:

قد أطنب الشيخ الإمام بوصفه أبو المكرمات العيدروس حبيبنا

- وقال علي بن أبي بكر السكران: لو قلب أوراق الإحياء كافر لأسلم.

- وأخذ شهاب الدين أحمد (ت:٩٤٦هـ) كتب الغزالي عن مصنفها بطريق الغيب ذكره بافضل في صلة الأهل، وفي المشرع الروي أنه اجتمع بالغزالي في داره بتريم وطلب منه الإجازة في جميع كتبه فأجازه.

- وقال الحداد في النصائح: وجميع ما في الإحياء لم يؤلف في الإسلام مثله في فنه(١).

- وقال أبو بكر العيدروس: كاد الإحياء أن يكون قرآنا(٢).

- وقال أبو بكر بن عبد الله العطاس (ت:١٢٨١هـ) قال لي شيخي الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر صاحب المسيلة: إني انتقيت من الإحياء ما هو الأصل والزبد، وأودعته في خطبتي، وأرجو لمن حصل منها

---

(١) انظر في ما سبق شرح العينية (٨٩-٩٢) المشرع الروي (٢/٦٤-١٤٩-١٥٠-١٥٤) صلة الأهل (١٧٨).

(٢) انظر العلم النبراس لعبد الله بن علوي العطاس وقد أتى هذا القول منسوبا للنووي في شرح العينية (ص:٩١).

أربعين نسخة أن له الجنة كما قال العيدروس من نسخ أربعين جزء ضمنت له الجنة!![1] وسيأتي الحديث عن الضمان بالجنة في موضعه.

والمتأمل للإحياء يرى أن الغزالي قد شحنه بما يشينه من أحوال التصوف الفلسفي بل نجده يقول في بيان المرتبة الرابعة من التوحيد أن لا يرى في الوجود إلا واحدا وهي مشاهدة الصديقين ويسميه الصوفية الفناء في التوحيد ويشرح هذه المرتبة فيقول والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث أنه كثير بل من حيث أنه واحد... قلت: وتشير إلى هذا المقام عبارات الصوفية بالمقام الرابع. كما أنه أورد فيه من شطحات الصوفية ما يعيبه.

وما أحسن شعر عمر بن حمير التباعي اليمني حين قرأ الوسيط والوجيز للغزالي في الفقه فقيل له بقي ما ألف في الأصول فأنشأ يقول:

أحب فروعه وألحّ فيها وأكره ما يصنف في الأصول

لأن مقاله فيه مقال لأرباب الشريعة والعقول

فلست بخائض ما عشت فيها لأسلم من خطيرات الدخول

أدين أصول أحمد طول عمري ولست إلى سوى قلبي يميل

والقول بالبعد عما كتبه في الحقيقة أولى وأوجب من البعد عما كتبه في الأصول والله أعلم.

ولله در ابن عقيل في تحذيره من الصوفية والمتكلمين بقوله: وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء - المتكلمين - الشك، وغاية هؤلاء - الصوفية - الشطح.[2].

ثالثاً: الذكر:

لقد استعاض كثير من الصوفية عن الصمت بالذكر، ورأوا أنه يعجل من الوصول إلى حقيقة التوحيد، وحضرة الوصال، فما يزال الذاكر يواظب عليه حتى يبلغ الغاية والذكر من هذه الحيثية ينسجم مع الغاية التي يمموا وجههم نحوها، ويعد أحد الأسباب الموصلة إليها.

وقد قرر ذلك العيدروس الأكبر في غير ما موضع من الكبريت الأحمر بيان ما يثمره هذا الذكر حيث قال: قال العلماء بالله: إذا وصل الذاكر إلى عالم الفناء اتصل به تصرف الحق، فصار حجر الذكر إكسيرا عزيزاً، وانقلبت محاسنه ذهباً إبريزاً، وأودع فيه من أنوار التنزيه والتوحيد ما ينتفي معه كل شرك وتشبيه، وتعطيل وتمويه، فيصفو بصفات التوحيد عن كدورات صفاته الذميمة ... وقال أيضا في حديثه عن الذكر

---

(١) حلاوة القرطاس في مناقب أبي بكر العطاس (١٤٧).

(٢) تلبيس إبليس (٣٧٥).

الطيب بأن يذكر ببذل وجوده عليه، وفنائه فيه، بمباشرة الحقيقة على مقتضى حقيقة قوله تعالى فاذكروني، ليبقيه على قوله أذكركم، وهو عبارة عن تجلي جماله الموصوف بالمذكورية لذاكريته، ليفنيه عنها ويبقيه بمذكوريته، ثم يكون المحو عما يذوقه من تجلي صفات الجمال ثم المحو والطمس عما يصادفه من تجلي صفات الجلال...[١].

وقال الإمام الحداد: (ومقصود الأوراد وروحها إنما هو الحضور مع الله تعالى فيها، فإذا واظبت على ذلك غشيك أنوار القرب، وفاضت عليك أنوار المعرفة، فعند ذلك يقبل قلبك على الله بكليته، ويصير الحضور مع الله سجية ... وعن هذا تنشأ الغيبة والاستغراق والفناء عما سوى الله تعالى، إلى غير ذلك من مواجيد أهل الله، وأصل ذلك كله الأعمال الظاهرة والمحافظة عليها)[٢] وقد نظم ذلك في الرائية بقوله:

وإن رمت أن تحظى بقلب منور نقي عن الأغيار فاعكف على الذكر

فإنك إن لازمته بتوجه بدا لك نور ليس كالشمس والبدر

ولكنه نور من الله وارد أتى ذكره في سورة فاستقر

إذا فالوصول إلى الغاية هو المقصود، والذكر يعد من الوسائل الموصلة بل هو أفضل من الصمت الذي قرره الفلاسفة، حيث يداوم السالك على الأذكار لتلحقه بالمقام المنشود، وأعظم الذكر الذي كثر الحديث عنه هو ذكر التوحيد أو الجلالة بمراتبه الثلاث وهي: لا إله إلا الله بالنفي والإثبات ثم الله: مجردة عنهما، ثم الضمير هو. ويعد الذكر بقول (هو) من أنفس الأذكار وأعلاها لأن السالك يصل به إلى عالم الأسرار حسب ما جاء في تقسيم العيدروس في الكبريت الأحمر بقوله: (إن مكاشفات القلوب بذكر لا الله إلا الله، ومكاشفات الأرواح بذكر الله، ومكاشفات الأسرار بذكر هو..)[٣] ويلقن هذا الذكر المريد منذ أن يضع قدمه في عتبة التصوف ويلبس الخرقة إيذانا بالالتزام لشيخه.

وقد بلغت عدة الذكر أرقاما كبيرة تصل إلى المئات والآلاف، فكلما زاد عدد الأذكار حصل الذاكر على كثير من الأسرار، وقد نسب إلى أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (ت:٨٦٩هـ) أنه كان يقول لا إله إلا الله في كل يوم سبعين ألف مرة!![٤] وأما أبو بكر بن عبد الله العطاس فقد كان يأتي في اليوم والليلة باثني عشر ألف من لا إله إلا الله، وباثني عشر ألف من الله، وباثني عشر ألف من هو[٥] وأيضا ورد أن سالما بن عمر العطاس صاحب الشحر إذا زاد على الألف يقفلون عليه الباب ولا يفيق إلا بعد ثمانية أيام[٦].

(١) الكبريت الأحمر (ص:٧٦) وانظر أيضا النفحة المدنية في الأذكار القلبية.

(٢) ذخيرة المعاد (٦٠).

(٣) الكبريت الأحمر (ص:٧٧).

(٤) المشرع الروي (٥٠/٢).

(٥) تاج الأعراس (٣٩١/١).

(٦) تذكير الناس (١٠٩).

ولا تخلو الأذكار التي رتبها الشيوخ للعامة - تحصينا لعقائدهم من الفرق المنحرفة كالقدرية والمعتزلة - وأكثرها مستقاة من المأثور من إدخال عليها هذه المسحة المذكورة كراتب الحداد وعمر بن عبد الرحمن العطاس مثلا فقد قيل أنه لما بلغ محمد بن أبي بكر بانافع أن من قرأ الجلالة بأدب وحضور ونية وأتم الجلالة مائة ألفا في راتب الحداد لا بد أن يظهر له شيء من الأنوار والفتوح، ويظهر له شيء من عالم الملكوت، رتبه كذلك مع جماعة من أصحابه، فلما كانوا في أثناء الجلالة جعل المكان الذي هم فيه يدور م!! فكفوا عن ذلك يعني ختموا الراتب على ما معهم من الجلالة...(١).

وربما كانت قراءة القرآن تتوافق مع هذه الغاية أيضا عند بعض العارفين كما نقل عن عمر المحضار بقوله إذا الصالحون قرأوا القرآن أفنوا الحروف ثم أفنوا الصوت ثم يقعون بعد ذلك في بحر ثم يضمحل ذلك البحر ويبقون معلقين في الهواء يعني مع الهيبة والتعظيم ونحن ندخل في هذا عندما نقرأ ما ننسخ من آية أو ننسها..(٢).

أنواع من الذكر:

وهناك أنواع من الذكر ناشئة عن مذهب الغلاة كالذكر الخفي، أو ما يسمونه الطي، فالذكر الخفي نسب إلى محمد بن علي في قوله: إنا نذكر الله باللسان والقلب ثم نفني الحروف ثم نفني اللسان فتبقى في القلب شمعة من نور متصلة بالله تعالى قال في السلسلة القدوسية وذلك إشارة منه إلى الذكر الخفي والله أعلم(٣).

وأما الطي في الذكر بحيث يقرأ الأذكار الكثيرة في لمحة بصر، أو في نفس واحد، فقد نقلوه عن عمر المحضار الذي تلا اسم اللطيف ألف مرة في نفس(٤).

هذا فيما يتعلق بالأذكار التي تعد حلقة في سلسلة التصوف العملي، وأما ترتيب الأوراد للعامة والأتباع فإ ا من عمل الشيوخ وسيأتي الحديث عنها.

السبحة وارتباطها بالذكر:

مما ارتبط بالذكر عندهم السبحة التي تسمى حبائل الوصل، كما قال باسودان في الذخيرة حينما تكلم عن التسبيح بالأنامل قال: لكن السبحة أولى من حيثية لأن الصوفية يسمو ا حبائل الوصل!! ووردت فيها آثار فأفردها الجلال السيوطي بتأليف، وكلام الجنيد سيد الطائفة فيها مشهور، وحسبك تنصيص حجة الإسلام عليها!!(٥).

---

(١) ذخيرة المعاد شرح راتب الحداد لباسودان (ص:٥٥) - القرطاس شرح راتب العطاس لعلي بن حسن العطاس (٩/١).

(٢) الجوهر الشفاف ترجمة المحضار وسيأتي السر في التنصيص على هذه الآية.

(٣) (ص:٩٣٦).

(٤) شرح العينية (١٩٣) وستأتي الإشارة إلى الطي عند مناقشة الشطحات.

(٥) ذخيرة المعاد.

وورد أن من اتخذها عد من الذاكرين الله كثيرا في الحديث الذي رواه أحمد بن حسن العطاس عن شيخه أبي بكر عبد الله العطاس قال كان السيد أحمد بن علي بحر القديمي يجتمع بالنبي يقظة! فقال: يا رسول أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسطة فقال له النبي أحدثك بثلاثة أحاديث:

الأول: ما زال ريح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة.

الثاني: من اتخذ سبحة ليذكر الله ا كتب من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

الثالث: من وقف بين يدي ولي حي أو ميت فكأنما عبد الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرباً، إرباً.[1].

قلت: وفي هذا السند انقطاع يبنه كما في حلاوة القرطاس أن أبا بكر بن عبدالله أخذ عن شيخه عبدالله بن أحمد باسودان وهو عن شيخه القديمي.

ولا يحل نسبة هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث أن الاجتماع بالنبي يقظة والسماع منه بلا واسطة متعذر ومستحيل، ويعد من الشطط في القول، وهو يعد في كثير من التراجم مصدرا للتلقي إضافة إلى الاجتماع بالخضر والكشف وسماع الهواتف حتى جعلوا سلطانة بنت علي من الذين لا يسبقون في هذا المضمار كما حكاه الشواف في قصعة العسل:

إذا بغت علم واخبار جاها النبي لما الدار ظاهر تشوفه لابصار يحكي لها شيء لله.

ودعوى رؤية النبي يقظة لم يقل ا أحد من الصحابة ولا سلف الأمة، مع ما مرت م من فتن لم يشاهدوا خلالها رسول الله، والذي صح رؤيته عليه الصلاة والسلام في المنام على الصفة التي كان عليها لأن الشيطان لا يتمثل به، ولا يترتب على رؤيته في المنام أحكام تشريعية ولا علوما فضلا عن تخييلات الصوفية وأوهامهم في الرؤية يقظة حين يتلقون علوما ومعارف ولا شك أن هذا السبيل يؤدي إلى طي بساط الشرع حين يلج من خلاله المنحرفون بتشويه الدين بحجة الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم.

رابعاً القهوة البنية:

وترتبط القهوة بأمرين في مسألة الرياضة وهي علاقتها بالذكر من ناحية، ومن ناحية أخرى بالسهر الذي يذكرونه فإن القهوة تعد من المنبهات (وأقوال الصوفية فيها أكثر من أن تحصر والظاهر من أقوالهم أ م إنما حرصوا على شر ا لما فيها من التنشيط للعبادة، والقيام في الأسحار، فلم يحرصوا عليها تلذذا ا، ولا لمنافع

---

(١) تذكير الناس (١٩٣) ونقلا عن غاية المراد نسب إلى الحداد أنه قال إذا أشكل علي الحديث أصحيح أم ضعيف أخذته عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير واسطة انظر النهر المورود (ص:١١٠).وكذلك ما ذكر عن سفينة البياض التي ناولها الروس لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس فما سأله علماء مصر عن شيء إلا أجا م منها ولما أخذوها منه دخلته حالة فأكل القناديل إلى آخر الحكاية من تاج الأعراس (٣٤٣/١) وفيه أيضا (١٠٨/١) أن صالح بن عبد الله شيخه رسول الله. وفي لمعة النور أن عبد الرحمن بن محمد المشهور - أحد المتأخرين بتريم - اجتمع بالنبي يقظة وأجازه في ذكر التوحيد (ص:١٢٧).

أخرى بل للاستعانة ا على الطاعات)[1] ولشدة اهتمامهم ا ظن ابن العماد الحنبلي أن مكتشفها هو أبو بكر بن عبدالله العيدروس المتوفى (٩٠٩هـ)، وليس ما ظنه بصحيح. فإن علويا بن طاهر الحداد روى عن شيخه أحمد بن حسن العطاس عن شيخه أبي بكر بن عبد الله العطاس كيف كان بدء القهوة فقال: إن الشيخ عمر بن علي الشاذلي استخلفه الله في الوجود!! وولي القطبية! وسلط الله الجن على الإنس في وقته فطفق الجن يخطفون الناس فشق ذلك على الشيخ واتفق بالخضر!! وقال له كيف هذا لم يقع إلا في نوبتي، فدفع إليه عودين من شجرة البن، وقال اغرسهما واطبخ ثمرهما وأمر الناس يطبخو ا في بيو م، يدفع الله عنهم شر الجن! ففعل ذلك فأذهب الله عنهم كيد الجن![2].

أقوال بعض المشايخ في فضائل القهوة:

- قول عمر بن سقاف في كتابه تفريح القلوب: ثم اعلم أيها القلب المكروب أن هذه القهوة قد جعلها أهل الصفا مجلبة للأنوار والأسرار، مذهبة للأكدار[3].

- وكان أحمد بن محمد الحبشي صاحب الشعب (ت:١٠٣٨هـ) يحب القهوة ويأمر بشر ا ويقول ثلاث نعم اختص ا المتأخرون: شرح الحكم لابن عباد، وديوان الفقيه عمر بامخرمه، والقهوة البنية[4].

قلت: والذي ورد في القرطاس نسبتها إلى عمر بن عبد الرحمن العطاس (ت:١٠٧٢هـ) بقوله زاد المتأخرون عن المتقدمين بثلاث خصال ثم ذكرها...[5]، وللتوفيق بين هذا التعارض ثلاثة وجوه: فإما أن يحمل ذلك على تعدد الرواية، وإما أنه حصل وهم من أحد الناقلين، وإما أن الرواية واحدة فتنسب للمتقدم، ونقلها عنه المتأخر بحذف إسناد.

- وقال الشيخ أحمد بن علوي باجحدب (ت٩٧٣هـ): من مات وفي بطنه شيء من القهوة لم يدخل النار. وقال فنجان من القهوة عندي خير من أربعين حالا.

- وقال عبدالرحمن بن محمد العيدروس في رسالته إيناس الصفوة بأنفاس القهوة ما ملخصه: اعلم أن مما عجله الله تعالى لهذه الأمة المحمدية من ملذوذات الجنة ومشتهيا ا القهوة المتخذة من بذر البن، أو قشره، ولم

---

(١) انظر تفريح القلوب وتفريج الكروب لعمر سقاف السقاف (ص:٨٨).

(٢) بشائر وطوالع سعود (ص:٤٣) بقراءته عليه في - الباب الثالث عشر من خطبة سفينة الأرباح - وفي البشائر أيضا أن الشيخ السودي كان مغرما بالقهوة وكان يطبخها لكل من يرد عليه كائنا من كان وربما طبخها برجليه!! والذي أنشأها باليمن في أواخر القرن الثامن - كما في تفريح القلوب - هو أبو الحسن علي، المشهور بالشاذلي انظر (ص:٨٦)، وانظر تاج الأعراس (١٤٥/١).

(٣) (ص:٣) والعجب من تقديم حسنين محمد مخلوف حين ترك كثيرا مما ورد في الكتاب فقال (وأما الحديث عن القهوة في آخر القسم الثاني فلا حاجة تمس إليه ولا وفاء الكتاب بالغرض المقصود يتوقف عليه وكان يصح الإستغناء عنه أصالة غير أنا ذكرنا منه آخر الكتاب بعد القسم الثالث مقتطفات طريفة لا تخلو من فائدة دون إطالة وإسهاب مع زيادات هامة في هذا الكتاب) (ص:٣) وقال في هامش صفحة (٨٨) (قد اقتطعنا في هذا الباب ما لذ وطاب واكتفينا بالرضاب عن العباب).

(٤) الكوكب الدري - ظهور الحقائق - المشرع الروي (٨٣/٢) وفيه أنه كان يعتني بكلام بامخرمه وبشرح الحكم لابن عباد.

(٥) نقلها عن القرطاس مؤلف تاج الأعراس (٨١/١) وانظر أيضا منه (٣٨٢).

تعرف في العصر الخالية، بل خص الله ا متأخري هذه الأمة.

- أبو بكر بن عبدالله العيدروس قال لابن عمه عبدالرحمن بن علي ما معنى قول الله تعالى (أولئك يجزون الغرفة) قال هي القهوة الصوفية الحكاية بمعناها(١).

ومن أشهر مشائخ القهوة من الصوفية بالإضافة إلى عمر بن محمد السقاف، عبد الرحمن عمر العمودي، وعمر بامخرمه، وأحمد عبد القادر باعشن، وعلي بن حسن العطاس(٢).

القهوة لما شربت له:

عبارة (القهوة لما شربت له) نسبت إلى أبي بكر بن سالم لما أتاه عبد الرحمن البصري المكي مستشفعاً بسره - كما قيل - في التأليف بينه وبين زوجته مكية، وكان الشيخ بيده فنجان قهوة وعنده روشن، فأخرج يده من الروشن وناول زوجته المكية الفنجان، وهو بتريم ورجعت يده خلية، فقال: أصلحنا شأنك يا عبد الرحيم بالشفاعة، هي لما نويت له.! ولما رجع عبد الرحيم إلى زوجته أخبرته بأن شخصاً مد لها فنجان القهوة وشربته، فرجعت المودة. وفي بعض نسخ المناقب زيادة: وبشره منها بولد عالم عارف فكان كذلك وحملت به فكان السيد عمر بن عبد الرحيم البصري! واحد زمانه علماً ومعرفة، ويحب الحضارم لأجل الشيخ، ويفتخر بنسبته إلى الشيخ مع جلالته(٣).

وفي بعض الروايات المختلفة - كما في النهر المورود - أن الرجل خطر له أن يطلب الدعاء فكاشفه الشيخ بوقوع الرضا! وفيها لو أردنا أحضرناها! وقد علق عبدالله بن أبي بكر باشعيب فقال (وقد اشتملت هذه الحكاية - الرواية الأخيرة - على خمس كرامات: الأولى: اطلاعه على خاطر الرجل! الثانية: صرف حال الزوجة من حالة الغيظ إلى حالة الرضا، الثالثة: تصرفه المؤذن به قوله ولو أردنا أحضرناهم! الرابعة: طي في المسافة البعيدة في ذلك، وفي مناولته لها الفنجان، الخامسة: التجزئ.

فانظر يا أخي القارئ هل يجوز إطلاق هذه العبارات والحكم على شراب القهوة بأنه لما شرب له مضاهاة بماء زمزم الذي صح فيه الحديث؟ وسيأتي التعليق على الكرامات.

ويعد عمر بامخرمه من أشهر مشايخ القهوة وقد تحدث عن آدا ا وشروط طبخها وتحضيرها - تعظيما لشراب القوم - ثم قال معرجا على من يتناولها من الصوفية:

---

(١) ظهور الحقائق - فيض الأسرار (١٢٠/٢) - محاسن الأوصاف (١٠٦).

(٢) حلاوة القرطاس في مناقب أبي بكر بن عبد الله العطاس (٣٠).

(٣) ظهور الحقائق - النهر المورود أغلى الجواهر (ص:١٣٨) - والمراد بعمر البصري هو صاحب الحاشية على هامش التحفة حيث تكلـم علـى عبار ا وبين موافقتها للنهاية وقد جردها محمد الكردي، وفي أغلى الجواهر واقعة الفنجان الثانية أيضا حين دخل عليه البكري مدرس الحـرم فقال له: يا شيخ بكري أشرفنا على زوجتك بمكة فوجدناها بالولادة متعسرة لها ثلاثة أيام أعطيناهم فنجان القهوة وقلنا لهم اسقوها فحـين أخذته ولدت غلاما مباركاً (ص:١٣٩) وانظر النهر المورود (ص:٧٣).

وإن تكن من رجال الدين زدت على هذا شروطا فخذ عني ا خبرا

طهارة مثل تطهير الصلاة وكن مستقبلا قبلة الإسلام مستترا

نقي سر بذكر الله مشتغلا في السر والجهر عما قد ذرا وبرا

كذا على شر ا قل يا قوي على إعدادها و ذا وص من حضرا

تقول ذاك عشرا بعدها مائة وستة فالتزمها تصحب الظفرا

وتشهد السر فيها قلت منبسطا فيها وتلمح ذاك السر حين سرى

قلت: وهذه شروط ما أنزل الله ا من سلطان وبضاعة كاسدة ولكنها راجت وقد أشار إلى البيت قبل الأخير من طرف خفي الحساوي فيما جمعه من كلام عبدالله الحداد في تثبيت الفؤاد بقوله (ورأيت مكتوبا عنه رضي الله عنه أنه يرتب قراءة الفاتحة، وآية الكرسي مع شرب قهوة الصبح، والفاتحة ولإيلاف في قريش وإنا أعطيناك الكوثر وقل هو الله أحد مع قهوة الظهر، ومع شرب قهوة السحر خاصة يا قوي ١١٦ مرة كما هو مأثور!!)(١).

فتأمل قوله (كما هو مأثور) ينكشف التأثر بما نظمه عمر بامخرمه آنفا.

خامساً: السماع:

ومما يعجل أيضا بجلب الأحوال وسرعة ورودها ضرب السماع فإن بعضهم -أصلح الله حالهم- يزعمون أن أرواح أهل المحبة تشتاق للقاء المولى فإذا جن الليل نادوا بالسماع فزادهم انزعجا إلى مطلو م، وقد كان السماع عبارة عن أوراد يجتمع عليها المتصوفة، وقصائد تؤدى بصوت واحد، ثم أصبح قصائد منظومة تنشد، في ا الس وتدور في غالبها حول ما يسمونه بالعشق الألهي، ثم تطور وأدخلت فيه آلات المعازف كالدف والنأي ليساعد على جلب الأحوال في أوقات سريعة، ثم مال ميلا شديدا عن هذه المراحل بدخوله في المعاطف الفلسفية ونشأت عنه الأحوال الغريبة. قال العيدروس - الذي ورد أنه قد يمكث شهرا أكثر ليله و اره في السماع إلا القليل - في الكبريت الأحمر: السماع على ضربين: أعني ما هو مباح - وهو لمن لا حظ له إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح.. والثاني هو المستحب وهو لمن غلب عليه حب الله والشوق إليه ولا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق إلى الله تعالى واستدعاء الأحوال والمقامات اللطيفة(٢).

---

(١) تثبيت الفؤاد (١٣/٢).

(٢) الكبريت الأحمر (ص:٧٩) والعقد النبوي (١٥٦/٢) وقال أبوبكر العيدروس شعراً:

تظن السماع سماع الدفوف

وأن التصوف لباسك صوف

أو الوجد هو التصدية بالكفوف

والسماع لا يكون في المسجد فحسب كما يظن البعض، بل قد يكون في الشوارع، وعند الأضرحة بل وفي الفلوات وقد نقلوا أن أبا بكر السكران ابن عبد الرحمن السقاف يدور بالسماع في شوارع تريم من العصر إلى المغرب، وهو كالسكران لا يشعر بشيء وكان يتمثل أبيات المحبة - وقد اشتهر بالسكر في المحبة - وذات مرة ورد عليه حال فأشار على الحداة وهو متكلف الجلوس، ومع قوة الوارد هتف به هاتف مرة بين المنبر والمحراب: قم يا سلطان بن سلطان، فقام واستدار في السماع دورتين، فامتلأ جسمه وعظمت صورته!! وتغير الصورة عند السماع قد نقلوه أيضا عن السقاف فقيل أنه يشاهد في السماع دائرا في المكان ذاهلا، وربما تعاظم جسمه إلى الخروج عن المألوف[1].

وقد أنشأ أبو بكر العدني السماع في فلاة من الأرض بمنطقة الغيوار حين عرض له قطاع الطريق وأخذوا متاعه ما عدا آلات السماع من القصب والطيران فجلس مع أصحابه حين حصل له أنس عظيم، وفرح جسيم يسمع قائلا:

هات يا حادي فقد آن السلو وتجلى عن سماء القلب الصدى

خل عنك الهم واترك قول لو لا تطع فيمن تشا قول العدا

إن أحبابي بوصلي قد دنوا وقمير البان عندي قد شدا

ساعتك لا تشتغل فيها بسؤ خل ما قد فات واترك ما بدا[2]

وقد تكون الرقة في السماع إلى حد الاستغناء عن الآلات ويكون التواجد بمجرد ذكر أبيات العشق والمحبوب، وكان علي بن علوي بن أحمد إذا تواجد غاب عن حسه حكي أنه سمع رجلا ينشد: امتلأ القلب من حب الذي يعشقه ما لغيره صار فيه متسع.

وكان جالسا في سطح داره فتواجد وطاح من أعلى الدار إلى أسفله ولم يصبه شيء.[3].

ما يحصل بالسماع:

وهم يرون أن بالسماع تنفتح لهم أمور عجيبة وغريبة من الأسرار والمواهب والمنح والعطايا من هذه العطايا شهود الجمال كما صرح به عمر المحضار حين تواجد مرة في السماع عند قبر هود ثم أنعم على الحداة

فلا يعتقد ذاك إلا سخيف

سماع الرجال شهود وحال

(١) انظر المشرع الروي (٣٢/٢) الجوهر الشفاف (١٢٢/٢) - شرح العينية (ص:١٨١) مواهب القدوس (١٦) وانظر تعليقات عبد الله بن محمد السقاف على الأشواق القوية (ص:٥٨).

(٢) قال علي بن حسن العطاس مؤسس المشهد كما في المقصد فاعلم أن الشيخ أبا بكر بن عبدالله العيدروس قد أطلعه الله الذي يقول للشيء كن فيكون بأنه سيكون لنا ما كان.انظر مشهد الإمام العطاس (١٠٧).

(٣) المشرع الروي (٢٢٩/٢).

بما أمكنه من النقد والثياب ثم جعل يستقرض من الناس ويعطيهم حتى لم يجد من يقرضه ثم قال لو كانت الدنيا بيدي كلها لوهبتها لهم بشارة بما فتح الله علي في تلك الساعة من شهود جماله!.

ومن العطايا إجابة الدعاء كما قال السقاف أن ولدي محمدا إذا دخل السماع حفت به الملائكة! وحين سألته امرأة أن يدعي لها أن يرزقها الله ولدا، فقال: اخرجي عند السماع فإذا رأيت ولدي محمدا يتواجد فاسألي الله أن يرزقك ففعلت!!..

ومن ذلك الاطلاع على الأسرار الخفية فقد وقع سماع بحضرة عبدالله باعلوي (ت:٧٤٣هـ) فطرقه حال فغاب عن المحسوسات ولم يظهر على ظاهره منه شيء، وتواجد ابن أخيه محمد بن علي وسقط على سجادة الشيخ فلما فرغوا قال الشيخ هل أحد تواجد فعلم أنه كان غائبا ثم قال إن لله عباد بينهم وبين مولاهم معاملة وأسرار خفية لا يطلع عليها غيره.

ومنها قول العيدروس حين ورد عليه حال عظيم والسماع يضرب بين يديه لما رجع من التربة إن الله بشرني بولد أسميه أبا بكر.

ومنها التولية حين أمر معروف باجمال بالسماع فوقع سماع عظيم وتواجد وقال إني أعطيت التولية والعزل من قاف إلى قاف[1].

أحوال بعضهم عند السماع:

وللصوفية أحوال عجيبة، وأمور غريبة، عندما يبلغ السماع أقصاه فكما سبق أنه ربما تعاظمت الصورة وامتلأ ا المكان، فقد يحصل العكس تمام عند آخرين فتضمحل إلى التلاشي وتصير كالماء، أو يلين الجسد حين يقع على قلو م من الروح ما يذيب أرواحهم كما نقلوه عن مولى الدويلة (ت:٧٦٥هـ) أنه كان إذا طرقه الحال يضطرب ويلين حتى أن بعضهم وضع إصبعه في جسده فانخسف محل إصبعه[2].

أو يذوب الداخل في السماع كالماء من شدة الوجد كما نسبوه إلى محمد بن علي مولى عيديد (ت:٨٦٢هـ) أنه غاب في السماع عن حسه وذاب حتى صار حجمة ماء ثم عاد إلى حالته الأولى فقيل لمحمد بن عقيل - راوي القصة - هذا كما وقع لصاحب الطرايفية فقال هذا أكبر حالا منه بشيء كثير لأن صاحب الطرايفية فارق الدنيا وهذا رجع إلى الحياة الدنيا.

وقال عبدالله العيدروس كنت كثيرا ما أشاهد سعد بن علي مذحج في حال التلاوة يذوب حتى يصير كالماء فلأجل هذا ربما فزع إلى مخالطة العوام وأهل الكثافات الطبيعية فسألته هل لك في مخالطتهم فائدة قال نعم بل فوائد كثيرة ربما هجم علي الحال حتى أخشى على جسمي أن يتلف فأقرب منهم لتعتدل لطافة الحال

---

(١) السلسلة القدوسية (٢٠١/١-٢٠٢-٢٢٩) ومواهب الرب الرؤوف (٦١٥).

(٢) فيض الأسرار (٢٣٧/٢) زاد ولم يزل في جنب الشيخ حتى توفي.

بكثافتهم[١].

وقد عللوا هذه الأحوال العجيبة بأنه قد دخل على قلو م من الروح ونسمات الألطاف الخفية ما يذيب أرواحهم قال مؤلف نشر محاسن الأوصاف: كما وقع لبعضهم أنه انذاب دما ووقعت روحه جواهر والقصة ذكرها شيخ بن عبد الله العيدروس[٢].

والأحوال تختلف بسبب الداعي لها فمنهم من يغلب عليه الخوف ومنهم من يغلب عليه الفرح والانبساط فيتسلى بالسماع فتكون دواعي السماع في هذه الحالة لتخفيف الوارد لا لجلبه أو زيادته وهذه الدواعي ستكون مضادة للأسباب الأولى من هذه الحيثية وقد نقل ذلك عن العيدروس بقوله: نزل علينا شيء من الملكوتيات فخفنا على الجسم أن يتغير فضربنا السماع أردنا أن ينفس علينا وقال ورد علينا من الواردات فخشينا أن يخرج منا شيء من الشطحات الإلهية الغيبية التي تخرجنا عن الشريعة فأردنا أن نتسلى بالسماع[٣].

وتأمل تصريحه بان الشطحات أتخرج صاحبها عن الشريعة يتضح لك خطور ا كما سيأتي مفصلا.

ومع هذا التلذذ بالسماع إلا أن العيدروس كان ينهى عنه أصحابه ويقول: لا نرغب أحدا أن يقتدي بظاهر حركاتنا مثل السماع وغيره، ويقول خصلتان نفعلهما ونحذر أصحابنا منهما السماع ومخالطة الظلمة، ويقول:هذا السماع يضل الله به مائة ويهدي واحدا[٤].

وهناك سماع دائم لا ينقطع أبدا إذ لا يغيب عنه الشهود حتى في الجماع فضلا عن غيره كما قال شيخ بن إسماعيل فإذا جاء السماع الصوري فلا يزيد أمثال هؤلاء وجدانا ولا يحدث لهم نوعا من الملل بل يزيدهم مزاجهم همة في العمل وقال عنه أبو بكر العدني:

ولست احتاج إلى محرك من صدح طير ومن صبا هب

فلا تحركني العوامل فلست مبني ولست معرب[٥]

الفقراء يسمعون على الصراط فيمرون:

---

(١) السلسلة القدروسية (٢٩٠/١).

(٢) نشر محاسن الأوصاف (١٣٤) قلت وما أشار إليه من قصة الجواهر وردت في تفريح القلوب وتفريج الكروب ومفادها أن بعض الأكابر الذي يميل للسماع وضرب العود والسلطان ينهى عن ذلك فاشتاق للسماع وخرج إلى البرية بعواد وأمر بضرب عوده فـورد عليـه وارد عظـيم استغرقه ولم يزل يميع جسده حتى تحصل منه ضحضاح دم فلما أخل يده صار جواهر فلما رجع إلى البلد أخرجها فبلغ السلطان عزة وجودها فاشتراها وبذل أثمانا غزيرة وجعلها في التاج فلما جاء سلطان آخر يقول بالسماع ولبس التاج وضرب عنده العود إذ بدم يسيل على وجهـه وإذ بشخص ينمو ويزيد حتى تكامل رجلا سويا فعطس وقص خبره باختصار عن فيض الأسرار بتصرف (٢٧٤/١) وقام حسين محمد مخلوف بحذفها من تع تفريح القلوب الذي اعتنى به.

(٣) السلسلة القدوسية (٣٣٤).

(٤) العقد النبوي (١٥٧/٢).

(٥) السلسلة القدوسية (٢٦٥/١).

وهو من عجائب المتصوفة التي لا تنقضي فقد نقل في الجوهر الشفاف عن الشيخ السقاف أنه قال إذا كان يوم القيامة مر الفقراء مع مشايخهم على الصراط كالبرق. وقيل له يا سيدي: قالوا أن الفقراء يوم القيامة يجوزون الصراط وهم يتواجدون مع شيخهم، فقال الشيخ عبدالرحمن: نعم يجوزون على الصراط فما يقدرون على عبوره فيضربون السماع ويطيرون إلى الجنة!!!.

ويشهد لهذا قول أحمد بن عمر وقع سماع عند قبر هود بمحضر شيخنا عبدالرحمن - أي السقاف - فأخذ بيدي وجذبني وقال قم وارقص عسى أحد يأخذ بيدك على الصراط هكذا فقمت ورقصت!!!![1].

أنواع السماع:

حضرة السقاف:

وهي من أشهر السماع عند صوفية حضرموت وتقام بمسجد السقاف بتريم في ليلتي الخميس والاثنين من كل أسبوع بإثني عشر طارا وتسع شبابات وستة دفوف يسمع فقراء يسمون خدام السقاف في مسجده الذي بني عام (٨٦٨هـ) وكان السقاف كثيرا ما يتواجد عند سماع هذين البيتين:

ترانا في هواكم لا أبالي ولا مليت من سهر الليالي

عذابكم الأليم أراه عذبا وفيكم ذقت طعم المر حالي

وما سمي السماع حضرة إلا لأن كثيرا من الأولياء - أحياء وأمواتاً - يحضرونه كما قال أحمد السقاف: اشهدوا عني أن والدي ما يضرب المسمعون أ ول ضربة في السماع إلاّ وهو في ألف صوفي بين ساريتين وقال سعيد بن سالم الشواف في قصعة العسل:

يا من حضر منها شاف نور المشائخ لاشراف

والشيخ ذاك السقاف يحضرها مع أهل الله

والشيخ مجمع للزين إلاّ بليلة الاثنين

أو الخميس أطول بين على محبين الله

أما كيفيتها: فبعد قراءة الفاتحة ثم البسملة مقطعة ومد لفظ الجلالة، يجلس الحادي بجنب الإسطوانة الوسطى التي تحاذي المحراب ويأتي بنشيدة من غير طار بشبابتين فقط ثم يرفع الحادي الطار ومن حضر من الخدام ويخرج صاحب الشبابة أي القصبة ويتبعه حادي الطار يبتديء أولاً مع أول ضربة ويقول ؛ سماعاً اطلعوا – قاصدا الأموات - ويتبعه الباقون ويبتديء بالحضرة بقصائد الشيخة سلطانة بنت علي وهكذا تتوالى

---

(١) الجوهر الشفاف (٢/٩٥-١٠٥) وفيه أن علوي بن محمد بن علي سأل عن السماع فقال ما نقوم فيه إلاّ وقد أفنينا الدنيا والآخرة أول ما تبدو لنا الدنيا فنسحقها ثم تظهر الآخرة فنسحقها ثم نبددهما جميعاً حتى لا يبقى غير الله تعالى فحينئذٍ يقع الوجود!!!

القصائد بترتيب معتاد وغالب القصائد بالشعر الحميني الذي لا يتكلف صاحبه فيه وتنتهي بترتيب الفاتحة.

المنشدون فيها: وقد كان يتولى الإنشاد فيها أبناء السقاف وأحفاده ثم جلب حفيده أحمد بن حسين العيدروس المتوفى (٩٦٨هـ) منشدين من مصر ومن عرف يسمون آل بامصري وآل عرفان وقاموا ذه المهمة هم وأحفاده.

ما حصل بقطعها:

قالوا لما مات علوي أخو عبد الرحمن السقاف حزن عليه حزناً شديداً فترك السماع مدة ثم عاد إليه وقال أردنا أن نتركه ما تركونا وقال لما هممت بترك السماع رأيت ليلة الراتب الملائكة نازلين من السماء بالدفوف والشبابات إلى مسجدي وقال إما أن تعود إلى السماع وإلاّ شهرناك.

والقصائد التي تسمع فيها غالبا تدور حول ما يسمونه بالعشق الإلهي، والتوسل بالأولياء، وبيان مناقب مشاهير الطريقة وقصائد سلطانة بنت علي نأخذ منها ما يلي:

من القصائد: القصيدة الثالثة:

سلام الله منا كل يوم على شيخ الملا قطب الزمان

على من فخره فاق المفاخر أبي الغوث الذي حاز المعاني

وذا في عبد الرحمن المؤيد له فوق المشائخ رفع شأن

سقاه الله من كأس المحبة وقرب الوصل له كأس ملان

غياث غوثنا عند الشدائد بجاهه نرتجي في الخوف أمان[1]

وفي أول ليلة من الشهر تقام بمسجد سويه حضرة السقاف وإذا صادفت تلك الليلة ليلة الإثنين أو الخميس فالحضرة بمسجد السقاف لا تبطل فيقوم البعض من أخدام السقاف بالحضرة في مسجد سويه والبعض الآخر يقومون بنصف راتب من الحضرة بالسقاف ثم يلحقون بإخوا م بمسجد سويه وهناك تكون الحضرة راتبا كاملا لا ينقص منها سيء فتستقبل تلك الليلة العظيمة بالحضرة المشهودة..[2].

الحضرات الأخرى:

وهي عبارة عن أذكار وقصائد تتضمن التوسل بالأولياء تؤدى بأصوات حسنة وربما صاحب بعضها الدفوف وهي ملحقة بالذكر أشبه منها بالسماع.

---

(١) تفصيل ما ذكر عن حضرة السقاف في مؤلف خاص بعنوان المنهل العجيب الصاف وقد أخرج حديثا في كتاب ليس عليه دار النشر وحـذف منه بعض القصائد التي فيها الشطح كقصيدة ابن شهاب الآتي ذكرها في الشطحات.

(٢) الدليل القويم (ص:٤٢).

حضرة القيام لعمر أبي علامة:

ومن الحضرات الأخرى التي هي دون حضرة السقاف حضرة القيام لعمر أبي علامة الذي بالمكلا تبدأ بالفاتحة وقراءة يس ثم يبتدئ الحاضرون في الوسيلة لصاحب الخلوة والمقام لتي أولها، أبدي بربي هو عمدتي إلى آخرها ومن أبيا ا.

أنا جدي الشيخ مولى الكثيب فخر الوجود لبس الخلعة

رأيت العجائب يا سادتي من قاف إلى قاف في خدمتي!

وبعد الوسيلة يقولون هو الله، هو الله (خمسين مرة) يا هو، يا هو (خمسين مرة).

ثم القيام وفيه: الله الكريم المنان الله، الله دائم الإحسان الله، ألا يا الله في الحضرة بلغت كل حضرة، كل واحدة منها (خمسا وعشرين مرة) ثم الجلوس وترتيب الفاتحة للشيخ أبي بكر بن سالم ولصاحب الحضرة[١].

حضرة أبي بكر العدني:

ومنها حضرة أبي بكر العدني بعدن التي ذكرت في مظاهر التصوف المعاصر، وتبدأ الحضرة بعد العشاء داخل القبة من كل يوم إثنين حيث يكون المنصب أو من ينوب عنه حاضرا في المسجد جالسا بعد ركوع نافلة العشاء تحت نافذة تريم المعروفة ويرتب فاتحة بدء الحضرة، ويبدؤون بالذكر المعروف بذكر العيدروس، ثم تنشد النشائد الجماعية، ويدار أثناء الحضرة بالبن المحمس وكان العدني يستعين به مع الحاضرين على طرد النعاس، وبقي تقليدا في الحضرة إلى اليوم! كما يدر الماء في الطاسة وتوزع أثناءها القهوة والحلوى وبعد انتهاء الحضرة يقوم الجميع بزيارة الضريح ومن حوله من القبور...[٢].

حضرة الشيخ أبي بكر بن سالم:

وحضرة الشيخ أبي بكر بن سالم بعد صلاة العصر يوم الجمعة في مسجده وهي عبارة عن قصائد ومواخذ في مديح المصطفى ووعظ وتشويق ودعاء وتختم بدعوات واستغاثات وتقرأ الفاتحة قال بعض أهل المغرب إني أجد في حضرة الشيخ أبي بكر بن سالم ما لا أجده في حضرات غيره من الأولياء وأن روحانيته تحضر فيها يشهد ذلك من فتح الله بصيرته وشرح بنور العرفان سريرته[٣].

حضرة الذكر الجهرية للحداد:

(١) حضرة القيام لعمر أبي علامة ولعمر هذا ديوان ينضح بشطحات يستحي من ذكرها.والغريب بيع مثله في المكتبات.

(٢) سلسلة أعلام حضرموت ترجمة صاحب عدن تأليف أبي بكر بن علي المشهور (ص:١٠٥) قال والمعلوم أن نافذة تريم سميت بـذلك لأجـل الكرامة التي يتناقلها الناس بأن سعدا السويني - بتريم - رمى الإمام العدني على سبيل المزاح بكف من الطين فدخلت من هذه النافـذة قـال: والتحقيق يؤكد أن الشيخ سعد بن علي مذحج قد مات والإمام عمره سبع سنوات أو ثمان ولعل سعدا السويني غير سعد بن علي وهذا هـو الأقرب إلى الصواب. انتهى من السلسلة.

(٣) أغلى الجواهر (ص:٩٦).

تقام مساء ليلة الجمعة بمسجد الفتح بالحاوي ووظيفة الحداة فيها يقوم ا آل باحرمي وقد اشتهر منهم عبد الرحمن باحرمي (ت:١٣٤٦هـ) قال في تحقيقات تاريخية: إذا جاءه النعاس وانتهى النشيد يبدأ من الثاني، وهذا من رعاية الحبيب عبد الله بالمشايخ باحرمي! ومن الحداة أيضا محمد بن سليمان، وتقام حضرة أخرى للحداد في بيت الحضرة بجوار مسجد باعلوي بعد صلاة الجمعة.

حضرة في البرزخ:

توفي محمد بن سليمان ليلة الجمعة (١٢٩٥هـ) قال ا ذوب زين بن عمر عيديد في حضرة يوم الجمعة بعد الإنشاد حين أنشد ابن المذكور بقصيدة (تفيض عيوني...) ثم قرأ المقرأ المعتاد. قال: اشهدوا بالله واشهدوا علي أن البارحة - الليلة التي توفي فيها محمد بن سليمان - اجتمع أهل البرزخ كلهم عند الحبيب عبد الله الحداد وأن المعلم محمد بن سليمان أنشد في ذلك الاجتماع ذه القصيدة وقرأ هذا المقرأ!!.

قلت: وقد ورد التصريح في مجموع كلام ابن شهاب باسم ابنه وأنه عبد الرحمن وكذا زاد زيادة فقال (و ذا الصوت!!)[1].

حضرة باسودان:

وهناك حضرة باسودان لعبد الله بن أحمد باسودان قال فيها أ ا حضرة عظيمة النفع والفائدة، مجربة لجلب المنافع ودفع الكرب، يكون الابتداء فيها بعد قراءة الفاتحة ويس، وما تيسر من لا إله إلا الله، وبعدها لا إله إلا الله (ثلاثا)لا معبود إلا الله، لا إله إلا الله (ثلاثا) لا مقصود إلا الله، لا إله إلا اله (ثلاثا) لا موجود إلا الله، لا إله إلا الله (ثلاثا) لا مشهود إلا الله، ثم إنشاد القصائد المتضمنة التوسل بالأولياء[2].

ومن القصائد التي حو ا الوسيلة بأقطاب الطريقة قوله:

ثم الفقيه جدنا وبنيه ذخرنا علوينا علينا

والقطب سقاف مكين

وابنه المحضار الندب ذي الاسرار حامي حمى الدار

والغوث حتف الظالمين

والعيدروس فخرنا وشيخنا حدادنا هو غوثنا هو ك نا

وهو ملاذ اللائذين

(١) تحقيقات تاريخية لقبيلة آل باحرمي من أفضلية (ص:٢٤) - مجموع كلام ابن شهاب. (ص:٢٢٥) - الدليل القويم (ص:١١٨-١٢٠).

(٢) حضرة باسودان توزيع مكتبة تريم الحديثة وفي عصر يوم الثلاثاء من كل أسبوع تقرأ حضرة باسودان في تريم في بعض البيوت وفي قبة باشميلـة ومدرسة عبد الله بن شيخ العيدروس انظر الدليل القويم (ص:١٢٠) وهناك أيضا الحضرة الربانية لعلي بن حسن العطـاس. وحـضرة هـود وعينات تضمنتها مخطوطة.

والشيخ أبوبكر الهمام بن سالم العضب الحسام وبنيه غوث الأنام

والعدني حبر أمين

ذي حضرة القوم الليوث ووعدها يوم الثلوث ا انتفى عنا المغوث

من حين نأتي قاصدين

حضرة بحوطة أحمد بن زين الحبشي:

في آخر كل يوم أحد من كل شهر تعقد في قبة أحمد بن زين الحبشي (ت:١١٤٥هـ) بالحوطة حضرة عامة مشهودة، يحضرها الجم الغفير من أرجاء مدن وقرى الوادي، وخاصة حضرة شهري محرم ورجب، وتبدأ قبيل الظهر وتحتوي على راتب وأذكار ومواخذ متنوعة، وتضرب فيها الدفوف - الطيران - ويتخللها النشيد والوعظ والتذكير، ويدار فيها البخور والماء والقهوة ويرتب بعض المناصب الفاتحة لقراءة سورة يس..[١].

سماع مرغوب عنه:

وقد عرف لون آخر من السماع - لا يحبذه أكثرهم - ونقل عن عبدالرحمن الأخضر باهرمز وتلميذه بامخرمه وهو عندما يكون السماع بحضرة النساء الحسان، فكان باهرمز (ت:٩١٤هـ) إذا ورد عليه شيء من الأحوال الغريبة يطلب النساء الحسان، من ذوات الجمال والأصوات الحسنة، فيغنين بين يديه ويرقصن لديه!! وكان الفقهاء تنكر عليه ذلك ومن جملتهم عمر بامخرمه (ت:٩٥٢هـ) الذي ذهب لينكر عليه فأصابه الداء نفسه وبدلا من إصلاح باهرمز فسد حاله وانقلب من طريقة الفقهاء التي كان عليها إلى الممعنين في السماع، وصار بعد ذلك إذا غلب عليه الشهود والفناء أكثَر من السماع، حتى مع ذوات القناع، وأنكر عليه فقهاء عصره أيضا، وكان ممن ينكر عليه السماع مطلقا - فضلا عن المذموم منه - حسين بن عبدالله بافضل (ت:٩٧٩هـ) ودخل الشيخ عمر تريم ذات مرة في مظهر كبير من أتباعه، والسماع يضرب بين يديه فبلغ الشيخ حسين ذلك - وكان يغلب عليه الفقه وتحقيقه - فقام إليه من مدرسته، هو وجماعة من تلاميذه يريدون الإنكار على بامخرمه في السماع، فأخذته حالة طرب واستغرق وصار يصفق بيديه فخاطبه بامخرمه بعد فساده بقوله: حسين هبت نسيم القرب بعد المدى....[٢].

ويا ليت الشيخ حسين وقف عند السماع فقط لكان هينا فإنه ما زال يعكف على الطريقة الصوفية حتى تأثر بابن عربي أشد التأثر وألف في ذلك بما سيأتي في الحديث عن ابن عربي. ويا سبحان الله كيف أصابه الداء الذي أصاب شيخه حين أراد أنكر على شيخه بامخرمه؟!! ولكننا نستفيد على كل حال أن سبيل الفقه تأبى إقرار السماع.

---

(١) الدليل القويم (ص:١٤).

(٢) السناء الباهر (ص:٦٧-٣٨١) * النور السافر (ص:١٠٢) * صلة الأهل (١٧٩).

وقد أورد عبد القادر بن شيخ العيدروس تبريرا - على العادة في كل أمر مخالف - لحضور النساء للسماع من جهتين إحداهما تتعلق بمصلحة الفساق وما هم عليه من الفسق فيخالطهم الصوفي لينقلهم عنه، إلى الطاعة!! والثانية تتعلق بالصوفي ذاته في مخالطة الأضداد لئلا تتلف نفسه جراء الواردات وجمع هاتين الجهتين في قوله (ما كان نسب من ذلك لأهل الله فهو إنما لعنايتهم أهل العصيان وذلك لكمال شفقتهم على خلق الله تعالى كما هو معلوم وقد يكون لله مراد في حق شخص معين منهم من يريد الله أن ينقله من تلك الحالة ويرقيه مراتب الأولياء وربما غلب على ذلك الولي بعض الأحوال القوية فخشي على عقله أن يذهب أو جسمه أن يتلف فأراد تعديل لطافة الحال بكثافتهم والله أعلم)[1].

وكان حال جعفر بن أحمد بن زين الحبشي أشبه بحال الشيخ عمر بامخرمه وقد يضرب الطبل مع النساء ويحضر معه جماعة من الخلق ولكنهم محفوظون ببركته - كما قال مؤلف نشر المحاسن - وقد وقعت معه خلطة مع نساء أجانب ذات يوم فوقع في خاطر بعض محبيه شيء منها فاستغفر الله من إنكاره على أولياء الله العارفين فكان يقول: ما فعلت هذه الأمور المشكلة إلا وقد تكلم لي مشائخي بكلام، وذلك حين قال لشيخه عمر البار: إني أحب النساء والطبل! ووصف له من أحواله يريد أني أفعل ذلك وأنا في رقبتك!! فقال له افعل ولا ترى إلا من فوق.

وقد عزا مؤلف نشر محاسن الأوصاف بأن المذكور كان صاحب رقة: لما ناله من طريق المحبة إذا أنشد بحضرته كلام الشيخ بامخرمه لم يتمالك من شدة العبرة تكاد أن تفارق روحه جسده وكان يداوي نفسه بمخالطة الأضداد قال وحال الأولياء الذين يشكل ما لهم على من ليس له معرفة بأهل الله وقد أصاب جملة جالسوه مع غير الأدب[2].

فانظر يا أخي هدانا الله وإياك إلى العافية من الوقوع في هذه الأمور المشكلة بالاعتصام بالكتاب والسنة.

الاستدلال على السماع:

وربما استدلوا بجملة من الحجج منها ما ذكره أحمد بن حسين العيدروس نظماً في قوله:

وهكذا قد صح في البخاري في حضرة المختار ذي الفخار

بأن في بيت النبي جواري ينشدن بالطار المليح الأشعار

ولم يرعهن ولا تكلم صلى عليه رب السما وسلم

هو رحمة للعالمين يرحم تنل شفاعته ومحو الأوزار

وقد ورد في فتح الباري عند استدلال الصوفية بحديث الجاريتين على السماع نقلا عن القرطبي أن ما

---

(١) النور السافر (ص:١٠٥).

(٢) نشر محاسن الأوصاف (١١٠-١١١).

ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه قال وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال وأن ذلك يثمر سني الأحوال قال الحافظ وينبغي أن يعكس مرادهم ويقرأ سيء عوض عن النون الخفيفة المكسورة(١).

و صدق ابن القيم في تعليقه على قول (الشافعي خلفت ببغداد شيئا يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن) بقوله: فإذا كان هذا قول الشافعي في التغيير وهو شعر زهد في الدنيا ولكن ينشد بألحان فليت شعري ما يقول في سماع التغيير عنده تفلة في بحر(٢).

وماذا عسى ابن لقيم أن يقول لو سمع أو قرأ عن السماع في العصور المتأخرة؟ وكيف سيعبر عن سماع تحدث عنه، السماع المتأخر عنده تفلة في بحر؟

سادساً: الشيخ الذي يصل إلى المطلوب:

لا بد للسالك في طرق الصوفية من شيخ خبير يأخذ بيده عبر الرياضة إلى أعلى المقامات، وأعز ما يكون الشيخ حين يكون من الواصلين إلى ‍ اية المطاف، ممن يدعى بالإنسان الكامل قال العيدروس في الكبريت الأحمر (واتفق المشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام واعتزال الأنام وما تحصل الرياضة والخلوات وجميع المطالب والمقامات إلا بالشيخ العارف المعبر عنه بالإنسان الكامل)(٣).

وقال الحداد في التائية مبينا أهمية وجود الشيخ:

ولا بد من شيخ تسير بسيره إلى الله من أهل القلوب السليمة

فإذا وجد المريد شيخا متمكنا خبر ا ‍ اهدات فليقلده أمره، وينخلع عن إرادته ويفنى في إرادة شيخه، حتى يرقيه من مقام إلى أخر، فيعبر جميع المقامات بعد أن يخلي سبيله فيما بينه وبين نفسه، ويصل بعد ذل للحقيقة ويتحمل السر، وقد أشار علي بن أبي بكر السكران في أبيات له بأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان والأبيات هي:

رعى الله صبا بالشريعة مهتد وتسليك أستاذ لأعذب مورد

فمن لا له شيخ بنوره يقتدي ويهديه بالإرشاد أصوب مقصد

يلاحظه في حاله وسلوكه ‍ ‍متة العليا وأنفاس أمجد

ويمتد باستعداد قابل سره مريد له قلب صفا غير أسود

(١) فتح الباري (٤٤/٢).
(٢) إغاثة اللهفان (١٣٩/١).
(٣) (ص:٦١) قال الحداد في إتحاف السائل (ص:٨٥).

فأستاذه الشيطان حقا لأنه يلقن في صدر البليد المطرد

وقد ينفخ المولى محبا بجذبة فيفصله عنه مة أحمد

وذا نادر لا للمريد معول عليه فيلزم صفو صدق التعبد[١]

حفظ الشيخ:

وامتازت مدرسة التصوف بحضرموت كغيرها من طرق الصوفية بأخذ مبدأ التسليم للشيوخ في كل شيء والانقياد لهم، ورفعت هذا المبدأ شعاراً لتعبر به على أن العلاقة بين المريد وشيخه، لأنه محفوظ عن الزلل. وممن تحدث بحفظ الشيخ الإمام الحداد بقوله (وأشرف أنواع المغفرة أن يجعل الله بين العبد والذنوب ستراً – حاجزاً بينه وبينها – حتى لا يقع في شيء منها، ويسمى هذا الستر بإزاء النبوة عصمة وبإزاء الولاية حفظاً)[٢] ولكن مع هذا الستر يقول باسودان (فإن أنبياء الله المعصومين وأولياء الله المحفوظين لا يزالون يطلبون العفو عن الذنوب والمحو لها لشهودهم النقص في أحوالهم وإلى ذلك يشير صاحب الراتب - الحداد - من حيث رؤية النقص في العلم مع ما أعطي من مقام الصديقية التي لا درجة فوقها إلاّ النبوة وذلك عند ذكره المكاشفات بالأسرار الغيبية والعوالم الملكوتية في قوله: ورأيت سراً لم يجز إفشاؤه أهل الهدى والنور والتثبيت إنا لنعله ولم نحظ به ذوقاً لما معنا من التشتيت).

وكذلك قال باسودان في مطالع الأنوار (وهكذا فلا بد من شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً)[٣].

و قال بعضهم لأن الشيخ في م لة مقام النبوة والنبي أخذ عن الله والشيخ أخذ عنه أيضا والشاهد على ذلك قوله لموسى وما فعلته عن أمري[٤].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن هذا المصطح أعني حفظ الشيخ يوازي عصمة الأولياء عند الرافضة بقوله: (وكثيراً من الغلاة في المشايخ يعتقد أحدهم في الشيخ نحو ذلك ويقولون الشيخ محفوظ ويأمرون بإتباع الشيخ في كل ما يفعل لا يخالف شيء أصلاً وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى والإسماعيلية تدعي في أئمتها أ م كانوا معصومين).

رعاية المريد وحفظه:

إن من أهم وظائف الشيخ الصوفي أن يحفظ مريده من الزلل بل ويصل الحفظ إلى حد بعيد في الغلو يصل

---

(١) السلسلة القدوسية (٦٥/١).

(٢) إتحاف السائل (ص:٤٧).

(٣) ذخيرة المعاد (ص:١٧٩) وقال في مطالع الأنوار قال باسودان ومن حال المربي أن يحفظ مريده من الذنب والإلمام به.

(٤) السلسلة القدوسية (٢٥) قال ولله در الشيخ محي الدين ابن عربي!!ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم ا أبدا لله بالا ـهالوارثون هـ ـم للرسـ ـل أجمعهم فما أحاديثهم إلا عن الله.

إلى عالم الأصلاب كما نقلوه أبي بكر بن سالم في قوله لمريده يوسف بن عابد الحسني الفاسي الآتي من المغرب والمقبور بمريمه: يا يوسف أنا أبو الأرواح وأما والدك فهو أبو الأشباح والله إني نظرتك في صلب والدك عابد وحضرت على ولادتك!!!.

وفي أغلى الجواهر لدار الأصول - ذي البريد الإلكتروني ـ زيادة وحضرت على ولادتك،[1] وسيأتي لها مثيلات إن شاء الله. وربما سبق الأمر في العناية بالمريد عالم الأصلاب ولا حول ولا قوة إلا بالله كما في الحوار الذي دار بين الجعد والعمودي قال أحمد بن الجعد لسعيد العمودي لا يكون الشيخ حتى يمحو سيئات مريده من اللوح المحفوظ!!! فأجابه كيف غفل حتى كتبت!!![2].

وهذه محاكاة لما تقرر في صفات الشيوخ التي ورد منها في مواهب الرب الرؤوف التطلع إلى اللوح المحفوظ وأخذ المريدين من الذر قبل ورودهم وهبوطهم إلى أصلاب الآباء وبطون الأمهات، وقيل في حفظ المريد أن الأولياء على مراتب ثلاث منهم من لا يطلع على سيئات مريده ولا يقدر على حفظهم ومنهم من لا يطلع على سيئا م ويحفظون به ومنهم من يطلع على سيئا م ويحفظهم[3].

ولا أدري كيف يساغ نقل هذه الجراءة بل حياء؟ فإني أكاد أغص بقراء ا فكيف بمن يسود ا كتب المناقب، ولولا أننا في دراسة ظاهرة معينة من خلال مفردا ا المتناثرة لما تم إيرادها مع الأخذ بما سبق من التنبيه من أن ما فيه شناعة وخروج عن مألوف الصوفية إنما يبقى محصورا على صاحبه بل على ناقله. وهكذا يقود الغلو في الأفكار والمشي خلف الغلاة إلى استخفاف وأيما استخفاف في تعقب المرء على ما في اللوح المحفوظ، ويا لله للمسلمين من هذه الترهات التي أوهنت الدين في قلوب الناس وجعلت للبشر خصائص الألوهية فهل هؤلاء أولياء أم آلهة؟.

ولذلك فلا نستغرب ما نلمح في اعتقاد بعض العوام فيهم إلى هذا الحد بسبب رواية الخوارق والكرامات التي تنسب إليهم لإفساد عقائد العوام واعتقاد فيهم أ م يضمنون الجنة وسيأتي قول البدوي حينما امتنع عن بيع السعف للفقيه المقدم فذكر له بعض أحواله الفقيه المقدم الله؟ وفي السياق ذاته ينتظم ما ورد في ترجمة عبدالله باعلوي (ت:٧٣١هـ) - في المشرع وغيره - أن رجلا أنشد بحضرته أبياتا تتعلق بالبعث، فتواجد الشيخ وخر مغشيا عليه، فلما أفاق قال للرجل: أعد الأبيات فقال الرجل بشرط أن تضمن لي الجنة!! فقال ليس ذلك إلي ولكن اطلب ما شئت من المال. فقال ما أريد إلا الجنة، فقال إن حصل لنا شئ ما كرهنا. ودعا له بالجنة فلما مات الرجل: وحضر باعلوي عند دفنه جلس على قبره فتغير وجهه ثم ضحك فسئل عن ذلك فقال إن الرجل لما سألاه عن ربه قال شيخي عبدالله باعلوي!! فتعبت لذلك فسألاه أيضا فأجاب بذلك فقالا

---

(١) (ص:٨٧) وانظر أيضا ما ورد في الفتوحات لابن عربي منسوبا إلى سهل التستري بأنه يربي تلاميذه وهم في الأصلاب لم يحجبوا عنه نقلا عن الطبقات الكبرى للشعراني (ص:٣٠٩).

(٢) مطالع الأنوار (٣٩١).

(٣) أما صفة الشيخ فقد نقلت عن محمد بن عراق (ص:٨٦) وأما مراتب الأولياء فهي منقولة عن إسماعيل الجبرتي آخر الكتاب المذكور.

له مرحبا بك وبشيخك عبدالله باعلوي!!![1] قال صاحب المشرع معلقا: قال بعضهم هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد موته.

وذكرت قصة هذا الرجل الساني هذه مع شيخه عبدالله باعلوي وقول الملكين له مرحبا بك وبشيخك عند السقاف فقال: أتى الملكان عبد الباقي بن سلطان. فقالا: من ربك فقال شيخي الشيخ عبد الرحمن - يعني نفسه - فقبلا ذلك منه كما قبلا مثله من الساني كرامة له!!!![2].

ولا أدري كيف سيتعامل علي بن أبي بكر المشهور مع هذه القصة الثانية بعدما صنع لنا تأويلات للقصة الأولى لإساغتها، واستغل ورودها في نبز من عنده عقدة منهم ممن يسميهم أصحاب الهجمة المفرطة على الصالحين، وأقول له ليست القضية مناقشة فكر شخص بعينه، ولكن الظاهرة أبعد من الأفراد فليشفق على العامة من ذكر مثل هذه الطوام بدلا من الشفقة عليهم من حملة الأقلام وبعض شيوخ المعرفة في هذه المرحلة كما ينعتهم.[3].

نظر الشيخ إلى المريد ونظر المريد إلى شيخه:

أما نظر الشيخ إلى مريده فهو أعظم عندهم من نظر المريد إلى شيخه لأن نظر المريد إلى شيخه ورؤيته له تسمى الرابطة، وهي أشد تأثيرا من الذكر إذا استجمعت شروطها قيل لأن أنوار العارف تسطع في محياه، ومن شهد ذلك النور وخضع له حياه، وأنه إذا توجه إلى شيخه انتقشت في قلبه المعارف والأسرار كما هي منقوشة في قلب شيخه ويكون حينئذ الوارث لحاله بحق.

وقال أبو بكر بن سالم في قول بعضهم (ويبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة): هذا بنظرة الناظر إليه أما نظرهم هم إليه فإ م يوصلونه به إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره. وكذلك في بعض جوابات الحداد أن المريد يترقى بنظره وتعظيمه وحسن الطن في شيخه من حيث يعلم أو لا يعلم وترقيه وانتفاعه بذلك أكثر من ترقيه بمجاهداته وأعماله فإذا اجتمعا في المريد كان أجدر في الترقي وأحرى في الانتفاع...[4].

وعلى ذلك فيمكن إجمال هذا الإنتفاع بالنظر إلى الشيخ في مشاهدة النور الذي في محياه، وانعكاس المعارف التي في قلبه، وترقيه أكثر من مجاهدته وعبادته.

أما بالنسبة لنظر الشيخ إلى مريده فإنه يغني المريد عن الطلب ويوصله أحيانا إلى المراد أسرع من طرفة

---

(١) الجوهر الشفاف ترجمة المذكور - المشرع الروي (١٨٨/٢).

(٢) السلسلة القدوسية (٣٠٧/١).

(٣) انظر تأويلاته لقصة الساني مع عبد اله باعلوي في سلسلة أعلام حضرموت عدد (٨) (ص:٣٠).

(٤) عقد اليواقيت (٥٩/١-٦٠)، والبعض المشار إليه هو البجلي كما في مواهب الرب الرؤوف (ص:١٠) وقد سئل أحمد بن حسن العطاس عن النظرة التي نظر ا علي باراس إلى عمر العطاس حتى بلغ ما بلغ فأجاب لما نظر بعين الكمال كمله!! (١١٤/٢).

عين، فالنظر من الشيوخ أجل وأعلا بيقين إذ بالنظر إليهم يحصل الغنى في الدار الفانية المشوبة بالمكدرات والمنغصات وأما النظر منهم فيحصل به غنى الدارين وسعادة الدنيا والآخرة ولا مين كما قيل(١).

وقال أبو بكر بن سالم في معارج الأرواح: (ونظرتنا إليهم - المريدين - أرفع وأجل من نظرة المتوجه إلينا لأ ا الإكسير والكبريت الأحمر والترياق ا ‍رب فصاروا في أشرف المنازل لا يخلو من حسن الآداب فهم بين الرجاء والخوف يخشون من اختيارهم وطلبهم لأ ا من الحظوظ النفسانية ونحن ما ننطق إلا بما يقال لنا به، من دخل تحت أمرنا و ينا وطاعتنا فهي طاعة الله وطاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكن يا مريدنا معنا في مقام الفناء، ولكن الإقامة منا وليس لك مدخل في ذلك، فإذا نظرنا إلى المريدين بعين الرحمة فليس لهم نفوسهم مدخل ولا مراد ولا وجود)(٢).

وقد ورد تعليل نفع نظرة الشيخ لمريده بأنه ماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى أعطاه بعض عبيده لحظا يفيد ا أحوالا سنية لمن يحبه، فإن الله تعالى كما يجعل في بعض الأفاعي إذا وقع نظره على الإنسان يهلكه بنظرة واحدة، فلا يبعد منه أن يجعل في نظر بعض خواص عباده في مقابلة ذلك أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالا حياة قلبه بالحياة الأبدية بل هو الواجب(٣).

وأعجب من ذلك كله في أثر نظرة الشيخ على المريد ما ورد عن أبي بكر بن عبد الله العطاس (ت:١٢٨١هـ) أنه نظر مرة إلى شريم فقال لو أردت أن أرقيه إلى رتبة وأن يدخل الجنة لفعلت! وقال في موضع آخر لو أردت أن أرقي الشريم في الولاية لأوصلته إلى الله!.

ولا تظن أيه القارئ أن شريم هذا هو اسم مريد للشيخ، لأنه قد تم تفسير بقول المترجم مباشرة: (والشريم آلة حديد يلف -يقطع- به الحشيش)(٤) فكيف سيرقى هذا الشريم إلى مرتب الأولياء؟ لا ندري. وسيأتي تفصيل قول بعضهم ناظري وناظر ناظري في الجنة.

الانتفاع بالشيوخ بعد مو م:

ومن باب النظر إليهم أيضا تأتي زيارة ضرائحهم قال علي بن أبي بكر وينتفع المريدون بشيوخهم وإن غابوا بموت أو غيره إذا كانت الروابط كاملة وأسباب الاستعداد من الجانبين بصدق الود وشغف الحب متواصلة وقال أبو بكر العدني عليكم بزيارة الأولياء والتعرف م فإ م الوسائط إلى الله تعالى فإن عالم الغيب والشهادة مرتبطان كالروح الجسد ولا تأتي بركة من عالم الغيب إلا بواسطة حركة من عالم الشهادة في غالب

(١) هامش الأشواق القوية (ص:٥٥) تعليقات عبد الله بن محمد السقاف.
(٢) مواهب الرب الرؤوف (ص:١٢) - العرف العاطر (ص:١٣).
(٣) (ص:٩٣).
(٤) حلاوة القرطاس (١٩٢-٢٥٨) وانظر كنوز السعادة (ص:١٤٩).

مقدوراته...[(١)].

واستدل في السلسلة القدوسية فيما يتعلق بزيارة المريد شيخه بعد وفاته بما ورد عن أبي بكر العدني من قوله: عليكم بزيارة الأولياء والتعرف م فإ م الوسائط وإن صحت النية وثبتت العقيدة فإن عالم الغيب والشهادة مرتبطان كالروح والجسد لا تأتي حركة من عالم الغيب إلا بواسطة حركة من عالم الشهادة. غير أن أبا بكر بن علي المشهور لم يطب بعبارة (فإ م الوسائط) نفسا، فحذفها من السياق حين نقلها في سلسلة أعلام حضرموت وانتزعها من الكلام، ولو كان منصفا لأوردها ثم فسرها بفهمه من غير حذفها[(٢)].

وأصرح من ذلك وأبشع منه فيما يتعلق بأهمية نظرة المريد لشيخه وزيارته بعد وفاته ما ورد في عقد اليواقيت حين يحصل له الترقي في البرزخ بنظرهم إذا قصر المريد نظره عن غيرهم[(٣)].

تربية المريدين في الأربطة والزوايا:

يكثر المريدون لدى بعض الشيوخ حتى ربما لفت الأمر الحاكم الذي يرتاب في كثرة الأتباع، ويرى في تبعيتهم للشيخ خطرا يهدد سلطانه، فمن ذلك ما عرف به معروف بن عبد الله باجمال، بتربية المريدين، فربما اجتمع في مذاكرته بمسجد الخوقة بشبام من العلماء والمريدين ما يزيد على الألف وكان يقسم مريديه ثلاث مراتب الأولى الخواص ووظيفتهم العلم بالله وقراءة كتب الحقائق ومشاهدة الجمال والسكر بمحبة المولى، والثانية الوسطى وظيفتها نشر العلوم الشرعية قراءة وإقراء ومطالعة كتب الرقائق وسماع مذاكرة الحقائق أحيانا، الثالثة درجة عامتهم الاعتناء بما يخصهم من أمر دينهم ودنياهم من العبادات والمعاملات وقراءة بداية الهداية ومختصر بافضل.. ويأمر مريديه بعدم الاختلاط بغيرهم من الفقراء.[(٤)].

وكان أيضا مع كثرة مريديه ذا جاه عظيم عند العوام وإفراط في الاعتقاد فيه، سبب له هذا الجاه إيذاء من قبل السلطان الكثيري بدر بو طويرق، فأمر بنفيه من البلاد بعد الإشهار بإهانته بين العباد، فنودي هذا معبودكم يا أهل شبام، وجعل في عنقه حبلا وطيف به بين الأنام،والغريب في الأمر أنه حين أمر السلطان شخصا من معتقدي معروف باجمال توقف في إنفاذه، فأرسل إليه معروف أن افعل ما أمرت وأنا ضمينك على الله بالجنة!![(٥)].

ونلمح في نداء السلطان بأن معروفا هو المعبود الإفراط في مناقبه وتصويره بالخوارق المهلكة للعوام إلى حد

---

(١) السلسلة القدوسية (٣٩/١).

(٢) مقدمة محجة السالك للعدني - السلسلة القدوسية (٣٩/١) - سلسلة أعلام حضرموت العدد (١٣) (ص:١٠٥).

(٣) في مكاتبة عبدالله بن علي السقاف لزين العابدين بن محمد العيدروس فاجعل وجهتك إلى جدك الشيخ عبدالله العيدروس واقصده في كل نفس فإنه حي لا يموت!!! وبعد اقصد عمه وأباه وجده ثم الفقيه المقدم فإن أرواحهم في المقام المحمدي سواء ويقـصد ـم المحـضار والـسكران والسقاف عقد اليواقيت (٦٠/١).

(٤) مواهب الرب الرؤوف (ص:١٠٠).

(٥) النور السافر (ص:٣٧٠).

العبودية!. كما نشم رائحة غلاة الجبرية عند معروف باجمال في أمره معتقده بإنفاذ الأمر بل ويكافئه بالضمان له بالجنة مقبل أن يباشر إهانته وهو مسلك معروف عند بعض الصوفية ولذلك صرح مؤلف النور السافر معلقا على هذا الضمان بقوله: فانظر إلى مشهد هذا الشيخ العظيم الذي يرى الأشياء كلها من الله الحكيم!.

ومن عرف بكثرة الأتباع أيضا عبد الله بن محمد باعباد فحين أراد زيارة هود تبعه نحو ألف خمسمائة من أتباعه، ويعد مريده أبو مهرة نقيب هؤلاء الفقراء، وكان أبو مهرة من مريدي الشيخ سعيد العمودي أصلا، ثم صحب الشيخ عبد الله باعباد واختص به، فلما قصد زيارة شيخه الأول، وجده قد تغير عليه فظهرت عليه حالة كاد يتلف منها وغاب حسه، قال في طبقات الخواص: وكان معه ابن عم له فاستغاث بالشيخ باعباد!! فحضر في الحال!!!! وأقام النقيب من تلك الحالة فأشرف عليه الشيخ العمودي وقال مالك وللتعرض لمريدي؟ فرد عليه: يده لك وقلبه لنا، وانصرف به وما ناله ضرر[1] وهذا مع ما فيه من استغاثة بغير الله، وطيران الأولياء في الهواء، فإنه يؤكد تنافس الشيوخ على المريدين.

وقد يتخذ الشيوخ أربطة تأوي المريدين واشتهر بتريم قديما رباط إبراهيم بن يحي بافضل (ت:٦٨٤هـ) الذي تساق إليه النذور وفي ذلك قصة طريفة حين أمر الشيخ الفقراء أن يذبحوا ثورا وقف بباب الرباط فذبحوه بعد تمنع منهم، وإصرار من شيخهم، فجاء صاحب الثور وعلم بما صنعوا فسبهم وسب شيخهم ونسبهم إلى اللصوصية فخرج إليه الشيخ وقال لم تنكر على الفقراء وقد نذرت أنت ذا الثور...إلى آخر القصة التي نوردها في بعض خصائص الأولياء[2].

علاقة الشيخ بالمريد:

يقرر المتصوفة أن على المريد الذي يلازم الشيخ للأخذ منه التسليم المطلق وترك الاعتراض عليه في كل ما يقوله أو يفعله ولو كان مخالفاً للشرع لأن له خواطر ترد قلبه بصفائه عن الأكدار، وخلوه عن الأغيار، فتتجلى عليه العلوم الإلهية فيقف على الأسرار، ويعمل بمقتضاها والتي ربما تكون في الظاهر حراماً يقابل بالإنكار كما حدث لموسى مع الخضر وأصدق تعبير لهذه العلاقة هي صورة الميت بين يدي مغسله كما قال أبو بكر العدني في آداب المريد: بأن يكون عند شيخه كالميت بين يدي الغاسل ولا ينتقد على شيخه في شيء قط بل يسلم له ويفوض أمره إليه[3].

ومن قبله قال العيدروس: ولازم على المريد حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم وعلى حفظ قلب شيخه وترك الاعتراض عليه وحمله أقواله وأفعاله على وجه جميل فمن صحب شيخا ثم اعترض عليه بقلبه فقد

(١) طبقات الخوا (ص:١٧٨) عقد اليواقيت (١٢٥/٢).

(٢) صلة الأهل (ص:٧٧) والجوهر الشفاف ترجمة إبراهيم بن يحي.

(٣) وصاغه بعضهم شعرا فقال: وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع.

نقض عهد الصحبة قال العارفون من قال لأستاذه وشيخه: لمَ؟ يفلح!![1].

وللمريد شروط منها أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه، فلا يزن أحواله بميزانه، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن، فكم من رجل أخذ كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه فقلبه الله في فمه عسلا أو ما شاء والناظر يراه شارب خمر وهو ليس كذلك!! ومثل هذا صدر من المشايخ كثيرا.. وليس للميت شرط على غاسله! ومتى كان صاحب إرادة فهو صاحب هوى وهو مع نفسه لا شيخه[2].

نماذج من التسليم:

عدم الاعتراض على الشيخ هو الطريق الذي تسير عليه الطرق وربما تصل العقوبة عندهم إلى سلب حال المعترض كما اعترض بعض الفقهاء في قلبه على أحمد بن عبد الرحمن السقاف (ت:٨٢٩هـ) حين صلى خلفه عند قبر هود، فسلب جميع ما في قلب ذلك الفقيه من قرآن وعلم، وتعب تعبا شديدا حتى شفع فيه أحد الشيوخ عند هذا المذكور فرجع له ما سلب.[3] وإليك غيض من فيض هذا التسليم:

١- قال عبدالله بن محمد الأسقع باعلوي لبعض مريديه لا تصلّ!! وكان المريد دينا فشق عليه ذلك، فأتى بعض السادة الكبار والتمس منه أن يشفع له عند شيخه في هذا الأمر، ففعل فقال الشيخ: إنما أردنا اختباره وانقياده لنا حتى تحصل له المراتب العالية!! لكن ما كتب الله له في قسمه شيئا منها، فيبقى على ما هو عليه من الدرجة الوسطى!!

٢- وروى عن أحمد بن حسين العيدروس وكان له مريد من آل بابريك مخلص في عقيدته فقال له في أحد الأيام مع إظهار الغضب عليه إن كنت معتقدنا فخذ هذا السيف وهات رأس السيد أحمد بن علوي من مسجد آل أحمد فأخذ السيف وخرج فحقق الشيخ قصده فأرسل إليه أربعة في طلبه ليردوه فسبقوه إلى المسجد!!![4].

٣- اعترض بعضهم على عمر بو علامة حين بنى مسجده في حرم البحر في المكلا فقال أبو بكر بن عبدالله العطاس ما نعترض على رجل اجتمعت فيه خمس خصال:

الأولى: أنه شريف حسيني سني!.

الثانية: أنه بنى مسجدا ولو بناه مجوسي لاعتقدناه.

---

(١) سلسلة أعلام حضرموت لأبي بكر المشهور (٤١/١٢).

(٢) السلسلة القدوسية (٨٣/١-٩٨).

(٣) المشرع الروي (٦٦/٢).

(٤) السلسلة القدوسية (٣٧/١).

الثالثة: أنه صابر على بلية لا يعلمها إلا الله!.

الرابعة: أنه لو أمر البحر أن ينقبض إلى بروم لانقبض!.

الخامسة: أنه من ذرية شيخنا الحبيب حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم![١].

٤- كان أحمد بن محمد الحبشي في بعض الأيام جالس في بيته وإذا برجل قد أتى إليه وهو يضمر الإنكار على ولده علوي، وكان ولده علوي يتظاهر بشرب التنباك، وأراد الرجل أن يخبر أباه بذلك، فلما وصل إليه أخرس عن الكلام فكاشف عليه الحبيب ثم قال له فسحنا لك في الكلام تكلم ثم أعطاه شيئا من الدراهم وقال له خذ ـذه تنباكا ثم إنه نادى ولده علوي وقال له اشرب التنباك تجاهي فأتوه بالتنباك فشرب فصارت نار التنباك مسكا وعنبرا وماؤها عطرا فعند ذلك سلم المنكر على قدمه وطلب منه العفو وعزم على أن لا يعود على الإنكار ومرة أراد الشيخ أن يتناول بعض الكتب والكتب إذ ذاك مرتفعة فوضع رجليه على كتاب من تلك الكتب فأنكر عليه بعض الحاضرين في نفسه فقال لا تنكر[٢].

ونحن قد وصلنا إلى قصة عدم الاعتراض على الشيخ في صعوده نشفعها بأخرى نسبت لعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وردت في نشر محاسن الأوصاف وقد كان إذا أراد أخذ كتاب فبعد عليه رادف كتبا وصعد عليها حتى يتناوله وقال أنا واحد من الكتب قال في نشر محاسن الأوصاف معلقا: وهذا مع أنه يعظم الكتب غاية التعظيم ولكن سلم لأهل الله في كل مشكل لديك لديهم واضح بالأدلة[٣].

٥ - شيخ بن علي باهرون في زيارته لأبي بكر بن سالم رأى دخول الرجال على من يخدم في المطبخ من النساء فقلت في نفسي كيف هذا الحال وغالبهم عوام وشباب ثم أذن لي فدخلت فحيث وقع نظري عليه قال ابتداء يا شيخ إننا ننظر إلى قلوب أصحابنا فلا يقع شيء مما في الخاطر فتعجبت من اطلاعه على ذلك الخاطر[٤].

التسليم للشيوخ فيما رتبوه:

- كصلاة الخمسة الفروض:

ومن ذلك ما اشتهر عند متصوفة حضرموت المتأخرين صلاة الخمسة الفروض في آخر جمعة من رمضان بعينات حيث صلاها الشيخ أبو بكر بن سالم القطب المشهور من أهل الباطن عندهم ويكفي فعله لها دليلا على جوازها مع أن الحديث المزعوم في عملها موضوع لا يصح نقله ومع أن الفقهاء قد أفتوا بحرمتها كالفقيه عبدالله عمر بامخرمه وابن حجر المكي والإمام الناشري واشتد إنكار ابن حجر على من يفعلها ولكن ـم ع

---

(١) بشائر وطوالع سعود رحلة هود جمع علوي بن طاهر الحداد (ص:١٣).

(٢) الكوكب الدري في مناقب أحمد بن محمد الحبشي (ص:٥-٦).

(٣) (ص:٥٦).

(٤) الزهر الباسم (٨٤).

الصوفية في التسليم غير مـ ع الفقهاء المبني على الاستدلال فلكل فريق مشربه[١].

وقد ذكر عبد الرحمن بن أحمد باوزير أن الشيخ أبا بكر بن سالم قد صلاها من قبل سيدنا الشيخ بمسجده بعينات مدة حياته وبعد وفاته صلاها أولاده والفقهاء أجدادنا آل البيتي آل باوزير في مسجده المشهور وصار كل متعلق ومنتسب لسيدنا يصليها ولا أحد أنكر عليهم إلا وعاجلته العقوبة ونحن اعتقادنا في سيدنا الشيخ إنه إمام الأئمة في كل علم ظاهر وباطن ولا يعترض عليه معترض.

ونقل مؤلف النهر المورود أن الإقتداء بمن اجتمع فيه ما اجتمع في سيدنا القطب الغوث المتضلع من علوم الشريعة والطريقة والحقيقة حتى بلغ في زمنه على وجوب إتباع كلامه لأنه قطب زمانه مثل سيدنا الشيخ الأكبر أبي بكر بن سالم أعاد الله علينا من أسرارهم وأنوارهم في الدارين آمين......[٢].

- واستغفار رجب:

الذي جمعه حسين بن عبدالله الحداد في رسالة له، وترجم له بدعاء استغفار رجب، وقال: إن له فضائل كثيرة وآثارا عزيزة كما جمع أيضا دعائين للنصف من شعبان يعولون على قراء ما في ليلة لنصف من شعبان وقد جاء في كـ النجاح والسرور أن هذه الأدعية قد أتى ا أهل الكشف الذين فراستهم لا تخطئ ومن انتقد عليهم فهو مخطئ وأي مخطئ!!!.

والدعاءان المشار إليهما في ليلة النصف من شعبان أحدهما الدعاء الذي أوله (اللهم إذا اطلعت ليلة النصف من شعبان على خلقك فعد علينا بمنك وعتقك...) والثاني قال فيه: دعاء شعبان المشهور فتقرأ أولا سورة يس ثلاث مرات الأولى بنية طول العمر والثانية بنية العصمة من الآفات والثالثة لغنى القلب وحسن الخاتمة ثم يقرأ الدعاء وأوله (اللهم يا ذا المن ولا يمن عليك.....)[٣].

- وترتيب الأذكار والأحزاب:

رتب بعض الشيوخ كثيرا من الأدعية للعامة والأتباع للمداومة عليها، وحفظهم من العقائد المحرفة والفتن،

---

(١) أما الإمام الناشري فقد ذكر في الإيضاح أن والده أمر الناس بزبيد بتركها للخوف من تركهم الصلاة في سائر السنة حتى ما بقي أحد يصليها في الجامع وأما الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمه فقد ذكر في الفتاوى الهجرانية أن حديثها (كن جبرا لكل فريضة) مكذوب موضوع على رسول الله لا أعرف له أصلا لا قويا ولا ضعيفا وإنما اختلقه من لا خلاق له فتنة للمسلمين لتكلوا على ذلك فيما يتفق لهم من تفويت المكتو ات أو الإخلال ا (١٥٤/١) وأما ابن حجر الهيتمي قال في الإيعاب ومن أقبح مفاسد هذه أن هذا اعتقاد يجر إلى الكفر لأنه مخالف ا مع عليه مـ ن الدين بالضرورة أن الصلاة المفروضة لا يسقطها شيء) وقريبا من هذا قوله في التحفة التي هي المعتمد عند فقهاء حضرموت وقال في الفتاوى (وأما صلاة البراءة فإن أريد ا ما ينقل عن كثير من أهل اليمن من صلاة المكتوبات الخمس بعد آخر جمعة من رمضان معتقدين أ ا تكفر ما وقع في جملة السنة من التهاون في صلا ا فهي محرمة شديدة التحريم يجب منعهم منها. (٢١٧/١) قال باوزير معلقا على القائلين بالحرمة كما في النهر المورود: وهذه الصلاة من عهد سيدنا الشيخ الكبير المحقق أبي بكر بن سالم نفع الله به تصلى في جامعه المحروس إلى الآن ولا يعتقدون شيئا مما يعتقده الجهال).

(٢) النهر المورود نقلا عن علوي بن أحمد الحداد ملخصا (ص:١٠١).

(٣) كـ النجاح والسرور (ص:٦٠).

منها المأثور ومنها باجتهاد منهم كراتب الحداد وراتب العطاس، وقد تم شرح الراتبين في ذخيرة المعاد والقرطاس، ثم خلطت هذه الأذكار بالقصائد التي تضمنت التوسل بالأولياء، وصارت بعد ذلك أورادا تقتفى، ويداوم عليها وقد جمع عمر بن محمد بن حفيظ في خلاصة المدد النبوي أوراد السادة آل أبي علوي نقتبس مما أورده من عمل الشيوخ ما يلي:

- أذكار آخر الليل بعد ختم الوتر الدعاء بأسماء الله الحسنى ومنها الدعاء بيا الله مائتي مرة.

ثم يقرأ القصائد التالية بصوت واحد مع تكرير الأبيات التي تحتها خط (ثلاثا).

١ - قصيدة العدني المشهورة بالوسيلة التي توسل فيها بالأنبياء والملائكة ثم بأقطاب الطريقة:

أخص به الإمام القطب حقا وجيه الدين تاج العارفين

رقى في رتبة التمكين مرقى وقد جمع الشريعة واليقينا

وذكر العيدروس القطب أجلى عن القلب الصدى للذاكرينا

عفيف الدين محيي الدين حقا له تحكيمنا وبه اقتدينا

ولا تنس كمال الدين سعدا عظيم الحال تاج العارفينا

وناظمها أبا بكر إماما حباه إلهه جاها مكينا

وبعدها النفحة العنبيرية في الساعة السحرية لعبد الله بن علوي الحداد ومطلعها:

يا عالم السر منا لا تك الستر عنا

ثم قصيدة لعبد الله بن حسين بن طاهر ومطلعها:

يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين

يا أرحم الراحمين فرج على المسلمين

ثم قصيدة علي بن محمد الحبشي ومطلعها:

رب إني يا ذا الصفات العلية قائم بالفناء أريد عطية

ثم قصيدة الحداد ومطلعها:

قد كفاني علم ربي من سؤالي واختياري

ثم دعوات محمد بن عبد الله الهدار، ثم ورد أبي بكر بن سالم.

- من أوراد بعد صلاة الفجر:

ورد أبي بكر بن سالم ثم الورد اللطيف للحداد وسورة يس والدعاء الذي يقرأ بعدها ثم ورد أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم احتطت بدرب الله، طوله ما شاء الله، قفله لا إله إلا الله، بابه محمد رسول الله سقفه، لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم ورد النووي ثم حسبنا الله ونعم الوكيل (٧٠) مرة.

وأفوض أمري إلى الله أن الله بصير بالعباد (١١) مرة.

- من أذكار ما بعد الظهر حزب النصر للحداد.

- ما بعد العصر قراءة سورة الواقعة والدعاء الوارد بعدها ثم حزب البحر لأبي الحسن الشاذلي وفيه (سخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى وسخرت النار لإبراهيم وسخرت الجبال والحديد لداود وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة وسخر لنا كل شيء يا من بيده كل شيء (كهيعص) ثلاثا...(حم) (سبعا) حم الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون. بسم الله بابنا تبارك حيطاننا يس سقفنا كهيعص كفايتنا حم عسق حمايتنا.

- أذكار ما قبل المغرب: الورد الطيف للحداد أو أحد راتبي عمر بن عبد الرحمن العطاس أو الحداد.

أذكار ما بعد العشاء: ورد أبي بكر السكران ثم ورد النووي وسورة تبارك.

أذكار ليلة الجمعة ويومها قراءة سورة الكهف وسور أخرى ثم بعد القرآن قصيدة العدني التي سبقت الأبيات منها ثم قصيدة (قد كفاني علم ربي) ثم الصلاة الإبراهيمية ثم الصلاة التاجية لأبي بكر بن سالم ومنها (اللهم صل وسلم وبارك بقدر عظمة ذاتك العلية في كل وقت وحين أبدا عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت على سيدنا ومولانا محمد وعلى أل سيدنا ومولانا محمد صاحب التاج والمعاراج والبراق والعلم ودافع البلاء والوباء والمرض والألم!!..).ثم ورد أبي بكر بن سالم ثم يقرأ القصيد التي أولها.

يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا

يا ربنا يا ربنا كهف وغوث ومعين

- أذكار ما بعد عصر الجمعة الصلاة الإبراهيمية ثم الصلاة التاجية لأبي بكر بن سالم[1].

فانظر كيف يلتزم بأوراد الشيوخ وعملهم وترتل قصائدهم في أشرف الأوقات من الثلث الأخير من الليل باستغاثة بالأولياء الذي إنما يحي بالتهجد والاستغفار على هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجمل ما ورد في شرح البائية من الاقتصار على المأثور قال ك لأن العلماء جمعوا في ذلك أحزابا كثيرة يتعذر العمل بكل ما فيها فيبغي للمتعبد صرف عنايته إلى ما ورد من آية قرآنية أو سنة نبوية لأنه أفضل عملا وأشد تأثيراً فلا ينبغي للراغب في المزيد إهمالها والاشتغال بغيرها ولو قيل فيه من الفوائد والفضائل[2].

(١) خلاصة المدد النبوي إصدار مركز النور للدراسات والأبحاث توزيع دار الفقيه للنشر والتوزيع.

(٢) شرح بائية الحداد لعلوي بن أحمد السقاف (ص:١٤٥).

- وترتيب فضائل السور والأدعية:

وفي ثنايا الوصايا والإجازات ترد الوصية والإجازة بالأدعية والأذكار المأثورة وكذا فضائل السور وقد يخلطون ذلك بما هو من عمل الشيوخ كما ذكر في دعاء السفر قبل أن تخرج من البيت بقراءة آية الكرسي، ودعاء الكرب المشهور، ثم اكتب الحروف التي هي أوائل سور القرآن، واحملها معك فإن لها سرا عظيما في الجلب والدفع، وإذا أراد ركوب البحر فتكتب على خزف أو حصاة وتلقى في البحر قبيل الركوب ير فاعل لك عجبا من التيسير ومن الأسماء التي تورثك استجابة الدعاء يا سميع يا بصير تذكر ما كل يوم مائة مرة وهي أدنى ما تقتصر عليه ومن الحروف القرآنية التي تقولها عند مواجهة الظلمة لكفاية شرورهم كهيعص حم عسق تعقد على الأولى أصابع اليمنى وفي الثانية أصابع اليسرى(١).

ونسوق جملة من ذكرت في عقد اليواقيت ضمن الوصايا والإجازات منها:

- سورة العصر وقريش لصلاح القلب تقرأ صباحا ومساء ثلاثا.

- قراءة يس وسبع مرات من لئلاف قريش أمان من الخوف وبحرف الصاد الجامع للصلاة والصبر والصدق حسبما الوصية.

- قراءة العلق والقدر والزلزلة وقريش صباحا ومساء مرة،مرة فإن قراء ن تنفع من شر الظاهر والباطن وقد جرب ذلك الجم الغفير ونص عليه الجيلاني.

- قراءة سورة الإنشراح عند لقاء عدو مهيل أوسبع أو جان ست مرات مرة عن يمينه ويتفل في تلقائها ويفعل مثل ذلك في بقية الجهات الست وقد جرب ذلك الجم الغفير فوجدوه واضح البرهان.

- قراءة سورة قريش سبعا عند تناول طعام خيف ضرره ولو سماً أو فعل شيئا توهم عاقبته وظلمه.

- قراءة اسمه اللطيف عدد حروفه الأربعة وعدد حسا ا بطريق الجمل وذلك مائة وثلاثة وثلاثون بعد الفريضة أخبر الأساتذة أن من تأثير خاصية إفاضة النور الإلهي على الباطن والإمداد بالفتح العظيم ومن الشهير عند نزول الشدائد وتواتر المعضلات تلاوته ستة عشر ألف وستمائة وأحد وأربعين مرة فقد جرب إنتاجه في حلها والوقاية من ضرها.

- ما بين سنة الفجر والفرض البسملة تسع عشرة مرة لأن خزنة النار تسعة عشر كل بسملة تقوم مقام واحد يا عزيز إحدى وأربعين مرة لسعة الرزق ولسعة الرزق أيضا يا قيوم فلا يفوته شيء من علمه ولا يؤده سبع وعشرين مرة(٢).

- ومما ورد أيضا ما ساقه صاحب الدليل القويم في عادات تريم في شهري محرم ورجب مثلا أنه في غرة

---

(١) العطية الهنية والوصية المرضية لعلي بن حسن العطاس (ص:٢٥).

(٢) انظر (١/٤٦-٦٥-٧١-٨٦).

شهر محرم تستهل بالتلاوة والأذكار والصلاة والأدعية المأثورة في فضائل ذلك الشهر ومن تلك الأعمال ما يستحب كتابة (١٣٠) مرة من البسملة فمن كتب ذلك لم يصبه مكروه طول العام ومن قرأ آية الكرسي (٣٦٠) مرة حفظه الله وعصمه من الشيطان طول السنة ثم يأتي ذا الدعاء (اللهم يا محول الأحوال حول حالي إلى أحسن حال بقدرتك يا كبير يا متعال وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) مرة واحدة.

ومما هو مطلوب يوم عاشوراء قراءة ألف مرة سورة الإخلاص.

- وترتيب المولد:

بالإضافة إلى ما وجد من موالد رتبها مشايخ مشهورون وتندرج تحت ترتيب الشيوخ وراجت في حضرموت التي يجتمع لها كمولد البرزنجي والديبعي وقصائد البرعي وأحيانا يتم الاجتماع على ما نظمه شيوخ الطريقة المتأخرين لقصة الميلاد للمريدين، ومن آخرهم نظما الضياء اللامع لعمر بن حفيظ، وتكثر في شهر ربيع الأول بمناسبة الاحتفال بالمولد وقد أحصيت فقط في تريم عشرين مولدا مشهورا ولعل أشهرها مولد الرباط صباح آخر الأربعاء من الشهر الذي يفد ‘ليه الأتباع من أماكن شتى قيل إنه تنفتح له خزائن من العرش لا تنفتح لغيره كما ذكر في عادات تريم[1].

ويعتقد البعض أن القيام في المولد تعظيم للنبي صلى اله عليه وسلم وغلا مؤلف كتاب قرة العين بجواب أسئلة وادي العين فزعم أنه من شعار أهل السنة والجماعة وأن تركه من علامات الابتداع وربما استلزم ترك القيام الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وأفتى أبو السعود الغماري بخشية الكفر على من يتركه حين يقوم الناس لإشعاره بذلك[2] ومن قصائد القيام التي تفيد ذلك الاعتقاد أعني حضور النبي قولهم.

- مرحبا يا نور عيني مرحبا جد الحسين.

- مرحبا بالنبي والأنبياء والصحابة يوم قمنا عسى دعوة من الله مجابة.

وفي الضياء اللامع بذكر مولد النبي الشافع نظم عمر بن حفيظ مما يقال القيام.

- مرحبا أهلا وسهلا بك يا ذا القدر الارفع.

و في رده عن تجلي النبي في الموالد كما في مجلة الثقافية اليمنية أجاب عمر بن حفيظ: أن المراد حضور الروح أما الجسد المعظم فهو أصون وأكرم أن ينتقل ولكن جاءتنا النصوص الصحيحة والصريحة بأن الأرواح تسير....[3].

أما ما زعمه في السلسلة القدوسية بأنه أفضل من ليلة القدر فهو من باب الغلو قال وذلك من وجوه ثلاثة

---

(١) الدليل القويم (ص:٢٢-٣١).

(٢) قرة العين رسالة صغيرة في أسئلة وادي العين لمحمد بن سالم.

(٣) العدد (١٧٩) وانظر الضياء اللامع الطبعة الرابعة (١٤٢٤) - دار الفقيه للنشر والتوزيع.

أحدها أن ليلة المولد ليلة ظهوره وليلة القدر معطاة له والثاني أن ليلة القدر شرفت بـ ول الملائكة وليلة مولده شرفت بظهوره والثالث ليلة القدر وقع ا التفضل على أمته وليلة المولد الشريف وقع ا التفضل على سائر المخلوقات(١).

سابعاً: الكسب والجذب:

تبدأ رحلة المريد في السفر الصوفي الشاق بصحبة الشيخ العارف بعد أن يسلم له القياد والروح ليعرج ا في المقامات، وتنتهي إلى أعلى مراتب الولاية، ويكون هذا العروج عبر بوابتين الأولى: الكسب، والثانية: الجذب، فهو لا يتم عن طريق النقل ولا إعمال العقل، بل لمن سلك طريق الصوفية بعد الجذبة الإلهية على حد قول باسودان: (وهذه الحقائق والعلوم لها رجال وصلوا إليها بالذوق والعرفان والكشف والعيان فطريق وصفها والبحث في علومها وأعيا ا الثابتة في العلم الأزلي مسدود إلا على من سلك طريق الصوفية بعد الجذبة الإلهية الآتية في معنى قوله تعالى: ((إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس...)) نقله صاحب عقد اليواقيت. وفيه أيضاً: (وقد قيل أن علوم الأسرار وأحوال العارفين من فوق طور العقل مما هو خارج عن قوة الفكرة والكسب كما قال ابن الفارض نفع الله به....

ولا تك ممن طيشته دروسه بحيث استقلت عقله واستفزتِ

فثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمةِ

تلقيته عني وعني أخذته ونفسي كانت من عطايا ممدةِ)(٢)

واستشهاده هنا بقول ابن الفارض مزلة قدم في القول بالوحدة كما مفهوم البيت الثالث.

وقال أبوبكر بن سالم موضحا النوعين أعني الكسب والجذب فقال في معارج الأرواح (الوهبي مـ ه عن كل علم وعمل والكسبي مقامه جندي من جنود الولاية الكبرى)(٣).

وهكذا يبدأ المريد بالسير في المقامات إلى أن يقطعها كلها فيصل إلى المشاهدة ولكن ربما يطرأ الجذب فيطير به إلى الغاية ويدع السلوك وهنا فالسير ثم الطيران يقود إلى الجذبة التي تورثه المشاهدة وتسلمه المشاهدة للعيان آخذ بعضها برقاب بعض كما حرره العيدروس بقوله في الكبريت الأحمر: (وحقيقة العارف سائر طائر، ثم السير يستدل بالطير، فالسير يكون في مقامات النفس المطمئنة، والطير يكون في مقامات الروحانية العلوية،

---

(١) (ص:٩٧٣).

(٢) (٤٦/١) ولباسودان أيضا في مطالع الأنوار (وهذه الحقائق والعلوم لها رجال وصلوا إليها بالذوق والعرفان والكشف فطريق وصفها. مـ ـسدود إلا على من سلك طريق الصوفية بعد الجذبة الإلهية الآتية في معنى (إني آنست نارا). وقال في بيان طريقي الولاية (الكسب والجذب) عند شرح قول بلفقيه عن الولاية:فنيلها من منح فيض وهبي أو فتح فضل بعد جد كسبيلا من روايات الورى والكتب ولا بقيل علمها أو قالأي بمحض الجود والكرم وقد يكون بعد الجد والاجتهاد الكسبي ويكون الكسب بعد الجذب (ص:٤٦-١٢٧).

(٣) [المعارج:٨].

ثم يستدل الطير بالجذبات السرية، فالجذبة تبعده عن إنيته وتقربه لهويته إلى أن تورث الجذبة المشاهدة، فالمشاهدة أحضرته معه وغيبته عنه إلى أن ظهر بالعيان، فالعيان يسحقه والعين تمحقه ثم يحققه الحق ويزهق باطله فيكاشف بأنوار غيب الغيب، فيطالع أسرار الملك والملكوت، ويتيه في العظموت والجبروت حتى تتجلى له شمس الربوبية عن سماء العبودية، فأشرقت أرض البشرية بنور ر ا.)[1].

ولتوضيح العلاقة بين السلوك والجذب فإ ا أربع درجات للسالكين:

الأول: خارج عن طريق القوم لأنه ليس عنده أحوال وإنما سالك في المقامات فقط.

الثاني: مجذوب أبتر لم يتدرج في المقامات محروم من الأعمال فهو ناقص.

الثالث: سالك كابد المقامات ثم حصلت له الجذبة وحصلت له المشاهدة.

الرابع: مجذوب أولا ثم سلك فهو أكمل الأصناف الأربعة والصالح للمشيخة[2].

وقيل هم على أربعة أقسام سالك بعد الجذب، محب ومحبوب والثاني مجذوب بعد السلوك طالب ومطلوب والثالث مجذوب غير سالك محبوب غير متعوب والرابع سالك محب غير مجذوب ويقتدى بالأولين دون الآخرين عند شيوخ الطريقة العارفين المحققين وأول الأولين أفضل من ثانيهما على الأصح عندهم.[3].

وممن اشتهر بالوصول إلى الغاية بالجذب صالح بن عبد الله العطاس كما في تاج الأعراس أنه أصابته جذبة من ذي الجلال، إلى مواطن القرب والكمال، حيث تنتهي الأعمال، ولم يمتحن بشيء من المشاق. وكان قد أزعجه هذا الجذب حتى عزم على السياحة في البراري ليهيم على وجهه غير أنه عدل عن ذلك بعد رؤيا لبعض سلفه أمروه أن يرجع إلى نشر الدعوة مقابل أن يتحمل الجذب عنه عمر عبد الرحمن السقاف.[4].

المقامات والأحوال:

لقد أناطوا الوصول إلى الغاية بمقامات تقود مجموعها إلى موت النفس ولا بد من التزام ظاهر الشريعة أثناء الرياضة، وقد تم ترتيب الأحول والمقامات التي يقطعها السالك حتى يظفر بمطلوبه عد العيدروس في الكبريت الأحمر عشرة مقامات تثمر عشرة أحوال فالأول التوبة التي هي أصل المقامات وتثمر المحبة التي تبنى عليها الأحوال والثاني الورع يثمر الشوق والثالث الزهد ويثمر الهيبة والرابع الصبر يثمر الأنس والخامس الفقر يثمر القرب والسادس الشكر يثمر والسابع الخوف ثمر السكر والثامن الرجاء يثمر الوصول والتاسع التوكل يثمر

---

(١) (ص:٧٧).

(٢) العرف العاطر لعبد الرحمن بن مصطفى العيدروس (٩٠).

(٣) الدر المدهش البهي (ص:١٣٦) وفيه أن سعدا بن علي كان من أصحاب ا اهدات ثم حصلت له الجذبة.

(٤) تاج الأعراس (٤٧/١-٥٤-٥٥).

الفناء والعشر الرضاء يثمر البقاء[1].

واليقين أصل جميع المقامات التسع التي عناها الحداد في التائية بقوله:

مقاماته تسع عليك بحفظها وأحكامها وابدأ بتصحيح توبة

وخوف ونعم الخوف للعبد سائق ونعم الرجا من قائد للسعادة

وصبر جميل عند كل بلية وأمر و ي أو ركون لشهوة

وشكر على النعماء برؤية منعم وصرف الذي أسداه في سبل طاعة

وصحح مقام الزهد فهو العماد والتوكل وهو الزاد في خير رحلة

وحب إله العالمين مع الرضا بكل الذي يقضيه في كل حالة

وجاهد تشاهد واغنم الوعد بالهدى هدى نصه في العنكبوت بآية

فالرضاء أشرف المنازل بعد النبوة قيل فيه باب الله الأعظم أو جنة الدنيا، وأشار إليه أبو بكر العدني شعرا:بل هذه لا شك جنة ثانية قد عجلت لهل القلوب الصافية[2].

وهكذا تتألف الطرق غالبا من عدد من المقامات والأحوال التي يسلكها الصوفي في باب الكسب ليصل إلى الغاية وربما طرأ على سلوكه الجذب فيطير إلى الغاية طيرانا وأول من تكلم في ترتيب الأحوال والمقامات كما في تلبيس إبليس هو ذو النون المصري قال فأنكر عليه ذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف اهـ[3].

ثامناً: الخرقة الصوفية:

الانتساب للطريقة والوصول للحقيقة بأخذ العهد والمواثيق يكون من خلال لبس الخرقة الصوفية وتكون رابطا بين الشيخ والمريد وهي نوعان: خرقة إرادة للخصوص، وخرقة تبرك للعموم، وتجمع المصادر للطريقة الحضرمية على أن المرجع في لبس الخرقة الصوفية هو الفقيه المقدم وله من جهة الكسب المعتاد طريقان الأولى: نسبة سلسلة الإسناد المسلسلة بالآباء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والأخرى - كما في البرقة المشيقة - ما حصل له من الإذن الرباني، والأمر الغيبي، فلبس الخرقة من يد أبي مدين شعيب بن الحسين المغربي بواسطة عبد الرحمن المقعد وبواسطة عبد الله بن علي بن صالح المغربي بسنده عن أبي يعزى إلى الحسن البصري الذي ألبسه

---

(١) الكبريت الأحمر ولو تأملنا مرادهم ـذه المقامات نجد بعضها من قبيل التنطع كما ضرب لنا مثلا العيدروس في توبة ذي النون وورع أبي يزيـد حين رجع من بسطام إلى همذان ليرد نملة وجدها في قرطم اشتراه من هناك وقال غربتها عن وطنها وكذلك المراد من الزهد ترك الدنيا رأسا.

(٢) السلسلة القدوسية (٢٣٩/١).

(٣) وقد جرى العرف باعتبار التوبة أول المقامات كما أن الرضا آخرها فحين عدها الطوسي في اللمع سبعة بدأها بالتوبة واختتمها بالرضا نجد أ ا عند أبي طالب في قوت القلوب تسعة مقامات أولها التوبة وآخرها المحبة وعد السهروردي عشرة مقامات.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخرقة... وللفقيه المقدم أيضا في لبس الخرقة طرق كثيرة من جهة الكسب الظاهر وطرق كثيرة من جهة الإشارة والكشف الباهر الإجتماع بالخضر ورجال الغيب وأهل البرزخ!![1].

ويرى أبو بكر العدني في الجزء اللطيف في التحكيم الشريف أن لبس الخرقة يعد إظهارا لتصرف الشيخ في المريد، ويكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الشيخ، ودخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنة مبايعته صلى الله عليه وسلم وقال: وأما خرقة الإرادة يتعاطاها من له إرادة صادقة وهمة عالية وجد على ا اهدة وخروج عن أوامر نفسه واختيارا ا ودخول في أوامر شيخه واختيارته، ويكون كالميت بين يدي الغاسل!! ولا ينتقد على شيخه في شيء قط! بل يسلم له ويفوض أمره إليه[2].

وإنما سمي هذا اللباس خرقة وخصص ذه التسمية وهي عبارة عن الطاقية والقميص والعمامة والطيلسان وغير ذلك مما يقع به اسم لباس ويصح عليه حكم الإلباس لأن هذا الاسم باشتمال بركته وعموم إشارته يقع على حسنها.. ولا ينبغي للمريد أن يديم لبسها لأ ا تفنى حينئذ وتفوته بركة بقائها عنده، وزاد بعضهم خرقة التشبه التي تلبس بقصد التشبه بالصوفية وحكمها أنه يلبسها كل من أراد التشبه م وأحكامها كخرقة التبرك.

الاحتفال عند لبس الخرقة:

وربما يكون إلباس الشيخ للمريد في مشهد كبير يحضره الصوفية فقد لبس أبو بكر العدني الخرقة بمحضر عظيم من كافة المشايخ والفقراء والعلماء وكان ذلك بشهر رجب سنة (٨٦٥هـ)[3].

فروع الخرقة:

ولهذه الخرقة فروع لعل أشهرها الخرقة السقافية فقد كان السقاف مشهورا بالتحكيم ونقلوا عنه قوله: قال أعطيت التحكيم من ست أيدي ما رضيت أن أحكم ا حتى أتاني جميع الأنبياء والأولياء وأمروني بذلك وكان يقول لا أحكم أحدا حتى أسمع النداء من الحق يأمرني بذلك عقد ويسمونه الصباغ لأن خرقته بالبركة مشهورة وبالفوائد والصبغ لقلوب أربا ا مذكورة[4].

والخرقة العيدروسية: ذكرت كتب التراجم أن العيدروس تحكم لعمه عمر المحضار وكان يقول أعطاني عمي ثلاث أيدي يد من النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الكشف!! ويد من الشيخ عبد الرحمن السقاف،

---

(١) البرقة المشيقة قال السخاوي ثم أن الكذب المفترى من قال أن عليا ألبس الخرقة الحسن وليس في شيء من طرقها أن النبي ألبس الخرقة على الصورة المتعارف ا بين الصوفية لأحد من الصحابة وكل ما يروى في ذلك صريحا فباطل ولعل السيوطي عرض بإنكار سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب وعناه بقوله في الحاوي: وتمسك ذا بعض المتأخرين فخدش في طريق لبس الخرقة وأثبته جماعة وهو الراجح عندي لوجوه.

(٢) (ص:٦-١٠).

(٣) انظر الجزء اللطيف (ص:١٧) السلسلة القدوسية (٢٢/١) وعقد اليواقيت (١٤٠/١).

(٤) السلسلة القدوسية (٣٠٧/١) العقد (١٢٢/٢).

ويد من أحد رجال الغيب![1].

وكان إذا أخذ العهد على من طلب منه التحكيم يشرع بعد أن يأمره بالتوبة والاستغفار في تعليمه العقائد من الإيمان بالله والتـ يه له سبحانه وتعالى وبرسله وكتبه وعذاب القبر وسؤال الملكين وغير ذلك مما ذكر في العقائد ثم يقول له مذهبنا في الفروع مذهب الشافعي، وفي الأصول شيخنا الأشعري، وطريقتنا طريقة الصوفية[2].

وممن أخذ عنه أحكام لبس الخرقة أخوه علي بن أبي بكر كما قال: لنا منه صفة في لباسها من جميع جهاته وسلاسل سنده بالإذن المطلق، والتفويض في أمر التحكيم، وأحكام لباس الخرقة، ولا أعلم أحدا له ما لي في إلباسها[3].

والخرقة الحدادية التي أخذت اليد فيها بالإضافة إلى شيوخ الحداد - الذين بلغوا المائة من أهل الظاهر وغيرهم من أهل البرزخ - من النبي صلى الله عليه وسلم كما نقل عن قوله: إن اليد في هذا الشأن لنا من أربعة من أهل البرزخ من الفقيه المقدم والشيخ عبد الرحمن السقاف والشيخ عمر المحضار والشيخ عبد اله بن أبي بكر العيدروس وأما الآن فاليد لنا من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وأخذنا عن الشيخ عبد القادر الجيلاني بواسطة وبغير بواسطة ولنا به اتصال من حيث رحم أهل البيت. كما لبس الخرقة بالمكاتبة من محمد بن علوي عند ما أرسلها له من مكة[4].

الخرق الأخرى:

عرف تصوف حضرموت لبس خرق أخرى غير خرقة الفقيه المقدم وذلك منذ عهد مبكر ولكن في نطاق ضيق فمنها:

الخرقة الأهدلية -نسبة لعلي الأهدل- لبسها أحمد بن الجعد ومنه أخذها عبدالله بن محمد باعباد الذي انتمى إليه قالوا وتم هذا اللبس بأمر من شيخه الفقيه المقدم وكذلك لبسها عبدالله باعلوي بأخذه عن عبد الله بن إبراهيم باقشير. وقد لبس الخرقة الأهدلية إبراهيم بن يحي بافضل بأخذه عن أبي الغيث بن جميل[5].

الخرقة الجيلانية لبسها أبو بكر بن سالم بعقد السند والصحبة والإذن عن معروف باجمال وهو أخذ عن إبراهيم بن عبدالله باهرمز الذي لبس الخرقة من محمد بن أبي بكر الحسني وهو من إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي

---

(١) المشرع الروي (١٥٣/٢) وكما أن العيدروس قد أخذ اليد عن النبي صلى اله عليه وسلم فإن سعدا بن علي مذحج رأى النبي يقظة وألبسه كوفية وبقيت عليه ليلا و ارا قال في السلسلة فإذا علمت هذا فلا بأس باتباع السادة المشايخ الصوفية في لبس الخرقة وإلباسها وإن كانت أحاديثها غير قوية فإنه يؤيد ما ذكرناه حديث المبايعة والتحكم من الشيخ في حق المريد شبه المبايعة (٦٣/١).

(٢) نقله عنه ابنه أبو بكر العدني قال وعلى الجملة فهو عقد كالعقود يكفي فيه إيجاب وقبول وما زاده فزيادة خير.

(٣) شرح العينية (ص:٢٠٠).

(٤) غاية القد والمراد (٢١٦/١) وفي النهر المورد نقل أنه إذا أشكل عليه حديث أم ضعيف أخذه من النبي بلا واسطة!!! (١١١).

(٥) عقد اليواقيت (١٢٥/٢) - صلة الأهل (٧٧).

الذي يتصل سنده إلى عبدالله الأسدي عن الجيلاني[١].

وأخذت الطريقة النقشبندية عن عبدالله بن مصلح الخراساني قال عيدروس بن عمر وصافحته على ذلك وتلقيت منه كيفية الذكر بحبس النفس وأوصاني باستدامة الذكر بلا إله إلا اله ويا الله، الله في اليقظة وعند النوم وفي الخلوة والجلوة وبتقوى الله في كل حال والدعاء له وأجازني في الراتب المنسوب لعبد القادر الجيلاني يقرأ بعد صلاة العصر...[٢].

ويبدو أن لبس هذه الخرق يأتي في الدرجة الثانية بعد التحكم للطريقة الحضرمية أولا وسيأتي تحذير بعض المشايخ عن الخروج عن الطريقة العلوية قريبا.

صفة عقد التحكيم :

وذكر علي بن أبي بكر السكران في البرقة المشيقة فيذكر لباس الخرقة الأنيقة:

فائدة: في صفة عقد التحكيم الذي استحسنه جماعة من شيوخ العارفين بأن يعقد التحكيم متربعا بين يدي المحكم ويوصيه بالتقوى ويقول بعد ان يقرأ عليه آيات البيعة رضيت بي شيخا فيقول رضيت ثلاثا وفي صيغة أخرى بعد الشهادتين يقول إني تائب إلى الله من جميع المعاصي مقبل على الله تعالى بكل ما يرضيه واخترت الفقر على الغناء والذل على العز واخترت الله تعالى على كل شيء ورضيت صحبة الفقراء واختر م على غيرهم ورضيت بسيدي فلان قدوة[٣].

عقد التحكيم للأبي بكر بن سالم:

يبدأ بقراءة الفاتحة ثم يقول المريد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا، رضيت بالشيخ أبي بكر بن سالم شيخا وقدوة ووسيلة إلى الله وإلى كل مقام وطريق محمودة وعونا لي على الهوى والنفس وكل أعدائي والخلق، ورضيت بك واسطة إلى الله كذلك فيقول الشيخ اللهم ارزقنا محبتك ومحبتهم والتأدب معك ومعهم يا أرحم الراحمين[٤].

الامتحان الصعب عند التحكيم:

ذكروا أن عبد الرحمن الأخضر باهرمز كان من أشد الشيوخ اختبارا للمتحكمين له، وقد قال لعمر بن عبدالله بامخرمه حين أراد أن ذلك: صلّ إلى غير جهة القبلة! فامتثل فلما أراد أن يحرم رأى الكعبة تلقاء وجهه

(١) أغلى الجواهر (٦٦).
(٢) عقد اليواقيت (٢/٥٠).
(٣) البرقة المشيقة (ص: ١٦٠).
(٤) أغلى الجواهر (٦٦).

ثم حكمه![1].

قلت: ولا غرابة عندهم في ما نقل إذا فهمنا هذا النقل في سياقه العام وهو الارتباط بم لة جمع الجمع، وفي العقد النبوي نقلا عن علي أبي بكر السكران في شرح كلمات الفقيه المقدم الثلاث: واعلم أن العبد إذا أشرق فيه نور حضرة البهاء وشاهد بسره المنظر الأعلى صارت له جميع الجهات الست مصلى! وينبيك عن هذا السر العارض قول الشيخ ابن الفارض شعرا:

فكل الجهات الست نحوي **توجهت** بما ثم **من نسك وحج وعمرة**[2]

وممن يصلي من غير شعور، وربما صلى إلى غير القبلة لما استولى عليه سلطان الحقيقة أحمد بن علوي باجحدب قال في المشرع الروي وذلك حين تلاشت العبدية في كعبة العندية، ونودي بفناء الفناء من عالم البقاء، ورفعت القبلة وما بقي غير الله فأينما تولوا فثم وجه الله[3].

وقد سئل أحمد بن حسن العطاس عن امتحان باهرمز هذا لمريده عمر بامخرمه هل له أصل من السنة فقال: إنه لما رآه فقيها متمسكا بما معه أراد أن ينقله عن موضعه ذه الأمور!! وله دليل يلمح من طرف خفي بالغط الصادر من سيدنا جبريل لسيدنا رسول الله حين نزوله بالوحي ا.هـ [4].

قلت وبين الفرع والأصل بعد المشرقين وشتان بين الغط المشار إليه وبين الأمر بمخالفة الشرع.

الجمع بين **الإلباس والتلقين:**

ويصاحب الإلباس عادة تلقين الذكر المشهور بالنفي والإثبات وقد يفرد أو يكون بالضمير الغائب ومراتب الأذكار في السلسلة العيدروسية ثلاثة: أولها لا إله إلا الله، والثاني الله، والثالث هو، الذي هو الذي مكاشفة الأسرار كما سبق نقله في الذكر.

ومنه ما ورد في عقد اليواقيت قال مؤلفه عن بعض شيوخه: أجازني الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله،الله هو، إلا هو إلا هو، وأخبرني أن فيه واقعة قال أخبرت العم محمد بن حسين بذلك فقال إن الكيلاني أو قال تلميذه قال أجمع الطرائق في الذكر هذا[5].

---

(١) السناء الباهر (٨٧) وهذا اختبار من ثلاثة كما وردت في كنوز السعادة (ص:١٢٠) قلت وفي العقد النبوي نقلا عن علي أبي بكر السكران في شرح كلمات الفقيه المقدم الثلاث: واعلم أن العبد إذا أشرق فيه نور حضرة البهاء وشاهد بسره المنظر الأعلى صارت له جميع الجهات الست مصلى وينبيك عن هذا السر العارض قول الشيخ ابن الفارض شعرا فكل الجهات الست نحوي توجهت بما ثم من نسك وحج وعمرة.

(٢) وقد اقتبس المعنى المذكور الشيخ عمر بامخرمه في القصيدة التي مطلعها: لطائف الله أقبلت.فقال من جانب القدس العلي أدنيت واستدنيت كل عاليفاسترسلت واستقبلت وجهي الجهات الست ثم صلت.

(٣) (٧٣/٢).

(٤) تنوير الأغلاس (١١١/٢).

(٥) عقد اليواقيت (١٠١/١) ومن التلقين قوله: ألبسني الحسن بن صالح البحر الخرقة وأعطاني القلنسوة ولقنني الذكر ذه الصيغة لا إله إلا الله ثلاثا لا معبود إلا الله لا إله إلا الله ثلاثا لا مقصود إلا الله لا إله إلا اله ثلاثا لا موجود إلا الله لا إله إلا الله ثلاثا لا مشهود إلا الله.

الجمع بين الإلباس والمصافحة:

ومثاله ما ذكر شيخ بن عبد الله - الحفيد - في السلسلة القدوسية وقد صافحني وشابكني ولقنني الذكر الوالد كما صافحه وشبكه ولقنه والده شيخ بن عبدالله كما صافحه ولقنه وشابكه ولقنه الذكر عبدالله بن محمد باقشير كما صافحه ولقنه الذكر الشيخ عبد الرحمن بن علي كما صافحه والده الشيخ علي بن أبي بكر كما صافحه الشيخ علي بن محمد خطيب كما صافحه أبو اليمن الطبري كما صافحه إبراهيم الشوهاني كما صافحه أبو العباس الملثم وكان عمره أربعمائة سنة كما صافحه المعمر وكان عمره يقرب من ذلك والشيخ المعمر رأى سيدنا رسول صلى الله عليه وسلم وصافحه بالخندق[١].

وفي القرطاس أن عليا بن حسن العطاس في لبس الخرقة وأخذ التلقين والمصافحة من الحسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس قال أمرني بصيام ثلاثة أيام فصمتها فلما كان في اليوم الرابع أمرني أن أغتسل وأنوي به غسل التوبة وأصلي ركعتين وأنوي بهما ركعتي التوبة ثم أمرني أن أجلس بين يديه متربعا مستقبل القبلة وجلس هو متربعا ووجهه إلي وظهره إلى القبلة ووضع يده الكريمة على رأسي ولقنني كلمة التوحيد (الشهادتين)...

ثم ذكر السند إلى عبد الرحمن بن علي إلى الشيخ الملثم! عن الشيخ المعمر....[٢].

الجمع بين الإلباس والتلقيم:

وقد يضاف للتحكيم ما يسمونه التلقيم بأن يضع الشيخ لقمة من أكل في فم المريد قال علوي بن طاهر الحداد في زيارته إلى هود مع شيخه أحمد بن حسن العطاس لقمنا بيده الشريفة وقال لقمني رسول الله إلا أني لا أذكر ما هو الأكل الذي لقمنا منه وأما العسل فقد سقانيه صلى الله عليه وسلم بيده!!!![٣] ويحصل التلقيم بأي نوع من الطعام كما قال صاحب الأشواق القوية عن بعض شيوخه لقمنا العصيدة كما لقمه مشايخه قال والتلقيم له شأن يعرفه أهله وفيه أسانيد مذكورة في كتب القوم وأجازنا وألبسنا ولقننا الذكر.[٤].

وربما جمع أيضا بين الإلباس وحلق الرأس كما سبق نقله عن الطيب بامخرمه في حال الفقيه المقدم.

الحجر على الطريقة:

بعد أن أصبحت الطريقة الحضرمية قائمة على أصولها، ولها شيوخها ومنهاجها التي تسير عليها فرض حولها سياج حتى لا تختلط بغيرها، ولا يتخبط أتباعها فيخطفهم أصحاب الطرق الأخرى قال الحداد ولا ينبغي لأحد من آل باعلوي أني خالف المنهج الذي درج عليه أسلافهم ولا أن يميل عن طريقهم وسيرهم فإن يتبع وينحو ويلقي القياد لكل من يدعي التسليك والتحكيم ممن يخالف سيرهم وطريقتهم لأن طريقتهم هي التي

(١) السلسة القدوسية (٢٢/١).

(٢) نقله عن القرطاس مؤلف تاج الأعراس (١٩٣/١).

(٣) بشائر وطوالع سعود (ص:٢٨).

(٤) (ص:١٥).

يشهد لصحتها الكتاب العزيز والسنة الكريمة وسيرة السلف!![1].

وكان عبدالله بن عمر بن يحي يلوم من السادة العلويين من يتعلق بغير طريق أسلافه ويقول أنه لا يفتح منه شيء وأنه يصاب وأ م لهم غيرة شديدة على من خرج عن طريقتهم إلى طريقة أخرى من أولادهم أو ممن دخل في طريقهم ويرى أن أعظمهم غيرة على ذلك الفقيه المقدم وأبو بكر العدني وعبدالله بن علوي الحداد كما أن محمد بن علوي السقاف عاب على بعض السادة بسبب تحكمه لبعض المسلكين في ذلك الزمان يعني من غيرهم[2].

وحكوا أن الحضارم أخذ طريقة السنوسي فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت وأنه أراد أن يدخل في جماعة السنوسي فطردوه وقالوا: له أنك لست من أصحابنا وأنك من جماعة الفقيه المقدم،وذاك موقفه وأشاروا إليه فذهب ووجد موقفاً عظيماً ودخل فيه، فلما انتبه ترك طريقة السنوسي من حينئذ وأخذ طريقة آل باعلوي.

ومن ذلك ما قع لعمر البار أن بعض مشائخ اليمن قصد أن يجيزه على طريقة نقشبندية فلقي بعض مجاذيب آل باعلوي وهو السيد سالم بن حسن بن شيخ فأول ما ذكره به قول الشيخ عمر المحضار ومن جانا وبايخضع حمانا نكثر في بلده الصائبات[3].

الموقف من التحكم لباركوه والذكر الخاص به:

عمر بن عيسى باركوه (ت:١١٢٥هـ) قال عنه أحمد بن عبد القادر باعشن - صاحب الرباط - أن سلسلته متصلة بالجيلاني، وكان قد انتسب أولا إلى بعض مشايخ أهل المغرب وصحبه ولازمه مدة، وقد وقع نوع اعتراض بخاطره فكاشفه وقال قم واخرج من عندي فإني لست بشيخك إنما شيخك رجل من المشرق، فخرج من عنده وحج وتوجه إلى حضرموت، ودخل تريم فلم يكلمه أحد فلما قصد عينات ورآه بو بكر بن سالم كاشفه بجميع ما جرى بينه وبين الشيخ... وقد أخذ عنه أحمد بن عبدالقادر[4].

وقد تحكم له أيضا عمر بن عبد الرحمن العطاس وأخذ عنه الذكر الخاص به فقال: تلقينا عن عمر بن عيسى باركوه السمرقندي المغربي المقبور ببلدة الغرفة (هو لا إله إلا الله محمد رسول الله (ثلاثا) لا إله إلا الله (خمسا) ثم الله، الله (خمسا وعشرين مرة) ثم لا إله إلا اله محمد رسول الله (ثلاثا) ويرتب هذا الذكر بعد صلاتي الصبح والعصر.

ولكن مع هذا التحكم نلاحظ انزعجا من قبل البعض في الأخذ بغير الطريقة العلوية وعدم رضى بصنيع

---

(١) العقود اللؤلؤية لمحمد بن حسين الحبشي (ص:٣).

(٢) عقد اليواقيت (١/٣٠-١٢٩) - غاية القصد والمراد (١٩٤/٢).

(٣) العقود اللؤلؤية.

(٤) القرطاس شرح راتب العطاس (ص:١١٤).

من تحكم لباركوه حتى قيل أنه (لما جاء الشيخ باركوة إلى تريم وقصده أن يحكم السادة على الكيفية المعروفة من سيرته رأى في المنام أن الفقيه المقدم يقول له: (اخرج من البلد لئلا تفتن أولادي) فخرج هارباً..![١].

تاسعاً: الأولياء الأميون وا اذيب وا هولة هويتهم:

التصوف إذا علم لا يظفر به إلا من ولج بحار ا اهدات، ولا يصل إلى ساحته إلا من تحمل المشاق والمكابدات، بواسطة شيخ ذي دراية بوعورة السير غير أنه قد يطرأ الجذب على السالك فيصل إلى غايته في يسر وسهولة فلا دور للكتب في تأصيله، ولا أثر للعقل في تحصيله، فربما ناله الأميون وا اذيب، ومن لا تعرف أعيا م.

أولا: الأميون:

يذكر متصوفة حضرموت (ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلمه) ويقصدون بذلك ما يفيض عليه من العلم الوهبي الذي لا يحصل بالتعلم وممن ذكروهم ذه الصفة:

سعيد بن عيسى العمودي:

هو الذي تحكم لمندوب أبي مدين وقد وصف بأنه كان أميا ومع ذلك يرد إشكال قوي عند الصوفية فيما نسب إليه من كلام يخالف حاله هذا مثل قوله: لا يكون الشيخ شيخا حتى يعلم أصول الدين وفروعه وقد حاول الإمام الحداد حل هذا الإشكال معلقا فقال: إن قول الشيخ العمودي هذا قول صحيح محقق لأن علم أصول الدين وفروعه يأتي عن طريق الكسب والتعلم، أو عن طريق الوهب والإلهام فإنه كان أميا!![٢] ومما نسب إليه من كلام قيل أنه من قبيل الإلهام أورد بعضه باسودان في فيض الأسرار ومنه (طريق الصوفية طريق محققين وطريق مجتهدين، فأما طريق المحققين فهجر الخلائق،وقطع العلائق، والاجتهاد في خدمة الملك الخالق وأما طريق المقتصدين فالقيام والصيام وترك الآثام)[٣].

محمد بن علي مولى الدويلة:

المتوفى (٧٦٥هـ) وصفه عبد القادر العيدروس بأنه كان أميا ما نقل عنه أنه اشتغل بتحصيل العلم ولا قرأ شيئا من الكتب وقد أراد أن يؤم الناس في مسجد باعلوي فمنعوه فلما صلوا جلس يتكلم على سورة من القرآن بكلام عظيم فعلموا أن هذا من العلم الوهبي[٤].

وعلى الرغم من هذه الأمية إلا أن أول نص شعري رصين حوى مفردات التصوف نسب إليه ومن أبيات

---

(١) ذخيرة المعاد - العقود اللؤلؤية.

(٢) النفائس العلوية.

(٣) فيض الأسرار (٢٨٧/٢).

(٤) المشرع الروي (ص:١٠٢).

هذا النص:

ولما حضرنا للسرور بمجلس أضاءت لنا من عالم الغيب أنوار.

وطافت علينا للعوارف خمرة يطوف ا في حضرة القدس خمار.

وخاطبنا في سكرنا عند صحونا كريم قديم فائض الجود جبار.

وكاشفنا حتى رأيناه جهرة بأبصار فهم لا تواريه أستار.

فتأمل هذا النص تجد المعاني الصوفية في قالب من الشعر الموزون حوى مفردات الفناء (الخمر - السكر - الصحو - حضرة القدس) لا يتأتى نسبته لمن سبق وصفه بالأمية.

عبد الرحيم بن سعيد باوزير:

المتوفى سنة (٨٢٧هـ) كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك فقد وصف أنه من الملهمين وقد ألف كتاب الطرائق وهو عبارة عن سبع وعشرين طريقة في المواجيد والأذواق الصوفية ومما ورد فيه قوله (إني أخبركم بما كوشف به قلبي من مطالعات القبض والبسط.) وقوله (خص الأنبياء بوحي وواسطة بينه وبينهم. وإن هذه الطائفة من عباده اختصهم بخاصة منه ومعاني يجدو ا وأسرار سرية.. قال الأنبياء بواسطة بينه وبينهم وعلم هؤلاء قذف في الأسرار)(١).

ثانياً: ا اذيب:

ونختار في هذا الباب ممن ذكر في دواوين صوفية حضرموت -هداهم الله- ما يأتي:

شيخ بن علي بن محمد مولى الدويلة:

توفي (١٠٥٢هـ) وقد حكوا في ترجمته أنه حصلت له جذبة ربانية وسكرة إلهية مكث سنين في الصحراء صيفا وشتاء لا يدري عن برد ولا حر ولا شمس ولا مطر أشعث أغبر حتى أن بعضهم أكرهه فحلق رأسه فمرض الحالق، وكان يسيل الوادي فلا يصيبه منه شئ، وكان بعض أهل الكشف يرى من الشعب الذي هو فيه نورا ظاهرا، وقال محمد بن حسن جمل الليل قيل لي إن شئت أن تنظر إلى حملة العرش فانظر إلى شيخ بن علي فأتيته زائرا فعرف الإشارة وصار يرميني بالحجارة... وكان يوصف بأن سرائرهم وقلو م مجذوبة إلى الملكوت الإلهي ومظهر أنوار أسرار الذات والصفات الأسمى...(٢).

عبدالله بن محمد المشهور:

قالوا عنه السيد ا ذوب المتوفى (١١٥٣هـ) بتريم كان من كبار الأولياء الأفراد الذين لا يدخلون تحت

---

(١) انظر كتاب على طريقة طرائق عبد الرحيم (ص:١٣٠).

(٢) المشرع الروي (١٢٤/٢).

دائرة القطب وكان لا يعبأ بقول علماء الظاهر له من الكرامات الكثيرة والكشوفات الخارقة المنيرة وكان يأخذ الحرام الصرف من الظلمة ويقول أرى من هو تحت باب العرش ونريد ا المرآة أن تتغمش -أي يذهب لمعا ا- بأكل الحرام ما تغمشت وأنكر عليه رجل بقلبه في عدم الصلاة طاهرا! فلما أتى إليه رشه من لحيته بماء أصفر وقال (والله إني توضأت من الكوثر)[1].

قلت: والذي في لمعة النور في كرامات علي بن محمد المشهور عن والده أن أحمد بن عمر المشهور ـ حفيد عبد الله بن محمد المذكور - كان وليا مجذوبا مكاشفا وأنه ينظر إلى من هو تحت العرش، ويأكل الحرام الصرف أحيانا! فيقال له في ذلك فيقول: مرادي بالمرآة تتكدر ما تكدرت.[2].

والذي يبدو لي أ ما قصتان مختلفتان إلا أن في مخطوطة لمعة النور زيادة اتصال السند بالمشاهدة وأما مطبوعة الخبايا فإ ا ذكرت سنة الوفاة ولم تزد في ترجمة أحمد بن عمر على أنه من كبار الأولياء ذوي الكشف الصادق والبرهان الخارق والتصريف النافذ له الهيبة عند الخاص والعام مقبولا عند الناس توفي بتريم سنة (١٢٥٥هـ). اهـ.

وارتكاب المخالفات بحجة الخشية من التلف أو كثافة الحال شنشنة نقرأها في كثير من الأحوال كما سبق عند السماع مع النساء الحسان ولكن لم يفد هذا ا ذوب شيئا الوقوع في المخالفات طبعا لعلو المقام عندهم.

- أحمد عبد الرحمن الهدار:

قيل فيه أنه كان من الأولياء ا اذيب صاحب كشوفات خارقة قال في الروض المزهر (كان يغلب عليه الجذب ويخبر بالمغيبات ويكاشف كلا بما في خاطره)[3].

وقد ساق له في كنوز السعادة من كراماته الصادرة عن الجذب في نزع الشهوة عند النساء حين يمسك ثديهن وكذلك تحول برازه إلى ذهب نعرض هنا عن التفصيل فيها ونحيل على كنوز السعادة ومجموع كلام أحمد بن عبد القادر السقاف[4].

محمد سباعي الشحري:

ا ذوب أتى محسن بن حسين العطاس وطلب منه شيئا يسيرا من الدراهم فامتنع فسأله أبوبكر بن عبدالله العطاس عن امتناعه فأجاب: لكونه مجذوبا وإعطاء مثله إضاعة للمال فقال له على سبيل العتاب إضاعة مال إضاعة مال وإن كان مالك الآن يرمي به في غبة البحر فانزعج محسن العطاس ورجع إلى ا ذوب وعرض عليه المال القليل والكثير من الدراهم فلم يقبل فرجع إلى أبي بكر ليشفع فشفع وقبل ا ذوب ما أعطاه من الدراهم

---

(١) الخبايا في الزوايا (ص:٦٧).

(٢) انظر (ص:٧٤) وعلق والده بقوله: وما نالوا ذلك بالهوينا.

(٣) الروض المزهر (ص:١٠٥).

(٤) كنوز السعادة (ص:١٧٨) - مجموع كلام أحمد عبد القادر (ص:٦٩).

قال في تذكير الناس فاتفق في الوقت الذي طلب فيه ا ذوب ما طلب أنه رمى بمال الحبيب محسن...[1].

وممن جمع بين الوصفين السابقين سالم بن عمر العطاس على حد قول باحسن في النفحات المسكية (وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب) قال(وربما نسب إليه بعض الجذب)[2].

ثالثاً: الأولياء ‌ مجهولة هويتهم:

لم يكتف صوفية حضرموت بوجود العدد الكثير من الأولياء المزعومين حتى ادعوا أن هناك عددا من الأولياء المخفيين مجهولي العين نذكر منهم:

مولى العرض:

وهو ولي مستور لا يعرف حاله وقبره عليه قبة كبيرة بتريم على سفح جبلها الشمالي وقد رأى أبو بكر المشهور رؤيا تدل على أنه من ذرية عبد القادر الجيلاني الصوفي المشهور وقبره يزار وتساق إليه النذور[3].

مولى الأوسط:

وقبره بمنطقة دمون قالوا ويحصل لزائره مدد لأنه له أسرار كما قال عمر بن حسن الحداد في مجموع كلامه.

مولى الراكة:

قال صاحب مطالع الشموس أنه ذو النور الباهر والولي المستور عند أهل الظاهر قبره في بلدة الغرفة غربي سيؤن ولو علم صاحبه لتهافت الناس على زياراته ولتهافتوا على شرب الماء لكثرة من يأتيه قال ونقل صاحب الأنوار والمكاشف بالأسرار أحمد بن حسن العطاس رأيت سيدنا علي بن أبي طالب فقلت له في أي محل ضريحك فقال في سفح جبل الغرفة في جانبها الشرقي[4].

قبر المغربي:

وهو من العارفين بالله خرج لزيارة تريم فلما وصل باجلحبان رأى الأسرار والأنوار على تريم فاندهش وصرع ومات في الحال ودفن في سفح جبل كحلان جنوب تريم[5].

السبعة البدور:

قال أحمد بن حسن العطاس اجتمعت بسائح صالح جاء من تريم وقال إني مكثت أياما بشعب عيديد

---

(١) تذكير الناس (ص:٢٨٥) - تاج الأعراس.

(٢) النفحات المسكية (مخطوط).

(٣) مهد الطريق إليه عمر بن حسن الحداد انظر مجموع كلامه (ص:٢٩٤).

(٤) مطالع الشموس تأليف عيدروس بن عمر (ص:١٧).

(٥) مجموع كلام ابن شهاب (ص:٤١) عن علوي بن أحمد الحداد في المواهب والمنن.

بمكان يعرف بالبدور عنده سبعة قبور وإن مدة إقامتي ورحيلي ودخولي كان بإذ م ولهم تصرف في داخل تريم وخارجها وقد سألتهم من هم فقالوا: نحن شهداء في وقعة كذاوكذا وذكروا واقعة الآن نسيتها! وليس لها ذكر بين الناس! وهي بعد المائتين من الهجرة![1].

ومن الأولياء الذي جهلت هويتهم وبقيت شهر م مولى القويرة بمشطة - شرق تريم - وقد بنيت على قبره قبة ويعد من المزارات التي يؤمها الناس، وقد ورد ذكره في كتاب تريم بين الحاضر والماضي ضمن الضرائح التي لا يعرف أصحا ا إلا ذه الألقاب قال: (ولكنهم معروفون مشهورون بالصلاح وقد بنيت على قبورهم القباب ويقصدهم الناس للتبرك بزيار م وطلب الدعاء عندهم[2].

(١) مجموع كلام ابن شهاب (ص:٢٣٧).

(٢) تريم بين الحاضر والقديم تأليف أحمد بن عبد الله بن شهاب (ص:٣٨).

الفصل الثالث
التصوف العلمي

أولاً الكشف في الفكر الصوفي الحضرمي:

انتهى التصوف العملي بكل ما يحمله من مفردات وما هو إلا طريق للوصول إلى مكاشفة الأسرار، ومشاهدة الأنوار والدخول في عالم الفناء والبقاء وصولا إلى القطبية والإنسان الكامل فلنبدأ في الجانب العلمي أو الفلسفي بدور الكشف الذي يعانقه الواصل بعد مجاوزة العقبات وما يترتب عليه من آثار لأنه يعد من مصادر التلقي التي يركن عليها في التدليل ولقد تم عن طريق الكشف ما يلي:

أ- دور الكشف في إظهار القبور:

لقد تم عن طريق الكشف الصوفي بحضرموت إثبات عدد من القبور التي تحظى بقداسة وترتب على هذا الإثبات بناء القباب على الأضرحة وإقامة الزيارات وما كان تعيين تلك القبور الوهمية إلا بالرجوع إلى الكشف ومبناه على التسليم، وأكثر ما يعولون في هذه النقطة على الشيخ عبدالرحمن بن علي السقاف المتوفى (٨١٩هـ) في ظهور كثير من الأضرحة بحضرموت وهو يعد من أقطاب الطريقة وقد وصف بأنه عين المكاشفين فمنها:

١ - تعيين قبر نبي الله هود:

لقد أعيا صوفية حضرموت البحث عن سند شرعي في تعيين قبر نبي الله هود الذي وجدت نصوص عامة تدل على أنه في الأحقاف بحضرموت لا تخلوا أسانيد أحاديثها من مقال فعاجوا بعد ذلك على الكشف وبواسطته تم تحديد الموقع، ويقال أن الزيارة كانت تقوم إلى الشعب دون تحديد مكان القبر حتى أظهر عينه الشيخ عبدالرحمن السقاف وقال هذا محل النبي هود وهو معنى قول القائل:

ونجله عابد الرحمن من كشف الغطاء عنه بإظهار الخفيات[(١)]

وذكر بعضهم أبياتا توضح استخدام الكشف في ذلك منها.

للسلف في شعب هود أعلام عن حقيق الكشف به إقدام

راسخة دع عاذلا قد لام فاتبعهم واترك القال

وقد ترتب على إظهار القبر زيارته المشهورة في شهر شعبان كما هو موضح في محله.

---

(١) مجموع كلام ابن شهاب.

٢ - إظهار قبور بعض الصحابة:

لم يكتف صوفية حضرموت بوجود العدد الكبير من الأولياء الذين نسبوهم إلى هذه البلاد حتى ادعوا أن بأرضهم قبورا لعدد من الصحابة على سبيلين أحدهما الإجمال ولآخر التفصيل على النحو التالي.

الأول على سبيل الإجمال حيث حوت مقبرة زنبل بتريم سبعين صحابيا بدريا وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف إذا زار قبور تريم يشير إلى مكان قبورهم في محل مخصوص هناك ويقول هي شرقي قبور آل أبي علوي بينهما قدر رمية من الحجر كما ورد ذلك في الجوهر الشفاف والنور السافر(١).

ثانيا تعيين قبر الصحابي عباد بن بشر فقد تم إثباته بكشف من قبل عدد من الأقطاب وصفوا بأ م من ذوي البصيرة المحققين أهل الكشف والتمكين في قرية اللسك شرقي تريم ولم يلتفتوا إلى إجماع كتب السير والتاريخ على أنه استشهد باليمامة لأن للصوفية م ع آخر غير تلك الكتب ومراجع من الأقطاب الذين كوشفوا بقبره منهم:

- **علوي بن محمد خرد كان يكثر زيارته ويراه يقظة** في **مكاشفته!!:**

- شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن كوشف به مرارا وبدت له من لوائح وقد استحضر روحه! كما جاء في برد النعيم بأنه أخذته غيبة عظيمة وحالة كريمة ثم بعد ذلك أفاق فقال عجيب الآن استحضرت روحه أعني عباد المذكور فحضرت لي كشفا فسألته عن أمره فذكر لي قصته المذكورة.

- أبو بكر بن سالم بن عبدالله العيناتي(٢).

٣ - قبر الإمام المهاجر أحمد بن عيسى:

الذي يرجع إليه نسب العلويين بحضرموت القادم من بغداد سنة (٣١٨هـ) وتنقل بين بعض بلاد حضرموت إلى أن ألقى رحله بمنطقة الحسيسة بالقرب من سيؤن وتوفي ا سنة (٣٤٥هـ) ولا يوجد أي دليل على تحديد قبره في هذا الموضع إلا الكشف الصوفي.

قال في الغرر (وهو الآن عليه بناء وإلى جانب القبر بئر ومسجد وكان الشيخ عبدالرحمن المشهور بالسقاف صاحب المشاهدات الغزيرة والمعارف الكثيرة والمناقب الشهيرة والمكاشفات الكبيرة والشيخ القطب عبدالله العيدروس كثيري الزيارة له في ذلك الشعب... قال: وروائح الأنس في أرجائه فائحة تشعر أن فيها روحا صالحة).

قال ابن عبيدالله السقاف معلقا (وهو ظاهر في أن الزيارة من غير تعيين موضع، ولكنه - الآن - معين إما

---

(١) الجوهر الشفاف (٩٠/٣) - النور السافر (ص:١٢٢).

(٢) انظر مخطوطة البرد النعيم وهو يتناقض مع دواوين التاريخ والسير التي تفيد أنه قد استشهد باليمامة انظر الإصابة في تمييز الصحابة والإستيعاب وأسد الغابة ولكن لدى الصوفية مصدر آخر هو الكشف شاهد مقبول العدالة لديهم ولو خالفوا كتب السير.

بالقرائن، وإما بالكشف على ارتفاع يزيد عن مائة ذراع في الجبل)[١].

وأما أحمد بن عبد الرحمن السقاف فقد اجتمع بروحانيته حين قيل له أن قبره ليس حقيقة قال وسألته هل هو هذا حقيقة فقال نعم!![٢].

وقد استحضر روحه - كما في مطلب الراغبين - شهاب الدين لما وقع في نفسه أن صورة القبر مائلة عن القبلة فظهر له وقال إن هذا مكان غار والميل ما هو إلا من الغار وأما القبر فهو عين القبلة[٣].

الكشف الصوفي يثبت الأنساب:

وللكشف الصوفي دور آخر يظهر في إثبات بعض الأنساب التي خفيت حقيقتها ومن ذلك ما أشار إليه عبدالله بن علوي الحداد أن بعض سادتنا آل باعلوي ينسبون آل العمودي إلى أبي بكر الصديق عند ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بو ست الذي في كل يد ست أصابع قال لأنه شبيه عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر وقد صرح علوي بن طاهر الحداد في الشامل أن مراده بالبعض عبدالرحمن بن علي السكران له كتاب فيه الوقائع التي وقعت له في اليقظة والمنام وما بينهما من اطلاعات روحية ذكر منها أنه اجتمع بروح الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي وسأله عن نسبه فذكر سلسلة نسبه إلى أبي بكر الصديق[٤].

وكذلك يذكر صاحب برد النعيم أن نسبة الخطباء من آل تريم إلى عباد بن بشر تم عن طريق الكشف مثلما أثبت قبره[٥].

ومن ذلك ما ذكره محمد بن هاشم أن قيام الدولة الكثيرية كان باعتكاف السادة العلويين عند ضريح هود عليه السلام متضرعين إلى الله أن يقيض السلطان بدر أبا طويرق لحفظ القطر وكان ذلك بعد أوائل ظهوره حين تصدوا للبحث والتنقيب عن سلسلة نسبه وقد أسفرت نتائج بحثهم أنه ينتمي إلى يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام[٦].

وكذا ما أورده عبدالله بن محمد باكثير في رحلة الأشواق القوية عند لقائه بمحمد بن علي الحبشي قال: ومن كرامات هذا القطب نفع الله به أنه نظر إلي وسألني عن نسبي وقال لي ممن أنتم من العرب قلت: الناس يقولون أنني من آل كثير فنظر إلي وقال نعم وهو كذلك وترجعون إلى الشيخ عبد الرحيم بن محمد قاضي تريم في زمن السيد عبدالله بن علوي الحداد، وأنتم إذا دخلتم بلد تريس فاسألوا الشيخ سالم بن حميد عن نسبكم

---

(١) الغرر (ص:٧٢) - إدام ا لقوت عند ذكر الحسيسة.

(٢) المشرع الروي (٦٤/٢).

(٣) مطلب الراغبين في فضائل شهاب الدين (ص:٣٤).

(٤) الشامل في تاريخ حضرموت تأليف علوي بن طاهر الحداد (ص:١٦٦) قال باسودان في فيض الأسرار في ترجمة المذكور (العمودي الـ ـصديقي كما أوضح هذا النسب عبدالرحمن السكران (٢٨٧/٢).

(٥) راجع كتب السير السابق ذكرها في هامش (١٤٠).

(٦) تاريخ الدولة الكثيرية تأليف محمد بن هاشم (ص:٥٩).

فإنه مؤرخ حضرموت الآن وله معرفة بأنساب العرب، هذا كلامه فإخباره وجزمه بانتسابي وانتمائي إلى ذلك الشيخ وهو كما سيأتي من الكرامات الظاهرة إذ معرفة ذلك لا تكون إلا من جهة الكشف لأنه أمر لا علم لي به ولا لأحد من أهلي ولا سمعته قبل ذلك(١).

تصحيح الحديث عن طريق الكشف:

جاء في النفحة المدنية في الأذكار القلبية في كلامه عن أثر (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل): هذا الحديث وإن وقع فيه كلام علماء الظاهر قد تداولته علماء الباطن ولنا أسوة م، ولعله صح عندهم من طريق الكشف كحديث كنت ك ا مخفيا.. الحديث وقد صححه كشفا الشيخ الأكبر قدس الله سره في الفتوحات المكية(٢).

قلت: الحديث لا أصل له كما سبق وهذا باب لو فتح لكثرت الدعاوى والله المستعان.

وللكشف عندهم دور أيضا في إثبات سند الخرقة الصوفية حيث أنه كان للفقيه المقدم طريقان في لبس الخرقة الأولى الظاهرة الكسبية ولها طريقتان إحداهما مسلسلة بالآباء والأخرى الرجوع إلى سند أبي مدين المغربي والثانية طرق الكشف والباطن من رؤية النبي والملائكة والأولياء والاجتماع بالخضر ورجال الغيب وأهل البرزخ(٣).

أسرار الحروف:

في جوابات زين العابدين بن عبد الله بن شيخ العيدروس على رسائل عمر بن أحمد باشراحيل حين سئل عن الباء والنقطة أي من بسم الله قال:

(وأما ذكر الباء والنقطة فهو من كلام بعض المشايخ يشير إلى الواحد وعدم الكثرة لأن الباء للإلصاق يشعر باتصال العبد بربه والكثرة تشعر بأن الاتصال يوجب التواضع لأنه إنما يتصل بالمنكسرة قلو م والنقطة تحتها إشارة بأن يجعل كل ما سوى الله تعالى تحت قدمه وهذا يظهر لأهل الكشف ذوقا فأسرار الحروف يا سيدي لا تدرك بشيء من القياس كما يدرك بعض المعلوم وإنما يدرك بسر الإلقاء أو بشيء من أسرار الوحي أو بنوع من المخاطبات.) وسياتي التأثر بقول بعضهم أنا النقطة من بسم الله إن شاء الله.

ثانياً: علم الباطن:

وبعد ما استعرضنا الكشف ودوره ننتقل إلى علم الباطن أو علم الحقيقة الذي هو ثمرة ا اهدات أيضا، وهو القسم الأجل من أنواع التوحيد فالظاهر من قسمي يعلم بالدليل - كما في إتحاف السائل - والباطن

---

(١) (ص:١٠) وفي (ص:٢٥) وقال بعد سؤاله المؤرخ المذكور وموافقته لما أخبره به محمد بن علي الحبشي مكاشفة: والحمد لله على صحة انتسابي إلى علماء ذلك الوادي وصلحائه من جهة الكشف كما أخبر به القطب المشار إليه ومن جهة الظاهر كما أخبر به العالم العامل المؤرخ الكامل سالم بن حميد (ص:٢٥).

(٢) النفحة المدنية تأليف عبدالرحمن مصطفى العيدروس (ص:٦) وقد سبق أن الحديث موضوع لا تحل روايته عن النبي صلى اله عليه وسلم.

(٣) شرح العينية (ص:١٥٦).

وهو ما لا يدرك بدون الكشف والعيان وهو ميراث التقوى وهو سر بين العبد وربه[١].

ومبنى الأحوال على التسليم ومدار الذوق يرجع إليه لأنه لا سبيل إلى الاستدلال عليه، أما العلم فإن مبناه على نص من كتاب أو سنة أو إجماع، فالتسليم هو مناط علم الباطن كما أن الاستدلال هو مناط علم الظاهر، وعلى ذلك فيكون لدى الشيخ حقائق مثبتة، ومعاني نفيسة، من وراثة ا اهدة لا من بطون الكتب والمدارسة، لا بد أن يقابلها المريد بالقبول الحسن.

الحجة على علم الباطن:

وقد ورد استدلالهم بحديث أبي هريرة في هذا التقسيم عن العلم الباطن ففي عقد اليواقيت ما نصه (وقد ورد عن أبي هريرة قال ما معناه أملى لي رسول الله جرابين أما أحدهما فبثثته فيكم، وأما الأخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم وما كان من ذلك علم السر الذي أودعه صلى الله عليه وسلم لحذيفة. وما كان من علوم باب مدينة العلم وولديه الحسن والحسين وحفيده زين العابدين رضي الله عنهم كما أشار إلى ذلك في أبياته التي يقول فيها.

إني لأكتم من علمي جوهره كيلا لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا[٢]

وقال باسودان في مطالع الأنوار عند حديثه عن الولي الغارق في المحبة، الغائب بالمكون عن الأكوان وسبب استتار حاله (وذلك لأن علومه وحقائقه غيبية يجب سترها كما قال أبو هريرة حفظت من رسول الله حديثين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته فيكم لقطع مني هذا البلعوم)[٣].

ونسب إلى الإمام علي وآل البيت من الأقاويل ما يتفق مع قولهم في هذه المسألة وقد تسربت تلك الأقوال إلى المتصوفة من كيس الباطنية والرافضة ومن ذلك ما جاء في النفحة المدنية منسوبا إلى زين العابدين علي بن الحسين شعر:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

فرب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

---

(١) إتحاف السائل.

(٢) (ص:١٢٦) ويشبه هذا قول علي بن محمد الحبشي في بعض وصاياه (فقد بلغني من علوم سيدي القطب المحمدي علي بن أبي طالب أنه قال لو تكلمت على الباء من بسم الله الرحمن الرحيم أوقرت ألف بعير أو كما قال، ومن علوم سيدي القطب علي زين العابدين أنه فيما يروى مـن شعره إني لأكتم من) انظر الوصية بذيل النفحة (ص:٢).

(٣) مطالع الأنوار (ص:٢٧٦).

وقد تقدم في **هذا أبو حسن** إلى **الحسين ووصى قبله الحسنا**[1]

نماذج من العلم الباطن:

وللعلم الباطن صور متعددة عندهم لأن النصوص كما أ ا تحمل على ظواهرها فإن فيها إشارات خفية، ودقائق تنكشف لأرباب ا اهدات، ولذلك قال أبو مدين أن القرآن نزلَ وتنزلَ، فا ول قد مضى، والت ّلُ باق إلى يوم القيامة، قيل أي ت ل على قلوب أوليائه بما يلهمهم إياه في أوقات صفاء قلو م! ويفهمهم معناه إذا خلوا بمحبو م! وقد نظم قول أبي مدين السابق علي بن محمد الحبشي، فقال في حديثه عن القرآن.

ت له على العلماء باق لديهم وهو منقطع ال ول.

بوصف الإرث للمختار نالوا غريب الفهم من أعلى منيل[2].

وعلى هذا نستطيع أن نفهم ما ورد من أفهام في تفسير النصوص لا يملكها من يسمو م أهل الظاهر كقول عمر المحضار: لو أردت أن أحمل من تفسير ما ننسخ من آية ألف جمل وما ينفد تفسيرها لفعلت.[3].

وقد ظللت مستشكلا تعيين الشيخ عمر المحضار هذه الآية وقتا طويلا حتى رأيت نقلا يصب في مجرى التأويل الباطني وهو ما ذكره عطاء الله قال سمعت شيخنا - المرسي - رضي الله عنه يقول في قوله عز وجل (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) أي ما نذهب من ولي لله إلا ونأتي بخير منه أو مثله[4] فعلمت أنه المعنى المراد[5].

- ومن ذلك أنه لما قرئ على الإمام الحداد قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا فتكلم عليه بأنواع العلوم ثم قال إن عندنا علوما لو أبديناها لأنكرتنا ثيابنا فضلا عن الناس[6].

ومنها أيضا ما جاء عن أحمد -لعله ابن زين الحبشي- قال سألت سيدي وشيخي عبدالله بن علوي الحداد عن مسألة الكسب الواقعة في علم الأصول فقال لي يا أحمد إن الله أطلعني على مساقي الحق فرأيت أصول أهل

---

(١) وقد نسب الغزالي هذه الأبيات في منهاج العابدين إلى زين العابدين ونسبها ابن عربي في الفتوحات إلى الرضى من حفدة علي بن أبي طالـب وكان الخطيب أول من ذكرها في تاريخ بغداد ونسبها إلى العتابي (ت:٢٢٠هـ) وهو متهم بالزندقة قال د/الشيبي وهـذه النـسبة أقـرب للصواب. انظر التصوف والتفلسف (ص:٨١).

(٢) الكوكب الزاهر على نسيم حاجر تأليف أحمد بن أبي بكر بن سميط (ص:٤٦).

(٣) الجوهر الشفاف (١٨٩/٢) ونقل باسودان في فيض الأسرار عن العيدروس أنه قال (لو شئت أن أصنف على حرف الألف مائة مجلد لفعلت) قال باسودان: وصدقه الزعفراني بذلك وغيره ممن له اطلاعه وكشف على علوم الأسرار (٢٠٢/٢).

(٤) لطائف المنن (ص:١٥٧) وقد استدل ذه الآية أبوبكر بن سالم في معارج الأرواح وعرف الولاية (بأ ا البحر المحيط الممتد منه عليه السلام إلى وقتنا وذكر الآية) وفي تاج الأعراس (٩٧/١) حين توفي عبد الله بن صالح الحامد سنة (١٢١١هـ) وكان قد قال لعبد الله العطاس سيولد لك ولد اسمه كاسمي وجسمه كجسمي وحاله كحالي فجاء البشير بوجود صالح بن عبد الله بعد أقل من ثمانية أيام خليفة ذاك الإمام بشهادة الملك العلام (ما ننسخ من آية).

(٥) تاج الأعراس (٩٧/١).

(٦) غاية القصد والمراد (١١٠/١).

الأصول وهذه المسألة متصلة بالذوق لا تنكشف حقيقة الحق فيها إلا في الدار الآخرة(١).

تأويل الآيات والأحاديث وفق التفسير الصوفي:

- ورد في الكبريت الأحمر أن قوله تعالى (إياك نعبد) إشارة إلى الفرق و(إياك نستعين) إشارة إلى الجمع(٢).

وقال علي بن محمد الحبشي في تفسير قوله تعالى (إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) هل عرفتم من السفرة هم العارفون بالله والصحف قلو م وما يفيضه الحق من الأنوار والأسرار والمفاتحات(٣).

- وقال أبو بكر بن عبد الله العطاس في تفسير حديث (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك) فإن لم تر نفسك شيئا فحينئذ تراه معناه تفني نفسك عن الوجود.

وورد في السلسلة القدوسية أن مذهب العارفين رضي الله عنهم من هذا الحديث في قوله إن تكن أنه كلام تام وشرط تام وقوله تراه جزاء هذا الشرط فمعناه إن لم تكن في البين ولم يبن لك أثر ولا عين فإنك تراه(٤).

قلت: وهو تأثر بغلاة الصوفية حيث رد عليهم ابن حجر في شرحه للحديث في فتح الباري: وأقد بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم فقال فيه إشارة إلى مقام المحو والفناء وتقديره فإن لم تكن - أي فإن لم تصر - شيئا وفنيت عن نفسك حتى كأنك ليس بموجود فإنك حينئذ تراه...(٥).

- وفي السلسلة أيضا تأويل اندكاك الجبل بفناء النفس كما ورد في سياق الحديث عن قول الفقيه المقدم ما لي نفس قال المؤلف: وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى باندكاك الجبل وهو عبارة عن فناء نفسه بالله تعالى وكذا صعقه عبارة عن السحق والمحق فعدم موسى وصار العبد كأن لم يكن وصار الحق كما لم يزل فما رأى موسى ربه وإنما الله رأى الله(٦).

- ومن ذلك ما ساقه مؤلف التعرف على التصوف بقوله لما كانت علوم التوحيد أصل جميع السعادات والفوز بجميع المراتب العليات قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وقل ربي زدني علما) فقال صلى الله عليه وسلم

(١) غاية القصد وفي إتحاف السائل (٥١) في حديث (إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة) وعندي تأويل لا أسمح بـذكره إلا مشافهة لأهله.

(٢) (ص:٧٣) ضمن ا موعة العيدروسية.

(٣) كنوز السعادة (ص:٨١).

(٤) حلاوة القرطاس (٢٠٢) لسلسة القدوسية (ص:٤٤١) (٢).

(٥) فتح الباري (١/١٢٠) وتمام قوله (وغفل قائل هذا للجهل بالعربية عن أنه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الألف لأنـه يـصير مجزوما لكونه على زعمه جواب شرط ولم يرد في شيء من طرق هذا الحديث بحذف الألف).

(٦) (٢/٤٣٢).

زدني تحيرا، يا عجبا من هذه الدعوة النبوية!.

وقد اقتدى بالنبي صلى اله عليه وسلم سلطان العاشقين عمر بن الفارض رحمه الله قال في قصيدة له.

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا.

وقد شرح هذه الدعوة (وقل رب دني علما) صاحب السلسلة القدوسية بقوله أي انزل إلي نزولاً يحيله العقل من جميع الوجوه ليعرف عجزه عن إدراك ما ينبغي لك ولجلالك من النعوت وذلك منه طلبا لتوالي التجليات عليه صلى الله عليه والسلام.

قلت: ويرتفع اللبس من إيراد هذا الحديث إذا عرفت أن ابن عربي أورده في الفصوص وتحديدا في الفص النوحي في تفسيره ولا تزد الظالمين إلا ضلالا وفسر الظالمين على طريقته الباطنية بالظالمين لأنفسهم المصطفين الذين أورثوا الكتاب وفسر إلا ضلالا إلا حيرة المحمدي زدني فيك تحيرا فعلمت أن هذا هو الذي أوردهم الموارد وأ م لا يستحيون من هذا الاقتباس الخطير قد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية بطلانه من الناحية الحديثية بأنه باطل لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث ولا هو في شيء من كتب الحديث ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث بل ولا من يعرف الله ورسوله وبين البقاعي خطورة الاستدلال به في نبيه الغبي(١).

وقد أفرد زين بن إبراهيم بن سميط التفسير بالباطن فيما يخص صوفية حضرموت في كتاب بعنوان الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية نقتبس منه الأمثلة التالية:

- قال عيدروس بن عمر الحبشي في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) إن كل شيء له وجهان: وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق فالوجه الخلقي هالك حتى في عين وجوده والوجه الحقي باق لا يصول عليه الهلاك.

- قال أحمد بن حسن العطاس في قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اختلف أهل الظاهر وأهل الباطن في معنى هذه الآية فأما أهل الظاهر المتقيدون بظواهر الألفاظ فقالوا المراد باليقين الموت وأهل الباطن يقولون اليقين هنا الفتح والمعرفة وإذا جاءه اليقين عبد الله على حق ويقين وبصيرة ونور ومعرفة. وقال في قوله (فاخلع نعليك) أي الكونين (إنك بالواد المقدس طوى) الذي انطوى له ومنه جميع الأشياء. وقال في قوله تعالى (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا) إذا أمات الإنسان نفسه أحياه الله ومن لم يمت فليس له حياة.

وقال في قوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) هي الأرواح خاطبها الله تعالى (أن اتخذي من الجبال) عبارة عن العارفين بالله (بيوتا) أي معاهد.

- سئل عبدالله بن محسن العطاس عما قيل في قوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان) إ ما علي وفاطمة رضي الله عنها فقال: نعم هو كذلك والمراد بـ (اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين فهما نور النبوة والفتوة فاللؤلؤ نور

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤٥/٤) - مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي (ص:٥٩).

النبوة وهو من فاطمة، والمرجان نور الفتوة وهو من علي.

- قال علي بن محمد الحبشي في قوله تعالى (في بيوت) يعني القلوب المطهرة قلوب العارفين بالله (أذن أن ترفع) إلى المقام العلوي مقام الشهود الجامع لأوصاف الكمالات كلها (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) يعني أهل الحقيقة الذين وصفوا مولاهم بالت يه والتسبيح (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) وقال (والسماء ذات البروج) قلب العارف والبروج فيه كثيرة (واليوم الموعود) يوم الفتح (وشاهد) العارف (ومشهود) الحق (قتل أصحاب الأخدود) الأعداء.

- أما قول بلقيس من الآية (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) فقد تم تفسيره على النحو التالي:

قال أحمد بن سن العطاس: الملوك: الدراهم والدنانير والقرى الأيدي والقلوب وأعزة الخواطر الرحمانية.

وقال عبدالله بن محسن العطاس الملوك هي الأسرار والأنوار والمراد بالقرية هي القلب والمعنى أن الأسرار والأنوار إذا دخلت القلب أفسدت ما فيه من الصفات النفسية الدنية الموجبة للتكبر والتجبر.

وقال علوي بن محمد الحداد الملوك هم الخواطر الرحمانية قرية أي قلبا أفسدوها غيروا ما ا من الشهوات النفسانية وغيرها[1].

قيد التأويل الصوفي:

وضع بعضهم قيدا في التأويل الصوفي أو الإشاري يميزهم عن الباطنية وهو عدم الجزم بأن المراد ذا التفسير لا غير فلا يكون من قبيل تأويل الباطنية بل هو من باب وجوه الاحتمالات لا بالعقل من غير قطع بشيء منها وقد أشار إليه الحداد في قوله:

طور التجلي قلب كل عارف ومهبط الأسرار واللطائف

والنفس موسى تشهد المعارف مهما تجلى واثبت الظواهر

أي أن الطور معناه قلوب العارفين والمراد بموسى النفس فالمعارف تتجلى في قلوب العارفين ولن ليس هو المراد لا غير بل اثبت أيضا الظواهر من المراد بموسى نبي الله وأن المراد بالطور هو الجبل المشهور فيكون ذلك مجرد تشبيه وضرب أمثال، لا ت يل الآية على معنى آخر[2].

قلت: وقد تطرق الاستدلال بعلم الباطن إلى التصوف من دائرة الباطنية حتى وافقوهم في الاستدلال بحديث أبي هريرة السابق ولكن بقيدهم المذكور، قال الحافظ ابن حجر في شرحه فتح الباري نقلا عن ابن المنير: جعل الباطنية هذا الدليل ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرا وباطنا وذلك

---

(١) انظر الفيوضات الربانية (ص:٢٥-٤٢-٤٣-٤٥-٤٧-٥٨-٦٥-١٠٢-١٠٥-١٢٨).

(٢) العرف العاطر (٥٢) الكوكب الزاهر (٤٥).

الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين وإنما أراد أبو هريرة بقوله (قطع) قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتوبة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتما ا)[1].

وتجرأ غلاة الصوفية على تحريف النصوص عن ظاهرها ونقل من بعدهم هذا التحريف يظنون أن القيد السابق ينفعهم، وتعقب شيخ الإسلام هؤلاء في رسالة له بعنوان (العلم الباطن والظاهر) وأشار إلى تفسير غلاة الصوفية وباطنيتهم في بعض الآيات مثل قوله تعالى (اذهب إلى فرعون) أنه القلب، وقوله (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) أ ا النفس، وأن خلع النعلين المراد منه ترك الدنيا...[2].

الخضر في الفكر الصوفي الحضرمي:

يكثر الاستدلال بقصة الخضر مع موسى كدليل على العلم الباطن الذي ينفرد به الأولياء، كما يستدل ا أيضا على عدم اعتراض المريد على شيخه فيما بدر من الشيخ من أمور تخالف الظاهر كما يزعمون، وقد كثر لقيا الخضر وولايته وحياته عند المتصوفة عموما ليصلوا وراء ذلك إلى امتلاك الأولياء علوما ليست في الشريعة وينأوا بأنفسهم عن الإنكار حيث يشبهون حالهم بحال الخضر مع موسى اشتهر عند الصوفية الاستدلال بقصة الخضر مع موسى كدليل على مخالفة الظاهر عندهم حتى قال القائل:

وفي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أبان الصبح عن ليل سره وقام حسام للمحاجج قاطع

أقام له العذر الكليم وأنه كذلك علم القوم منه بدائع

قال بعض الصوفية: الأولى أن تعرف الحقيقة بعلم بواطن الأمور كعلم الخضر بأن ما فعله موسى من خرق السفينة وغيرها فيه مصلحة[3].

وقد سئل عبدالله بن علوي الحداد عن قول الأخضر لتلميذه عمر بامخرمه: وأجزتك في علوم لم يطلع عليها نبي مرسل، ولا ملك مقرب!! فأجاب: اعلم أنه هذا كلام صحيح من حيث المعنى ولا إشكال فيه، وأما صورته وظاهره فمستبشع ومستنكر! وكثير من الأمور قد يكون كذلك فيحتاج أولا في أمثال هذا إلى صحة إسناده عن القائل، ثم إن صح فينبغي النظر في حل إشكاله عند الحاجة الداعية إلى ذلك، وأنت تعلم ما قص الله عز وجل من قصة موسى والخضر في كتابه، وموسى بلا شك أفضل من الخضر على قول من يقول بولايته

---

(١) (٢١٧/١) قال أحمد أمين في ظهر الإسلام (وفي القرآن آيات أعمل فيها المتصوفة مفهومهم على مذهبهم مثل (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله تعالى (كل من عليها فان) وقوله (أينما تولوا فثم وجه الله) فكان الإمعان في ذلك والغلو فيه سببا في أقوال المتصوفة في هذا الباب أي - القول بوحدة الوجود (١٩١/٤).

(٢) (ص:٥).

(٣) الكوكب الزاهر على نسيم حاجر (ص:٥٥).

وهم الأكثرون، وعلى قول من يقول بنبوته أيضا، وقد انفرد الخضر بالإطلاع على علوم لم يطلع عليها موسى عليه السلام ولم يقتض أفضليته ولا أرجحيته على موسى، يكفيك هذا شاهدا، والمراتب والمقامات غير العلوم والمعارف![١].

ويرى أحمد بن زين الحبشي في شرح العينية في تفسير قول الفقيه المقدم الآتي في الشطحات: أنا الله. أنه إن صح عنه ولم يبدل الكلام أو يحرف، فالجواب: كونه فانيا بربه منقطعا، عن نفسه قد جاوز المقامات والأحوال، وإليه يشير قوله تعالى (وما فعلته عن أمري)!![٢] ولازم كلامه أن ظاهر لفظ الفقيه المقدم مستنكر وباطنها حق.

وممن استدل على قصة الخضر ابن شهاب وذلك في قوله واصفا الخمرة.

روق الخمرة صرفا وأدر واسقنيها في الظلام المعتكر

روح الأرواح بالراح فما ذاق طيب العيش إلا من سكر

رقية الحزن يرى شار ا نفسه مثل مليك مقتدر

ربما أنكرها ذو شرعة ما درى قصة موسى والخضر

قال في التعرف على التصوف إ ا خمرة العبادة والقرب[٣]

وأبعد النجعة في هذا المقام عبد الرحمن بن مصطفى في العرف العاطر في حديثه عن الحلاج الذي أفتى الفقهاء بقتله و(أن قاتليه لهم نوع شبهة وعذر بل هم مصيبون في ذلك لوقوفهم مع ظاهر الشريعة، فلهم أسوة بالسيد موسى عليه السلام في إنكاره على الخضر عليه السلام، لكنه وقوف على الظاهر فيه قصور!!)[٤] انتهى كلامه ولازمه شنيع في نسبة موسى والفقهاء إلى القصور في اعتراضهم على خلاف الظاهر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قياس ما فعله الخضر بوحي في قوله (وما فعلته عن أمري) على ما زعمه الحلاج من قوله أنا الحق وهذه جرأة نعوذ بالله من شؤمها.

ومما جاء في الحديقة الثامنة عشر من معارج الهداية للسكران مستدلا بالقصة التي تكشف أسرار القوم بقوله:

وكـ جوهرها يدريه مصقلها من بعد خرق وقتل مقوم الجدر.

خرق السفينة مع قتل الغلام وما قام الجدار به موسى مع الخضر.

(١) النفائس العلوية (ص:١٥٧).

(٢) شرح العينية (ص:١٦٣).

(٣) التعرف على التصوف تأليف عبدالله بن شهاب (ص:٤٢).

(٤) العرف العاطر (ص:١٠١).

تحكي سرائرها أسرار ما نقلت بالحال بعد مقال المصطفى الشهر.

ولقد نشأ على القول بولايته قياس حال الأولياء عليه كما نشأ على القول بحياته لقاء الأولياء به نذكر على سبيل المثال أن الفقيه المقدم بينما كان جالسا مع أصحابه إذ جاء الخضر عليه السلام متمثلا في صورة بدوي وعلى رأسه زبد فقام الفقيه المقدم وأخذ الزبد من رأسه وأكله فتعجبوا وسألوه من هو؟ فقال الخضر عليه السلام.

قال أحمد بن زين في شرح العينية وهذا يدل على علو درجة سيدنا الفقيه محمد بن علي حيث اطلع على حال الخضر عليه السلام مع كون الخضر له الإطلاع التام على أحوال أكابر الأولياء بل طلب التعليم منه أكابر الأنبياء وجعله بعضهم للأولياء بمـ لة جبريل عليه السلام للأنبياء[(١)].

ودعوى الاجتماع بالخضر وأنه يظهر في الجبال والكهوف كانت منتشرة قال في المشرع الروي: أن أحمد بن حسن اجتمع به في الغار على هيئة بدوي..[(٢)]. وقد اشتد إنكار الحافظ ابن حجر على حجة من زعم أن الأولياء يمتلكون علوما قد تخالف علوم الأنبياء فقال في حديث (هو أعلم منك) ظاهر في أن الخضر نبي مرسل ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله تعالى (وما فعلته عن أمري) وينبغي اعتقاد كونه نبيا لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي كلا وحاشا وقال أيضا ومن استدل بقصة الخضر على أن الولي يجوز أن يطلع من خفايا الأمور على ما يخالف الشريعة ويجوز له فعله فقد ضل[(٣)].

ومن قبله قال شيخ الإسلام: ولا حجة فيها - قصة الخضر - لوجهين:

أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولا كان يجب على الخضر إتباع موسى فإن موسى كان مبعوثا إلى بني إسرائيل ولهذا قال الخضر لموسى وأنا على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت.

الثاني: أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشريعة بل الأمور التي فعلها تباح في الشريعة إذا علم العبد أسبا ا كما علمها الخضر ولذلك لما بين أسبا ا لموسى وافقه على ذلك.[(٤)].

ثالثاً: الفناء حقيقة التوحيد:

إن الغاية التي ينشدها صوفية حضرموت كغيرهم من الصوفية من ولوج درب التصوف هو الوصول إلى حقيقة التوحيد المتمثلة عندهم في مقام الفناء كما سبق ما نقلناه عن العيدروس أنه قال في الكبريت الأحمر:

---

(١) شرح العينية ص فائدة: ومن التعصب للمذهب الشافعي ما نقله عبد القادر العيدروس عن فصل الخطاب لخوجه باداساه (إن الخضر والقطـب وأصحا ما يصلون وفق المذهب الشافعي) السلسلة القدوسية (٦٣٩).

(٢) (٤٥/١).

(٣) فتح الباري (٢٢٠/١-٢٢٢) وله رسالة خاصة بعنوان الزهر النضر في نبأ الخضر.

(٤) مجموع الرسائل والمسائل (٦٧/٤).

(وحقيقة التوحيد ما قال الأكابر من الصوفية وهو محو البشرية وتجرد الإلهية.)[١] فإذا ظفر الصوفي ا ألقى عصاه واستقر به النوى ويقصدون بالفناء أن يفنى عن الكون ويغيب عن الموجودات حتى يقرب من محبوبه وعلى قدر هذا الفناء يكون مقدار القرب فيصل إلى نعيم المشاهدة بمطالعة الأنوار ومكاشفة الأسرار ويسمى هذا المقام مقام الجمع والسكر والاصطلام والغيبة والمحو وما يزال الصوفي يرقى في معراجه حتى يغيب عن نفسه ويذهب عن حسه ويفنى عن فنائه ويدخل مقام جمع الجمع.

والذي يتحصل لنا من فلسفة الصوفية في هذه الحقيقة ثلاث مراحل على النحو التالي:

الأولى: مرحلة الفرق الأول وهي الاحتجاب عن الحق بالخلق ما دام يرى الإنسان الكون.

الثانية: مرحلة الفناء أو الجمع حين يفنى عن الخلق ويبقى بالحق.

الثالثة: مرحلة البقاء أو الصحو بعد المحو أو الفرق الثاني فلا يحجب صاحبها الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق، وأما مقام جمع الجمع فإنه الاستغراق في الذات بالكلية.

لقد اتفق الصوفية على ورود حقيقة التوحيد ألا وهي الفناء ولكنهم اختلفوا في الصدور عنها إلى ثلاث شعب الأولى أهل الفناء في الشهود وهم من لم يشهد من الأغيار عينا ولا رسما عند مفارقة السوى والثانية أرباب الوحدة التي نادى ا ابن عربي ومن سار بسيره كابن الفارض والثالثة أصحاب الحلول والاتحاد التي حمل لواءها الحلاج، وربما تداخلت هذه الشعب ونزل القائل بالإتحاد الشهودي والعيان من عقبته إلى الإتحاد الوجودي في الأعيان.

وإذا ما غاص صوفية حضرموت في بحر الفناء وانتهى سيرهم إليه فإن أول مؤلف قد تطرق إلى هذا المقام وشرح المراد منه هو الكبريت الأحمر وهو أول مصنفات الطريقة كما سبق نقله عن باسودان في المقدمة وهو للعيدروس الذي كان مظهرا من مظاهر الطريقة وقد قال في حديثه عن من رقى في المقام إلى تلألؤ نور الإلهية (فبدت شجرة الواحدانية، ونودي موسى أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، فانمحت الجهات! وتلاشت الصور، وانطمست الأبعاض، وانعدمت الأجزاء، وسطعت عزة الوحدانية، بتجلي نور الصمدانية الربانية، فتدكدك جبل الإنسانية الروحانية صعقا، فاحترقت الغيرية بنار الغيرة، وارتفعت الشركة، وبقيت الوحدة، متعززا برداء كل شي هالك إلا وجهه، هذا أوان وما رميت، وهو سر كنت سمعه، ولعمري إن هذا حال من كوشف بأسرار كنت ك ا مخفيا...!!)[٢].

وهذا كلام قد تضمن أمورا منها:

- التأويل الإشاري في المراد بموسى وكذا الطور.

---

(١) ضمن ا موعة العيدروسية (ص:٦٦).

(٢) (ص:٧٧).

- تلاشي الجهات وانطماس الأبعاض حين يفنى الواصل عن الكون.

- الإشارة إلى الوحدة، تعبيرا على حالة الفناء التي وصل إليها الصوفي.

وإذا أخذنا الخاتم لتلك الطريقة على حد تعبير باسودان أيضا وهو الحداد فإننا نراه يقترب من التعبير بالفناء في الشهود كما في إتحاف السادة بقوله: (الفناء عن الكون حال شريف ينازله أهل الله وله معان جليلة ودقيقة والمراد هنا فناء شهود الإنسان لنفسه ولغيره من الكائنات والأمر الذي ينشأ عنه هذا الفناء تجلي صفات الحق الجلالية القهرية وعند تجليها تمحق الرسوم البشرية وتضمحل البقايا الكونية فإذا صح الفناء ـذا المعنى تجلى عليهم الحق القيوم بأوصافه الجمالية اللطيفة فتحيا أرواحهم وتنتعش أسرارهم وتبقى رسومهم على ما هي عليم من الإماتة... فيبقيهم الله ما شاء في هذا المشهد المعبر عنه عندنا بالجمع)[1].

وهناك تقسيم آخر للفناء تبعا للعوالم التي حددت على النحو التالي:

- فالصوفي حين ينتقل من عالم الملك إلى الملكوت يدخل في الفناء الأول.

- ثم ينتقل إلى عالم الجبروت وهو الفناء الثاني.

- ثم يغادره إلى عالم اللاهوت وهو فناؤه عن فنائه ويدعونه مقام جمع الجمع ثم يعود إلى الفرق الثاني[2].

مراتب الفناء: للفناء ثلاث هي:

- فناء الصوفي عن صفاته لبقاء صفات الحق.

- ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق.

ثم فناؤه عن شهود الحق باستهلاكه في وجود الحق وهو فناء الذات في الذات.

قال العيدروس في الكبريت الأحمر: وهذه حقيقة قل الله ثم ذرهم[3].

وهكذا نرى أن الفناء أو مقام الجمع كثيرا ما يأتي بالإطلاق وقد يشار إلى الوحدة من طرف خفي، وقد حمله المتأخرون على الفناء في الشهود، وهو ليس الغاية بل في الوصول ولكن أجل منه هو مقام البقاء ولذا لما سئل عمر بن عيدروس بن علوي في واقعة في الحرم المكي عن قول سلفه في وحدة الوجود فقال لا يثبتو ا ولا ينفو ا.

قال صاحب النفحة الشذية معلقا على ذلك:

---

(١) (ص:٨١) وقال في النفائس العلوية (ص:فإذا وردت عليه - الصوفي - حالة الجمع فني عن نفسه وعن غيره من جنسه واستغرق بربه وذهـب فيه بالكلية فلا خاطر هناك يخطر ولا موجود ثم يظهر إلا الموجود الحق جل وعلا) (١١).

(٢) انظر النفحة المدنية (ص:٦).

(٣) الكبريت الأحمر (ص:١١) وبنصه في التحفة المدنية وهو صدى لما ورد في رسالة القشيري (ص:٣٦).

فائدة: قوله (لا يثبتو ا ولا ينفو ا) أي لا يثبتون الوحدة وينفون الكثرة، ولا ينفون الكثرة ويثبتون الوحدة، بل يجمعون بين الوحدة والكثرة، وهذا المقام كما قالوا أكمل، قال في شرح الفصوص: فمنهم من يرى الخلق ولا يرى الخالق، ومنهم من يرى الخالق ولا يرى الخلق، ومنهم من جمع بينهما في كل مقام ومرتبة وهو أكمل الناس[1].

وسيأتي الحديث عن مقام البقاء إن شاء الله.

جمع الجمع:

وأما مقام جمع الجمع فهو أعلى من الجمع وأجل وهو الاستهلاك بالكلية، فمنهم من يدوم معه الاستغراق إلى الموت، ومنهم من يرد للقيام بالفرائض، وقد ذكروا ممن نزله الفقيه المقدم كما قال الخطيب في الجوهر (ولم يزل الشيخ الفقيه المذكور يترقى في المعارف والأحوال حتى بلغ مبلغا رقوى حظيظه الجهابذة وصار روحانيا متروحنا في حضرة جمع الجمع)[2] وورد في السلسلة القدوسية في تفسير قول الفقيه المقدم: أنا الله آلاتي ذكره في الشطحات ما نصه (واعلم أن سيدي الفقيه لما تلفت بسره، في حضرة قدسه، عمي عن نفسه، ونسي بيومه أمسه، شهد اللاهوتية، ونسي الناسوتية، فقال أنا الله: لأنه كان في عين جمع الجمع في مقام البقاء)[3].

قال علي بن أبي بكر باعلوي في ذكر جمع الجمع:

جمعت بجمع الجمع كل مفرق وحققت أني كنت في الجمع منتهي

إلى إن بدا لي منه غاية مقصدي وحققت أني كنت في القصد منصت

فقلت بقولي قوله حيث أنه يقول بقولي في حضوري وغيبتي

وقال شيخ بن عبد الله العيدروس أيضا في جمع الجمع:

لا ترتض بالإسم دون مسيمه إن كنت يا ندمان صبا عاشقا

واعكف على حب الحبيب وذكره في جمع جمع الجمع لا تتفرقا

وإذا نأى لك قرنه من دونه لا ترضها وارض ولا تتعوقا

فهناك نادتك الحقائق لا تقف فأمامك المطلوب دم متشوقا[4]

موقف صوفية حضرموت من الحلاج وابن عربي:

---

(١) النفحة الشذية من الديار الحضرمية (ص:٣٨).

(٢) الجوهر الشفاف (٨٧/١).

(٣) (ص:٤٦٥/٢).

(٤) المرجع السابق (٤٣٣/٢) وانظر غاية القرب ضمن ا موعة العيدروسية (ص:٨٧).

الحلاج في الفكر الصوفي الحضرمي:

ذهب صوفية حضرموت إلى اعتقاد ولاية الحلاج وابن عربي ومن سار بسيرهما من أهل الوحدة كابن الفارض، ويعدو م من أكابر الأولياء العارفين، وربما تشبهوا في دعوى الشطح بالحلاج كما كان من أمر الفقيه المقدم في قوله أنا الله!! وأول ما يطالعنا ذكر للحلاج يمكن الوقوف عليه في ترجمة السقاف في موضعين، أولهما قوله: اطلعنا على حال الحسين الحلاج فظننا أن بزجاجته كسرا فوجدناها ترشح وليس ا كسرا!! والثاني حينما كان يثني على حال الحلاج عند ابنه - عمر المحضار - حتى يدع ما عليه من لعب الحظ الذي كان يلعبه، ويتشوق للوصول إلى مقام الحلاج.[1].

وهذان الموضعان يوضحان اعتقاد ولاية الحلاج واكتمال أهليته في التصوف.

وقد أوغل عبد القادر العيدروس في غاية القرب، وعبد الرحمن مصطفى العيدروس في العرف العاطر، في محبته إيغالا بعيدا فزعما أنه لما قطعت أطرافه - الحلاج - وقع دمه على الأرض الله، الله!!! وأنشد يقول:

ما قد لي عضو ولا مفصل إلا ولي فيه لكم ذكر[2].

وقد اشتهرت هذه الحكاية على شناعتها وبشاعتها حتى صاغها الشواف في قصعة العسل بالنظم العامي فقال.

أما الحسين ذاك إنه أدناه ربه منه فظن إنه إنه وتاه من قرب الله.

لما أراقوا دمه وقع جلالات اسمه مكتوب بين رسمه كله على الله الله.

عذر الفقهاء في قتله:

ويرى الذين يعتقدون ولاية الحلاج أن الفقهاء الذين أفتوا بقتله معذورون بحكمهم على الظاهر والرجوع إلى النصوص التي توجب قتله، كما أن الحلاج معذور بما غلب عليه السكر في مقام الفناء، فأقاموا العذر للفريقين - الحلاج من جهة والفقهاء من جهة أخرى - وعبر عن هذا التوفيق أبو بكر العدني في الديوان في قصيدة ذكر الحلاج بأنه:

قُتِلْ بحق وهو في الحقيقةْ على الشريعةْ سالك الطريقةْ

كل من الاثنينِ له وثيقةْ قاتلْ ومقتولٍ لهم مقاصد

أخذوا بظاهر قوله فحكموا بقتله الفقهاء ليس علموا

أن فوق كلْ عليم علمٍ علم هم نصرةُ الدين مالهم معاند

(١) الموضع الأول في شرح العينية (١٨٥) والثاني في الجوهر الشفاف (١٤٣/٢).

(٢) غاية القرب (ص:٥).

وقال عبد الرحمن بن مصطفى في العرف العاطر (أن قاتليه لهم نوع شبهة وعذر بل هم مصيبون في ذلك لوقوفهم مع ظاهر الشريعة فلهم أسوة بالسيد موسى عليه السلام في إنكاره على الخضر عليه السلام لكنه وقوف على الظاهر فيه قصور)[1].

انتهى كلامه ولازمه شنيع في نسبة موسى والفقهاء إلى القصور في اعتراضهم على خلاف الظاهر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قياس ما فعله الخضر بوحي في قوله (وما فعلته عن أمري) على ما زعمه الحلاج من قوله أنا الحق وهذه جرأة نعوذ بالله من شؤمها.

قال عبد الرحمن بلفقيه أيضا في التعبير عن الموقف من قتل الحلاج يعذر الفقهاء ويرجع أمر الحلاج إلى الله الذي يعلم الأسرار التي تم إفشاؤها فقال في حديثه عن الأسرار التي يصل إلى حيازتها الصوفي:

ومن ا باح استباح ذمه وربما الشرع أباح دمه

وحسبها الله ا وعلمه وحسن ظن خير ما نوالي

وشرح هذا القول باسودان فقال:(وكذلك حكي الحلاج الصوفي لما ظهرت منه حقائق قتل بحكم الشرع وغيره مما هو مذكور في محله وربما الشرع أباح دمه أي قتله كما مر وقوله وحسبها الله أي أن الله يعلم تلك الحقائق والأسرار)[2].

ويظهر إعجابهم بحاله في الاستشهاد بكلامه لا سيما الشعر منه من غير نسبته إليه أحيانا كما عند العيدروس الأكبر في الكبريت الأحمر في الذكر الحقيقي الذي يجعل الذاكر مذكورا والمذكور ذاكرا في مثل الشمع والفراش حين لا يبقى تمييز بينهما.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فمتى أبصرتنا أبصرته ومتى أبصرته أبصرتنا

الموقف من الحلول والاتحاد:

وهم إذ يتولون الحلاج ويعتقدون أنه من أكابر الأولياء فإنهم يفسرون شطحاته في الفناء التي قادت إلى قتله بالإتحاد الذي يبين حقيقة الوصول وغيبة الصوفي عن الكون، وليس مرادها عندهم الإتحاد الذي بمعنى امتزاج الذات بالذات ولا الحلول الذي هو ذوبان وتلاشي الذات البشرية، وهذا الأمر يفسر لنا براءتهم من عقيدة الحلول والإتحاد مع البقاء على ولاية الحلاج لأنهم يتأولونه عنها ومما وقفت عليه في هذا المعنى:

- قال العيدروس في الكبريت الأحمر: (وكل من اعتقد الحلول والإتحاد كفر).

---

(١) (ص:١٠٢).

(٢) مطالع الأنوار (٢٨٤).

وقال أبو بكر بن سالم في باب العشق من التائية:

غرامي ا طبعا وفرط صبابتي ووجدي وذوقي قبل مظهر طينتي!!.

وما ثم إلا الذات ثم صفا ا قديم ت ه عن حلول وكنية.

وقال عبد الرحمن بلفقيه في حديثه عن الفناء المطلوب:

لا قول ذي الإلحاد باتحاد ولا حلول قط في اعتقاد.

فجل أهل الحق والإرشاد عن قول أهل الزيغ والضلال.

قلت: أهل الوحدة أيضا يتبرأون من هذه العقيدة لأ ا تشعر بالإثنينية كما يقولون.

- قال ابن الفارض في خمريته:

وهامت ا روحي بحيث تمازجا اتحادا ولا جرم تخلله جرم.

- قال الجيلي في عينيته:

وغص في بحار الاتحاد م ها عن المزج بالأغيار إن أنت ساجع.

وكذلك تبرأ منه أهل الفناء الشهودي وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد في المذهب الذي يوهم الحلول والإتحاد وليس منه في شئ أن السالك إلى الله إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى في الله يستغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى إلا الله.... وحينئذ تصدر عنه عبارات تشعر بالحلول والإتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وبعد الكشف عنها بالمثال.

ابن عربي في الفكر الصوفي الحضرمي:

لقد استقر عند صوفية حضرموت اعتقاد ولاية ابن عربي وأنه من أكابر الأولياء كما سبق عن الحلاج، غير أ م كما راموا التوفيق بين الفقهاء والحلاج فأقاموا العذر للفريقين نراهم يتوسطون في أمر ابن عربي بين اعتقاد ولايته والتحذير من كتبه لمن كان في أول السير دون من انتهى فيه، فقرروا أن كتبه قد حوت غوامض لا يفهمها أهل الظاهر، ومن كان في أول الطريق فهي من المظنون ا عليه حتى يتأهل ليكون من أهلها، وقد رسم العيدروس منهجا في التعامل معها حين غضب غضبا شديدا لما رأى بيدي ابنه أبي بكر العدني جزءا من الفتوحات المكية لابن عربي فزجره عن ذلك وذكر أ ا اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أهل النهايات، وتضر بأهل البدايات فقال ابنه: فهجر ا يومئذ.[1].

---

(١) انظر ترجمته من المشرع الروي وانظر مواهب القدوس لبحرق وحيث قال أبو بكر العدني: لا أذكر أن والدي رحمه الله ضربني ولا انتهرني قط إلا مرة واحدة. وذكر السبب.

وكان الحداد ينصح بعض مريديه أن لا يعلق خاطره بالشيخ ابن عربي ولا بأضربه وينصحه بالعلوم الغزالية غير أنا نراه يشن هجوما عنيفا على المعترضين على ابن عربي بقوله فليس يسوغ لأحد يعلم من حال الشيخ ما ذكرنا ثم يتهمه بالزيغ عن الحق كما وقع في ذلك بعض أهل الجرأة والإقدام على ما لا يجوز الإقدام عليه وكان يقول أن ما شطح به لا تبلغه أفهام القاصرين[1].

إذا من هذين التقريرين نلمح التفريق بين ابن عربي من حيث كونه من أكابر الأولياء وبين كتبه التي لا ينصح بقراء ا من كان قاصرا، قال صاحب عقد اليواقيت: وعلى طريقة الشيخين عبدالله العيدروس وعبدالله الحداد أكثر السادة آل باعلوي أو كلهم في النهي عن التعلق بكتب الرقائق ا ردة مع اعتقاد مصنفيها والتحقق والتصديق بما فيها.

قلت: وأسوق هنا -تنصيصا- من سار على هذا الدرب مما وقفت عليه:

- منهم أحمد بن علوي جمل الليل باعلوي في جوابه على أحمد الحفظي حين سئل عن الفصوص لابن عربي فرأى الكف عن الخوض في الإشارات وعدم صرف الزمن في فهم تلك العبارات وأن تلك الرموز والإشارات لا تصلح أن تكون مفيدة لكل فرد[2].

- ومنهم علي بن حسن العطاس يرى أنه لا ينبغي قراء ا إلا لمن تحقق معرفة مقصد مؤلفها لأنه ربما عرف الأشياء على غير ما هي عليه[3].

- ولصالح بن عبد الله العطاس مطالعة خاصة في كتب ابن عربي وعلل ذلك مؤلف تاج الأعراس لأنه من العارفين بمقاصدها وكان ينهى القاصرين عنها وقال إن سادتنا العلويين إنما وا عن مطالعة كتب ابن عربي التي لا يفهم معناها خوفا من الوقوع في الغلط[4].

وأما أهل النهايات فقد نقل عنهم مطالعة كتب ابن عربي نذكر منهم:

- أبا بكر العدني الذي هجر الفتوحات في بداية أمره حين غضب عليه أبوه كما سبق قريبا نقل عنه، قراء ا وإقراءها لتلاميذه ويبدو أنه طالعها بعد أن تجاوز مرحلة البدايات، فكان يكشف المشكلات والأسرار التي اشتملت عليها الفصوص، كما قال تلميذه محمد بن عمر بحرق في قصيدة يمدحه منها:

أظهرت ما أخفى الفصوص وغيره من كل علم حار فيه من دأب

---

(١) عقد اليواقيت (ص:٩) وكذلك الحال في ابن الفارض والسهروردي المتكلمين بالحقائق فقد كان يأمر بتجاوز التائية الكبرى ويقول لأ ا مشحونة بأحوال الحقيقة التي يصعب إدراك معناها انظر عقد اليواقيت (٢٩) وانظر أيضا عقود الألماس (١٠١-١٠٨) في التحذير من كتب الحقائق ا ردة وفق ما قرره العيدروس والحداد.

(٢) فيض الأسرار.

(٣) الرياض المؤنقة.

(٤) تاج الأعراس (١/٨١-٨٢).

أوضحته من غامض السر الذي قد حزته من غير كد أو نصب

وقال عبد المعطي -أحد تلاميذ العدني- أيضا في قصيدة له:

فيا شيخي يا ابن العيدروس ومن له مقام به كل الرجال وقوف

شرحت لنا علم الحقيقة ظاهرا وأحييت محيي الدين وهو عريف

كلام ابن عربي وإن كان مغلقا وفي فهمه عسر وفيه عسوف

بتقريرك الميمون أوضحته لنا فصار لدينا معرب معروف(١)

- ومنهم حسين بن عبدالله بافضل الذي شط شططاً كبيراً فكان يعظم ابن عربي ويقرأ كتبه لا سيما الفتوحات، وكان له في اقتنائها أشد عناية، ويرى أن كلامه كلام سائر الصوفية غير أنه بسط العبارة في موضع الإشارة، وله رسالة أسماها (الفصول الفتحية والنفثات الروحية فيما يوجب الجمعية وعدم البراح من جانب الحق والبقاية بالكلية والجزئية)(٢).

ومنهم: محمد بن عمر بن علوي (ت:١٠٥٢هـ) نزيل مكة اشتهر بالغزالي والحبشي ورغب في كتب ابن عربي، ولزم طريقته، قال الشلي في المشرع الروي: وربما حصل منه بعض شطح، وتكلم فيه بعض الفقهاء بقدح، ومن نظمه:

تجلت عن تجليها فسلني فقابلها ا أعطى التثني

بذات الاتصال في افتراق بجمع الجمع في عين التجني

فكان الفرد في الزوجين لاهت تلاهت لا ا والفرد يثني

فكنا فيه بل هو كان فينا فطبنا رب زدني رب زدني

سألت وما علمت سواي لكن بحكم الفرق كنت رميت عني(٣)

ومما يدل على اعتقادهم في ابن عربي نعتهم إياه بلقب محيي الدين وابن الفارض يدعونه بسلطان العاشقين ونرى عند بعض المتأخرين مثل أحمد بن حسن العطاس ثناء عليه كما ورد في مواضع متفرقة من تنوير الأغلاس بل قد قص رؤيا له حين سأل رسول الله عنه فأجابه بقوله هو من الجواهر المفردة!! وقال أنه يتكلم في العلوم المعلومة ويربطها بالمكتومة وليس مثل ابن عربي أحدا إذا تكلم في المواطن الإلهية ثم في القطبية ثم في الجمع بينهن ولا أحد يكشف المخبآت مثله لأنه يتكلم عن علم وذوق ووجدان.

---

(١) المشرع الروي (٣٤/٢).

(٢) صلة الأهل ترجمة حسين بافضل.

(٣) المشرع الروي (١٦/٢).

وقال أيضا: لا يقدر أحد أن يتجرأ على كشف قناع قصيدة التائية الكبرى للحداد ومطلعها (بعثت لجيران العقيق تحيتي) إلا أن كان مثل الشيخ محيي الدين ابن عربي.

كما قال أنه لا يحسن شرح الرشفات نظم عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه إلا ابن عربي وأمثاله.[1].

ومن تأمل بعض الفروع الناشئة عن الغلاة حق التأمل يجد تأثرهم بابن عربي، إما تلميحا في أغلب الأحيان، وإما تصريحا فيما ندر، وموضع ثالث يحتاج فيه إلى منقاش لاستخراج كلامه من ثنايا الحديث كما في هذين المثالين الأول ما جاء عن العيدروس أن من وهب خلعة التفريد نال الخلافة (خلافة آدم عليه السلام بتعلمه علم الأسماء أسماء الله وصفاته بتعليم الله إياه بأن جعل ذات آدم وصفاته بالسوية مرآة قابلة لتجلي جماله وجلاله تبارك وتعالى كما قال صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم فتجلى فيه فبالتجلي علم التخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته) وهذا هو سر الخلافة على الحقيقة لأن المرآة تكون خليفة للمتجلي فيها قال ابن عربي في الفصوص (لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى أن يرى أعيا ا وإن شئت قلت أن يرى عينه في كونه جامع يحصر الأمر لكونه متصفا بالوجود ويظهر سره إليه فإن رؤية الشئ نفسه بنفسه ما هي إلا مثل رؤية نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة فكان آدم عين جلاء تلك المرآة وروح تلك المرآة وكانت الملائكة من بعض قوى تلك الصورة التي هي صورة العالم المعبر عنه في اصطلاح القوم بالإنسان الكبير فسمى هذا المذكور إنسانا وخليفة....)[2].

والثاني ما جاء عن أبي بكر بن سالم الولاية والصديقية والقطبية تمتد من البحر المحيط صلوات الله وسلامه عليه إلى وقتنا هذا ولا تزال كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين لقوله (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها..).

وورد عن ابن عربي في تعريف الولاية (واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع وأما نبوة التشريع والرسالة... والولي - وهذا الاسم باق جار على العباد الله دنيا وآخرة فلم يبق اسم يختص به العبد دون الحق بانقطاع النبوة والرسالة إلا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها...)[3].

وأما عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس فإنه يصرح بالوحدة ولا يكني في مقدمة لطائف الجود في مسألة الوجود قال (باسم الله بداية و اية والحمد لله رواية ودراية وأصلي وأسلم على الأول والآخر والباطن والظاهر... أما بعد فهذه لطائف تتعلق بمسألة الوحدة القائل ا أهل المعارف اللطيفة السادسة (السالك في مباشرة وحدة الأفعال قدر على طي الأرض واختراق الهواء والمشي على الماء والإشباع بالقليل وفي مباشرة

---

(١) (٣٢٥/٢-٣٤١-٤٣٨). وانظر بشائر وطوالع سعود (ص:٥-٤١) ويعد تنوير الأغلاس الأصل الذي أخذ عنه علوي بن طاهر الحداد كتابه عقود الألماس غير أنه أعرض عن هذه النصوص وعقد فصلا في التحذير عن مطالعة كتب الحقائق ا ردة.وما فيه الشطح والزيغ وإن كان أثبت بعضها في بشائر وطوالع سعود.

(٢) فص حكمة إلهية في كلمة آدمية.

(٣) الفص العزيري.

وحدة الصفات يسمع في تجلي صفة السمع له جميع الأشياء ناطقة لأنه يسمع بالحق وكذلك يبصر في تجلي صفة البصر له جميع المبصرات وفي مباشرة وحدة الذات كان بحسبها لأ ا تعود الأسماء الذاتية عنده كالملون بلون إنائه فيصف به بقبول الألوان كلها فلا يدري العبد من هو لشهود الحق بالحق بلا نسبة شهود له كشهد الله أنه لا إله إلا هو..)[١].

ونستفيد ثلاث وقفات من هذا الكلام هي:

- القول بالوحدة.
- قوله عن النبي الأول الآخر يجسد الحقيقة المحمدية التي هي فرع عن الوحدة.
- تصريحه أن أهل المعارف يقولون بالوحدة.

ابن عربي وكتبه بين عمر بامخرمه وابنه عبد الله:

لقد هاجت فتنة ابن عربي بزبيد واشتد أوارها حين أدخلت كتبه هنالك على يد أتباعه وقد وقف الفقهاء لها بالمرصاد كما بينه حسين بن عبد الرحمن الأهدل في تحفة الزمن، ووصل شرر هذه الفتنة إلى حضرموت فأدلى العيدروس بدلوه كما سبق ذكره، غير أن عمر بامخرمه الصوفي المعروف كان له كلام أكثر توضيحا حين قسم الفتوى الخاصة بابن عربي إلى أربع مراتب:

فأما ابن عربي فيعتقد فيه - تبعا للشيرازي - أنه شيخ الطريقة حالا، وعلما، وإمام التحقيق حقيقة ورسما، ومحيي العلوم فعلا واسما. وهذا لم يخرج فيه عن الأصل الذي ذكر.

وأما كتبه فمنها الفصوص وما حذا حذوه فلا أشير على مريد ولا طالب علم بالإشراف عليها ولا المطالعة والنظر فيها فإ ا مضرة جدا.

وأما أتباع ابن عربي فمنهم هداة مهتدون وقليل ما هم ومنهم ضال مضل وهم كثير جدا.

وأما المنتسبون إلى ابن عربي في هذا الزمان فمصيبة في الدين، وفساد طريق المسلمين، رفضوا الشريعة، ودانوا بالإباحة، وقالوا بالتناسخ، وتظاهروا بأقبح القبائح، فالفرار الفرار منهم[٢].

وأما ابنه عبد الله بن عمر فقد وافق فقهاء زبيد في النكير، على علوم ابن عربي إلى حد التكفير، ويعد هذا الصنيع خروجا عن المألوف من فقهاء حضرموت حيث لم نر لهم موقفا - بعد ما ورد من انتقاد باطحن وبافضل على الفقيه المقدم - ينابذ أفكار الصوفية لا سيما جماعة ابن عربي فكان اختياره هذا معكرا للهدؤ الذي ساد الموقف بين الفقهاء والصوفية في حضرموت وقد ألف كتابا أسماه (حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد

---

(١) لطائف الجود نقلا عن كشف حقيقة الصوفية (ص:١٨٥).

(٢) السناء الباهر (٣٨٠) وأما معروف باجمال فقد اتخذ موقفا وسطا من الفتنة بالتبرك بآثار كلا الفريقين أي أتباع ابن عربي وإسماعيل المقرئ انظر مواهب الرب الرؤوف (ص:٦٥).

في تكفير طائفة الوحدة والاتحاد) علما بأن الفقيه بامخرمه قد تولى أهل الاستقامة من أهل التصوف بل وأصحاب الفناء في الشهود، وأثنى على الفقيه المقدم، ومع ذلك نراه يلعن جماعة ابن عربي فقال (تستروا بالتصوف والنسك والعبادة كابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات وابن سبعين وأتباعهما كالقونوي تلميذ ابن عربي والقيصري شارح الفصوص وعبد الكريم الكيلاني صاحب الكمالات والإنسان الكامل وغيرهم لعنة الله عليهم وعلى معتقدي عقيد م وسالكي طريقهم) وفي موضع قال (فلعنهم الله وأخزاهم ودمرهم ولعن من يحبهم ويتأول لهم مع علمه بفساد عقائدهم ما دام الملوان وتعاقب الجديدان)[١].

فائدة: ذكر حامد بن عمر الحامد باعلوي أن معتمد سلفنا العلويين على ما اعتمده ابن حجر وليس ذلك لعلمه فإن عبدالله بن عمر بامخرمه أعلم منه ولكن لقوة مدرك ابن حجر[٢].

قلت: وهذا القول منه اعتراف بعلم بامخرمه ومن تأمل فتاوى بامخرمه الهجرانية والعدنية علم ذاك غير أ م لم يرغبوا في اعتماد قوله لملمح آخر أشار إليه عبدالله بن عمر بن يحي يبين سبب رضاهم على ابن حجر لأمور ثلاثة هي تسليمه للصوفية ومحبته لأهل البيت واتساعه في علم الحديث.[٣].

وقفة عجيبة:

لا يكاد ينقضي عجبي من أول ذكر لاسم ابن عربي يطالعنا في الجوهر في ترجمة إبراهيم بن يحي بافضل توفي (٦٨٤هـ) حيث قال: وردت علي من الفقيه ابن عربي رقعة وإذا فيها ورد علينا فقير وقال لنا الفقير يحي ويميت بإذن الله ويقول للشئ كن فيكون بإذن الله والفقير لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد فأشكل علينا فقال الشيخ إبراهيم بن يحي:

إذا لم أفتكم بصريح علم فلا من بعدها تستفتيوني.

بما في محكم القرآن أفتي وإلا بعد هذا كذبوني.

وقد صرح صاحب صلة الأهل بأنه يعني بالفقيه ابن عربي أي الشيخ الأكبر محيي الدين على حد زعمه.

ويكمن التعجب في ثلاثة أمور:

- عجيبها: رجوع حامل لواء الوحدة ابن عربي إلى إبراهيم بافضل واستفتائه في خفاياها.
- وأعجبها: حل الإشكال بمحكم القرآن الذي أفتى بمقتضاه ولا شك أنه من كيس الباطنية.

(١) الفتاوى العدنية كتاب الرقائق وقد تأثر الفقيه عبدالله بامخرمه بالسبيل الذي مشى عليه فقهاء اليمن لاسيما فقهاء زبيد بالإنكار على جماعة ابن عربي وإتلاف كتبه منهم أحمد بن إبراهيم العسلقي وأحمد بن أبي بكر الناشري وأبو بكر بن محمد الخياط وحسين بن عبدالرحمن الأهـدل في كشف الغطاء الذي بين فيه ما عليه أصحاب ابن عربي وفصل القول فيهم تفصيلا.

(٢) الفوائد المكية تأليف علوي بن أحمد السقاف (ص:٣٨).

(٣) مجموع كلام ابن شهاب.

- وأشدها إعجابا: ذلك ما ادعاه الفقير من صفات الربوبية التي وردت في السورة التي أخلصت التوحيد لله، فماذا بعد هذا يمكن أن يقال من ترهات.

- شطحات صوفية حضرموت:

إن من غرق في بحر الفناء عندهم وغاب عن الكون واكتشف السر وغدا مصطلما في هذا المقام حين يريد أن يصور حالته هذه يأتي بعبارات فيها رعونة يطلقون عليها شطحات ولقد سجلت لنا كتب صوفية حضرموت عددا من الشطحات التي أبداه الواصلون إلى مقام الفناء ونسبوها إلى أساطين الطريقة نذكرها على النحو التالي:

الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي:

رائد التصوف بحضرموت (ت:٦٥٣هـ) ونسب له ما قد سبق القول عنه في بداية الكلام مما للتوقف فيه نظر وأي نظر، وأنا أستبعد كثيرا مما نسب إليه لعدم وجود الوثائق المعتمدة في ذلك غير أننا نوردها هنا لأنه قد تم تفسيرها من قبل بعض المتأخرين وفق المفهوم الصوفي للفناء.

فشتان ما بين بداية الفقيه المقدم العجيبة، و ايته الغريبة في التصوف فأما بداية سلوكه فقد أشار إلى بعضها في رسالته إلى سعد الدين الظفاري المتوفى بالشحر سنة (٦٠٧هـ) ومما جاء فيها:

- إني أقع ما بين فزة واقشعرار ونزاع وذوبان في بعض الأحوال.

- إني كأني داخلني غير جنسي فإذا طلبت ما إليه غايته أجده يوجد لي عالما وصفة وحالا واستقرارا.

- إني في حالي الذي استفزني أجد حقيقة الذات.

- إني أجد الصورة المقابلة لي تشبه إنسانيتي وإ ا تأخذ من جميع جوارحي في لبا ا[(١)].

وقد قام شيخ بن عبد الله العيدروس - الحفيد - في السلسلة القدوسية بتفسير العبارة الأخيرة بأنه على قدر لطافة قلب العارف المواجهة للملكوتيات العلوية تنعكس عليه أشعة أنوارها وتتجلى لأسراره بأسرارها وإذا وصل العبد إلى هذا المقام سمي حينئذ عبد الله وناب عن الله في كل شيء ونال الخلافة العظمى وبلغ الولاية الكبرى. اهـ[(٢)].

ومما كتب إليه أيضا كما في الجوهر أنه عرج به في ليلة سبع مرات[(٣)] وسيأتي بيان ذلك.

هكذا وصفت بداية أمر الفقيه المقدم التي عناها الحداد في قصيدة يمدحه ا منها قوله:

---

(١) البرقة المشيقة (ص:٢٠٤) العقد النبوي (ص:٢٧٢).

(٢) (٤١١/٢).

(٣) (ص:٧٩).

كانت بداية مثل النهاية من أقرانه فاعتبر هذا بتبيان.

وأما ايته في الفناء فقد أوصلوها إلى حيث يرتفع عن بشريته حين بقي مائة ليلة مصطلما لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يصلي في مقام فناء الفناء وكان يقال له في تلك الغيبة كل نفس ذائقة الموت فيقول مالي نفس. فيقال له كل من عليها فان فيقول ما أنا عليها. فيقال له كل شئ هالك إلا نفسه فيقول أنا من نور وجهه.[1].

وفي إطار حقيقة التوحيد تصدى شيخ بن عبدالله العيدروس الحفيد في السلسلة القدوسية لشرح هذه الشطحات التي أفرزها مقام الجمع وقدم لنا تفسيرا يتفق مع ما تقرر عند ابن عربي وابن الفارض بل نراه يصرح بالنقل عنهما.

قال في تفسير قول الفقيه (ما لي نفس):

اعلم أن الشيخ الفقيه رضي الله عنه نظر عند ورود القارئ عليه في تلك الساعة إلى عين أعيان الإنسان فما شهد في تلك النظرة إلا الواحد التام، تلفت بعين أعيان حضرة الإمكان تكلم بلسان ترجمان الإتحاد في عين الجمع وعين جمع الجمع[2].

وأما في تفسير قول الفقيه (ما أنا عليها) فيقول:

اعلم أن الشيخ رضي الله عنه يشير إلى أنه من الأفراد والأفراد قد أفنوا جميع الأضداد والأنداد والأشكال والأمثال كما قال سيدي عمر بن الفارض في قصائده:

فلم وني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما لم تجتل فيك صورتي.

واعلم أن الشيخ نظر في تلك الساعة إلى عين البقاء في حقيقة سره فتجردت حقيقته عن جميع المحدثات الممكنات فصار كائنا في كينونة الإنتشاء في حضرة الإنتهاء قد فني عن الباء والياء فتكلم بلسان حاله ما أنا عليها، حقق الإثنينية وأفنى الأينية فكان مولها باللاهوتية مضمحلا عن الناسوتية وينبيك عن هذا قول صاحب التائية عمر بن الفارض:

ولم أله عن اللاهوت عن مظهري ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتي[3].

---

(١) الجوهر الشفاف (ص:٩١) - العقد النبوي (ص:٢٩٤) - الغرر (ص:٣٦٩) - شرح العينية (ص:١٧٤) - المشرع (٩/٢) وقد أخذ هذا المعنى العيدروس في الكبريت في حديثه عن الذكر الحقيقي الذي يجعل الذاكر مذكورا والمذكور ذاكرا (ص:٧٩) فقال: (وهذا من بركة معنى معنوي كل شئ هالك إلا وجهه، كل من عليها فان، كل نفس ذائقة الموت).

(٢) (ص:٤١٩/٢) وقال في تفسيرها أيضا (ولا شك أن سيدي الفقيه رضي الله عنه كان في تلك الساعة ذاهبا عن نفسه متصلا بربه مترددا بين المحو والإثبات إن قال أنا كذبه شاهد الفناء وإن قال هو كذبه شاهد البقاء فطفق حائلا بين البقاء والفناء وبين هو وأنا. (ص:٤٢٩).

(٣) (ص:٤٣١/٢-٤٣٣) قال: وكان في تلك الساعة ناظرا في حقيقة الاتصال قد تخلع عليه ضابطة الانفصال وهو في حضرة تجلي الأحدية في عين مظاهر الواحدية قد فني عنه وقد بقي به قد انفصل وانخلع عن الغيرية فقال ما أنا عليها.

وفي تفسير الكلمة الثالثة قول الفقيه(أنا من نور وجهه) قال:

ولقد كاد زيت سيدي الفقيه الذي في مشكاة قلبه يضئ ولو لم تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم اشتعل فأصبح نورا على نور ففتح بصره متحققا بكمال الت يه فإذا هو بطلوع وجه الباقي عليه فقال أنا من نور وجهه لأن اسمه الباقي أشهده بقاء الله وجعله باقيا به عند فناء الكل ليعبده بالعبودية المحضة اللازمة لتعينه فهو العابد المعبود تفصيلا وإجمالا إذ لم يبق رسمه وأثره عند تجلي وجه الباقي...[١].

وقد اقتبس صاحب السلسلة كثيرا مما ورد في العقد النبوي تأليف جده شيخ بن عبدالله الذي صرح فيه أنه لخصه من قول علي بن أبي بكر في رسالته (حل رموز النفثات وشرح الثلاث الكلمات)[٢].

وما بين بداية الفقيه المقدم التي وجد فيها حقيقة الذات و ايته التي بقي فيها مصطلما سجلت له شطحات نذكر منها اثنتين:

الأولى: قوله أنا الله. كما في سياق قصة السعف حين امتنع البدوي أن يبيعه السعف فذكروا له من أحوال الفقيه المقدم الغريبة فقال البدوي: الشيخ محمد بن علي الله؟ فلما سمع الشيخ ذكر الله قال بأعلى صوته نعم أنا الله وسقط مغشيا عليه[٣]. ولنا مع هذه القصة ثلاث وقفات:

١ - استفهام البدوي هل الفقيه المقدم هو الله؟ يدل على أن ما ذكروه من صفات للفقيه المقدم تخرج عن حد المألوف وهي من صفات الربوبية ولذلك استنكرها البدوي بفطرته.

٢ ـ ربما تعد هذه الشطحة من باب التشبه بالحلاج التي يبديها كثير من الصوفية كما قال الغزالي في الإحياء في حديثه عن أحد قسمي الشطح وأنه من (الدعاوى العريضة في العشق مع الله (ويتشبهون بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام...)[٤].

---

(١) (ص:٤٥٢/٢) واعلم أن الشيخ حين قرئ عليه كل شيء هالك إلا وجهه نظر إلى أوليته في عين أعيان حقيقة مظـاهر النوريـة في حقيقـة الواحدية في مضمون كن لان أهل العقائد نبهوا أن الله كان ولا شيء معه وهو ان على ما كان عليه فلا موجود إلا هو ولا وجـود لغـيره فيحتاج إلى هلاك فلا شيء إلا وجهه. ويشير كلام سيدي أيضا إلى أن الحق سبحانه وتعالى تجلى له في ذلك الوقت باسمه الواحد فكشف لـه من محتد العالم وبروزه من حيث ذاته كبروز الموج من البحر فشهد ظهوره سبحانه في تعدد المخلوقات بحكم واحديته فعند ذلك اندك جبلـه وضعف كليمه وذهبت كثرته في وحدة الواحد سبحانه وتعالى وكانت المخلوقات كما لم تكن وبقي الحق كما لم يزل فقال أنا مـن نـور وجهه.

(٢) العقد النبوي (٣٠٢/١) وفيه التفسير بالحروف والأسماء فمن ذلك قوله في الفقيه (استحال نون والنون ينقسم إلى ثلاثة أحرف وهـو الـواو ونونان ونقطة فوقهما فصار له ثلاث نشأت النشأة الأولى تعيينه والثانية تطهيره والثالثة تصويره وفيه أيضا اعلم أن للشيخ في تلك الغيبة ظهور وبطون فمن حيث ظهوره هو مطالعته إلى اسمه الظاهر ومن حيث بطونه هو مطالعته لاسم الباطن والشيخ مطالع لحرف الواو وحرف الـواو إشارة إلى قوله هو الأول والآخر فتكلم وهو مطالع الأول.

(٣) الجوهر الشفاف (٩٢/١) - العقد النبوي (٢٩٤/١) - الغرر (ص:٣٦٩) - شرح العينية (ص:٦٣) - المشرع الروي (٩/٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣٦/١) وقد شرح هذه الشطحة شيخ بن عبدالله العيدروس في السلسلة بما يتفق مع ذلك فقال: أما قول سـيدي الفقيـه المقدم أنا الله فقد قال جماعة من أهل الله مثل هذا المعنى كقول أحدهم سبحاني ما أعظم شأني وكقول الآخر ما في الجبـة إلا الله وأشـار إلى

ومن هنا ندرك السر في تشبيه صاحب الجوهر الشفاف الفقيه المقدم بأنه (أبو يزيد عصره وحلاج وقته ودهره)[1].

٣ - الدلالة على الوصول إلى مقام الجمع حيث عبر بقوله أنا الله بصيغة الإقرار، وأنه قد جاوز الأحوال والمقامات على حد تعبير أحمد بن زين الحبشي في شرح العينية، وقد سبق أن ذكر الباعث على قول الفقيه المقدم أنا الله عند صاحب السلسلة القدوسية لأنه كان في جمع الجمع وقد زادها شرحا بأ ا تشير إلى محق الاثنين وثبوت الواحد! قال: وهذا حال من فنيت أنانيته في أنانية الحق، وذهبت هويته، وأخذ منه، وسلب عن نفسه، وتلاشت أوصاف حدثه لما ظهر في سلطان قدمه، فكان الحدث كأن لم يكن، وكان القدر كأن يزل، وتلاشت ناسوتيته في لاهوتيته، فنظر فلم ير إلا هو فقال أنا هو!!![2].

وهذا الذي يتسق مع المقام الذي يدعونه بالجمع، ويصور الحالة التي انتهى إليها السالك، لا كما حرف أبو بكر العدني المشهور الكلام عن مواضعه، حين طالعنا بتأويل أبتر، وزعم أن الصيغة الواردة إنما هي صيغة استنكار[3] وهذا الفهم يخالف ما ورد في أمهات كتب الصوفية التي هي نفسها مصدره في الأخذ لا في الفهم - كالمشرع والجوهر وشرح العينية - التي تدل على كو ا نتيجة للوصول إلى الفناء والإتحاد، ولذلك كان محمد بن أبي بكر باعباد - مريد الفقيه - إذا حدث ذه الحكاية وبلغ نعم أنا الله، رفع صوته حسب ما يقدر عليه وقال حاكيا نعم أنا الله[4]. وعليه فاللفظة عند صوفية حضرموت منقبة يكابدون من أجل الوصول إلى مقامها وليس كما أراد المشهور أن ي هم بغية الت ل إلى روح العصر.

رام نفعا فضر من غير فصد ومن البر ما يكون عقوقاً

الثانية: قول الفقيه: ما لي حاجة إلى محمد ومحمده. وقد انتقد هذه العبارة جماعة من الصالحين على حد قول الخطيب في الجوهر، وقالوا أن قائلها ضعيف الحال أو عديمه. فلما بلغ هذا الكلام عبدالله بن محمد باعباد - مريد الشيخ - قال اشهدوا عني أن الفقيه محمد بن علي ما تمر عليه ساعة وهو برئ من السكر وما قال هذا إلا وهو في حالة السكر[5] ولنا معها وقفتان إحداهما: ما أ مه الخطيب من اسم السائل وكذا المسؤول فقد جاء مصرحا م في تحفة الزمن للأهدل[6] وأن السائل هو محمد بن السلطان عبدالله بن راشد وقد أجابه

قميص كان لابسه وكقول الآخر الله تحت قدمي وكقول القائل أنا من أهوى ومن أهوى أنا وكقول الآخر أنا الحق. وهذه الكلمـات الـتي وردت عنهم رضي الله عنهم وما شاكلها وماثلها القول فيها واحد لأ ا من أهل سبيل واحد ومقصد واحد وإن اختلفت ثمارهـا وتنوعـت أزهارها لكنها تسقى بماء واحد (٤٥٤/٢).

(١) (ص:٨٠).

(٢) (ص:٤٥٥).

(٣) الأستاذ الأعظم ضمن سلسلة أعلام حضرموت (ص:٧٠).

(٤) انظر الجوهر الشفاف (٩٢/١).

(٥) الجوهر الشفاف (٩٤/١) والمشرع الروي (٩/٢).

(٦) (ص:٤٣٧/٢).

باطحن وبافضل بما سبق ذكره مما يدل على قدم الإنكار على الصوفية وشطحا م. والثاني أن هذه العبارة تتفق وقول أبي يزيد المشهور عنه: خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله وكذا قول ابن عربي (معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه)[1] ومهما أول الصوفية ذاك أول صوفية حضرموت هذه اللفظة بما يتفق طبعا مع المقام لا كما نقله الخطيب في الجوهر عن بعض العارفين: أنه كان فيما مضى شيخان كبيران اسم أحدهما محمد والآخر محمده وقد جرى ذكرهما عند الشيخ فقال ما قال.

محمد بن علي مولى الدويله:

وهو ممن تكلم بلسان الجمعية وقد استشهد عيدروس بن عمر الحبشي في عقد اليواقيت بقوله.

الحب حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قبل كل مجيبي

نوديت فأجبت المنادي مسرعا وغطست في بحر الهوى وغدا بي

لي تسعة وثلاثة مع تسعة والعقد لي وحدي وعاد نصيبي

ما تعلموا أني المقدم في الورى ليلة سري باليثربي سري بي[2]

انتهى ما أورده في عقد اليواقيت من الأبيات التي لم يذكر قصتها ونحن نسوقها من الجوهر والمشرع وشرح العينية ومفادها أن محمدا بن علي تواجد مرة بحضور عمه عبدالله باعلوي فلما سكن أقيمت الصلاة فصلى من غير وضوء! فلما أُنكر عليه قال: وعزة المعبود إني شربت وتوضأت على الكوثر!! ثم حرك لحيته فتقاطرت ماء، وقال: نزل علينا شئ من العظمة لو نزل على الجبال لجعلها سمادا!! ثم أنشأ يقول الحب حبي....[3].

وهذه القصة مع أبيا ا عبارة عن شطحات ودعاوى ناتجة عن مقام الجمع كما يزعمون الذي وصل إليه مولى الدويلة حين دعي إلى بحر المحبة فأجاب سابقا غيره، وغرق في لجته منفردا تلك المدة المحددة، والبيت الأخير أشكل معناه على أبي بكر العدني المشهور فادعى أن تأويله يقتضي أن المذكور، كان بمعية جده ليلة الإسراء في عالم المصاحبة، لأنه في ظهره[4]. أقول ومقام الجمع عند الصوفية لا يفيض بمثل هذه المسلمات التي يشترك فيها من جاوز المقامات عندهم حتى شرب من الكوثر بكل أحد من آل البيت، فقد أبان المشهور عن عجزه في فهم المراد! والبيت يحتمل تفسيرين أحدهما: فناؤه في النبي ومشاركته له في الإسراء على نحو قول ابن الفارض في تائيته.

---

(١) الإنسان الكامل للكيلاني عن الفتوحات المكية بإسناده (ص:١٢٤/١).

(٢) عقد اليواقيت لعيدروس بن عمر الحبشي (٧/١).

(٣) الجوهر الشفاف (١٥٣/١) - المشرع الروي (٢١١/١) - شرح العينية ترجمة مولى الدويلة.

(٤) سلسلة أعلام حضرموت ترجمة مولى الدويلة (ص:٢٣).

ولي عن مفيض الجمع عند سلامه علي بأو أدنى إشارة نسبة[١].

والثاني التشبه بما ورد في الفيوضات الربانية مما نسب إلى الجيلاني بقوله:

أنا كنت في العليا بنور محمد وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة.

وقوله وسري في العليا بنور محمد فكنا بسر الله قبل النبوة.

ويمكن أن نحمله على تفسير ثالث نقل عن أحمد بن حسن العطاس كما في تنوير الأغلاس قول ابن عربي: أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وأرواح أولياء الأمة المحمدية حافة بجسده الشريف.[٢] وسيأتي النقل عن تاج الأعراس أن هذا القول من دائرة عروج الأولياء بأرواحهم في محله إن شاء الله.

عبدالله بن أبي بكر العيدروس:

وهو ممن تكلم بلسان الجمعية كما في عقد اليواقيت بقوله (والله إن الله أعطاني ثلاثة أشياء: الأول - قدمي اليمنى دعست على رقبة كل ولي لله تعالى في جميع الأزمان من غير مبالاة! والثاني: أهل الرئاسة كلهم تحت القدم من شرقها إلى غر ا! والثالث: كل طالب رئاسة أو غيرها أو طالب دين إذا خالف لا يرجى له خير أصلا، والله إن بي المبشرات في السموات من قبل مولدي بعشرين سنة! والله إني أعطيت عطية ما أعطيها أحد من قبلي ولا يعطاها أحد في زماني ولا يعطاها أحد من بعدي!!)[٣] انتهى ما ذكر في العقد من شطحات ناتجة عن مقام الفناء ستأتي الإشارة إلى الأولى منها في التشابه بين كرامات المتقدمين والمتأخرين، ومن شطحاته أيضا ما ذكره باسودان في فيض الأسرار بقوله:

(لو أردت أن أنظر إلى مشارق الأرض ومغار ا من حلقة خاتمي هذا أو أن أدخل في وسط كل حضرة لفعلت! وما يخفى علي باطن من الخلق وديارهم وما يجتمع اثنان إلا وأنا ثالثهم! ومن اعتقد جسمانيتي وروحانيتي واستغاث ما في شدة أن لم حضر وإلا علي اللوم!)[٤].

ومنها أيضا ما ورد عن قدرته التي بينت في مقام الجمع عند صاحب العرف العاطر في حديثه عن مقام التصريف للقدرة قال العيدروس عن ربه أنه قال له (افعل ما شئت فقد غفرت لك) قال المؤلف معلقا(لأنك موضوع عنك وزرك وثقل وجودك ومحو عنك وهم أنيتك)[٥].

---

(١) قال شراحه (أنه فني في النبي ثم بقي به حصة بمشاركته في قبول عين السلام من حيث عين ذاك المقام وهو مقام أو أدنى فإنه جل أن يطلع عليه إلا واحد بعد واحد فالواحد السابق هو صلى الله عليه وسلم والواحد اللاحق هو ابن الفارض من جهة غرقه في لجيته) انظر مصرع التصوف (٢٥٠).

(٢) (ص:٣٦٨/٢) في توضيح عبارة خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله وأ ا من بحر الحقيقة المحمدية.

(٣) عقد اليواقيت (٧/١).

(٤) (ص:٢٠٨/٢) والجملة الأولى أثبتها صاحب السلسلة القدوسية (٢١٦/١) وكذا الأخيرة بلفظ من استغاث بي ولم أحضر (٢٦٩/١).

(٥) العرف العاطر تأليف عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس (ص:١٢١).

والكلام واضح في التأثر بالتصوف الفلسفي إلا إن كان هناك خبيئة عندهم، فمعنى هذا أنه ليس لنا عقول!!!.

شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن:

وهو ممن تكلم بلسان الجمعية كما في عقد اليواقيت وساق لنا من شطحاته قوله:

ولي الخلائق والحقائق والرقائق والحقائق والخلائق تخضع

ولي السموات العلا والحكم في كل الملا ولي الخلائق رع

ولي المساجد والمعابد والمعاهد والمشاهد والفضا والبلقع

ولي المقامات العلا وأنا لأصناف الملا يوم القيامة أشفع(١)

ومما سقط عند صاحب عقد اليواقيت قوله:

إني سريع الغوث في كل الشدائد فاهتف باسمي تجدني أسرع.

قل يا شهاب الدين إن يعروك خطب يا فطن فأنا لخطبك أدفع(٢).

وهذه دعاوى عريضة وإمعان في الشطح وإيغالا إلى حد بعيد حيث خلع على نفسه من صفات الربوبية ملك السموات ومن صفات الألوهية توجه العباد إليه وقضاء حوائجهم.

أبو بكر بن سالم:

وهو ممن تكلم بلسان الجمعية وأورد له صاحب عقد اليواقيت مطلع الهائية المنسوبة إليه وهو (صفت لي حميا خلي واسقيت من صافيها) ونحن نزيد عليه من الديوان أبياتا منها.

من ذا شر ا قبلي أنا قبل لا يصفيها

أنا قبل قبل القبل وبديت على هاليها

أنا ا تبى بين أهلي وشفعت في عاصيها

أنا حتف لأهل العذل ونار الجحيم أطفيها

---

(١) عقد اليواقيت (٧/١).

(٢) المنهل العجيب الصاف (ص:١٧٧) - مطلب الراغبين في فضائل شهاب الدين (ص:٤٧) قلت: ولا يفيد صنيع الحبشي شيئا من حذفه هذين البيتين لأن القصيدة برمتها توضح ظاهرة الشطح الصوفي والتحقق بصفات الربوبية التي تعد إجابة المستغيث إحدى مفردا ا فـلا داعـي أن يتوارى من ذكرهما ولا يبعد عندي أن القصيدة هي المقصودة بقول علي بن محمد الحبشي حين زار قبر ابن شهاب فناده بردت كبـدي لمـا تحدثت بالنعمة كما في مجموع ابن شهاب.

أنا بازها والشهب أنا للمثاني أفريها

وعين الحقيقة عيني وأشرب من ساقيها

أنا عرشها والكرسي أنا للسماء بانيها

فهذه رسالة تنبي بنص القرآن أتليها

وأشكر لنعمة ربي ولكن لا أحصيها

وهي قصيدة ركيكة من حيث المبنى لكنها من حيث المعنى تطفح بوحدة الوجود، وذلك مثل قوله: أنا العرش أنا الكرسي: ولعله في ذلك يتشبه بما نسبه هو نفسه في كتابه معارج الأرواح - في موضعين منه - إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه! أنه قال أنا الكرسي، أنا اللوح في أثناء خطبة. ثم قال أبو بكر بن سالم معلقا على هذا: إلى أن صحا وارتفع عنه تجلي الوحدة! ورجع إلى عالم البشرية! وتجلى له الحق بحكم الكثرة! فشرع معتذرا، وأقر بعبوديته وضعفه وانكساره!![1].

وأما قوله أنا الباز أنا الشهب فقد ورد هذان الوصفان فيما ينسب للجيلاني في الفيوضات الربانية من قوله (أنا البازي أشهب كل شيخ) وكذا وقوله (أنا كنت قبل القبل قطبا مبجلا) فلعله من هذا الجنس وغيره مما سنعرض له في تشابه الكرامات كما سيأتي. الرد على من زعم تلك الخطبة على الإمام علي رضي الله عنه وهذا الذي يتفق مع حقيقة الفناء وقد تم تأويل هذه الأبيات بما لا يتفق مع الغاية حيث فسر أن المقصود بالعرش عرش المحبة وكرسيها وباني سماء المحبة كما في أغلى الجواهر[2].

قلت: وما ذكره من خطبة الإمام علي نقلها أبو الهدى الصيادي الرفاعي كما في قلادة الجواهر وهي كذب عن علي بن أبي طالب كما أفاده عبدالله بن عمر بامخرمه[3].

وأشار القيصري في شرح التائية إلى ما يقترب من ذلك في قول نسبه لسيدنا علي (أنا النقطة من الباء بسم الله، وأنا السموات السبع والأرضون السبع، وأنا العرش، والكرسي وأنا جنب الله الذي فرطتم فيه). وقد أجاب عبدالله بن عمر بامخرمه في الفتاوى العدنية حين سئل عن قول القيصري: بأن هذا المروي عن سيدنا علي رضي الله عنه كذب موضوع عليه، وقد كان للشيعة والرافضة غلو عظيم، وعقائد فاسدة ردية.... وإنما استشهد بذلك القيصري في شرح التائية! الموافقة لعقيد م الكفرية الفاسدة الحالية وهي قولهم بوحدة الوجود، وأن الله عز وجل تعالى عن قولهم هو الوجود لا غيره، وأنه عين الموجودات كلها من أفلاك وسموات وأجاب

---

(١) معارج الأرواح (ص:١٦٧).

(٢) (ص:١٣٢) وفي تنوير الأغلاس عن أحمد بن حسن العطاس أ ا من فوق (٣٤١/٢-٣٨٢).

(٣) ونص كلامه (بلغنا عن أن الإمام علي رضي الله عنه كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد: أنا نقطة بسم الله الرحمن الرحيم أنا جنب الله الذي فرطتم فيه وأنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا السموات السبع والأرضون فإذا صحا وارتفع عنه تجلي الوحدة في أثناء خطبته يعتذر ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية) (ص:١١٢).

عن بعض الإشكالات التي ترد على ذلك[1].

خلاصة الحديث: إن مرحلة الجمع التي ينتهي إليها سفر الصوفية حين يشتد القرب، هي مزلة أقدام، ومضلة أفهام حين يخيل من سكره أنه يتخلق بجميع بالأسماء والصفات الإلهية، ويكون على صفته كما قيل، وهنا تطيش العبارات، وتفنى الإشارات، وتبرز ظاهرة الشطح التي يعبر ا السكران عن حاله في محوه ويبين المصطلم هويته في غيبته، ويرى أن له نصيب من صفة الحياة، والعلم، والسمع، والملك، والشفاعة، وإجابة المضطر وغيرها.

وفي قصة الفقيه المقدم حين غاب فقيره باخريصه وظن أهله أنه مات فقال نظرت إلى الجنة قصرا، قصرا، فلم أره فيها ولا يدخل فقير لي النار - والقصة ستأتي في الخصائص برمتها - قال شيخ بن عبدالله معلقا: وهذا دليل أن سيدي الشيخ الفقيه محمد بن علي رضي الله عنه تجلى له الله تعالى بالصفة العلمية فعلم العوالم بأجمعها على ما هي عليه!! أو لأنه كان مراعيا لما لله عليه، قالوا ومن كان ذه الحالة لا يحدث الله تعالى حادثة حتى يعلمه بذلك مع زيادة الكشف عن العاقبة فلما لم يعلم بذلك أنكره!![2].

وقد ورد في تفسير قول الفقيه ما أنا عليها. أنه مقام تضمحل فيه رسوم الخيالات وتنطمس البدايات في النهايات وهو سر قوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى.. فعلمت أن حقيقة الإنسان الكامل قد استقامت على الحياة في الآن والمستقبل دون الماضي)[3].

ومن ذلك قال أبو بكر العيدروس العدني.

شربت كأسا من المعاني عاينت فيه بلا عياني.

فهمت منها العلوم شتى وهمت في حب من دعاني.

ومت فيها وعدت حيا وكل حي سواه فاني.

قال سعيد بن عبد الرحمن بابقي في شرحه للقصيدة: (بلا عياني) لأن حقائق العلوم وأسرارها الغيبية لا

---

(١) من ذلك عندما يرد عليه ما علاقة الفاني كونه الأرض مثلا فأجاب: وجهه أنه إذا كان عندهم الإنسان عين الحـق تعـالى وأن الحـق عـين الموجودات التي منها العرش والكرسي والسموات والأرضون وغيرها لزم أن يكون الإنسان عين العرش والكرسي والسموات وأنه جنـب الله الذي فرطتم فيه وأجاب فيمن يرد أن غير سيدنا علي كهو في ذلك حتى يصح في كل إنسان بل وفي الدواب والحشرات يقال فيها أ ا عـين العرش والكرسي والسموات وأ ا جنب الله الذي فرطتم فيه فأجاب: قلت هم لا يبالون ذا الإيراد ولا يحترزون عنه بدليل صنيع ابن الفارض في كثير من أبيات القصيدة التي شرحها القيصري. ثم ذكر الأبيات التي يدعي فيها أنه عين العشاق قلت: وما أشار إليه بامخرمـه مـن قـول الرافضة جاء صريحا في بحار الأنوار للمجلسي منسوبا لعلي(أنا علم الله أنا القلب الواعي ولسان الله الناطق وعين الله الناظرة وأنا جنب الله ويد الله) (٢) (١٩٨/٤) وجاء في رجال الكشي قوله (أنا وجه الله أنا جنب الله أنا الأول وأنا الآخر) (٢١١) وكذلك الخطبة التي ذكرها بـدوي في شطحات الصوفية منسوبة للإمام علي (أنا سر الأسرار أنا شجرة الأنوار أنا سائق الرعد أنا جنة الغزاة أنا كاسي العراة) (ص:٤٧).

(٢) السلسلة القدوسية (٤٠٧/٢).

(٣) السلسلة القدوسية (٤٢٩/٢).

تنكشف إلا بتنوير القلوب، وهي علوم ذوقية لا يسعها التأويل، فمن تأدب باسم الله الرحماني، وتخلق منها بالمعاني، واطلع على أسرارها، وفهم معانيها فكل اسم من أسمائه تعالى ينبي عن صفة من صفاته، فله بكل صفة من صفاته أثر من آثار الربوبية في خلقه أ هـ قال باسودان معلقا: فافهم المعنى من آخر العبارة![1].

- ومن صفة الكلام حيث القدرة على النطق بالقرآن في كلمة أو ما يسمى عند الصوفية بالطي فقد ورد في فيض الأسرار: أن أبا بكر العدني قرأ سبعين ألف ختمة في يوم واحد! وقال أيضا: ونقل عنه بعض العارفين جمع لي القرآن كله في كلمة واحدة فنطقت به بلفظة واحدة! وقد علق باسودان بقوله: وهذه الصفة كانت لهم أثرا من آثار صفة كلام الحق القديم سبحانه[2].

ومن تأمل تائية ابن الفارض التي تطفح بالوحدة يجد التخلق بالصفات الألهية بادية رأي العين لا تخفى على القارئ مثال:

فلا حي إلا عن حياتي حياته وطوع مرادي كل نفس مريدة.

وأسمع أصوات الدعاة وسائر اللغات دون مقدار لمحة.

وأتلو علوم العالمين بلفظة وأجلو علوم العالمين بلحظة.

وأستعرض الآفاق عني بخطوة وأخترق السبع السموات بخطوة.

ومني لو قامت بميت لطيفة لردت إليه نفسه وأعيدت.

وفي ساعة أو دون ذلك من تلا بمجموعه جمعي تلا ألف ختمة.

وقفة مع الشطحات:

وضع اليافعي في آخر كتابه روض الرياحين ثلاثة ضوابط للتعامل مع الشطحات هي:

- أن لانسلم نسبتها إليهم حتى تصح.

- بعد الصحة يلتمس لها تأويل يوافق أهل الظاهر، فإن لم يوجد تأويل قيل لعل لها تأويلا في الباطن يعرفه أهل الباطن العارفون ويذكر عند ذلك قصة موسى والخضر.

- أن يكون صدر عنهم في حالة سكر وغيبة والسكران غير مكلف في ذلك الحال.[3].

---

(١) فيض الأسرار (٢/٢٣٥).

(٢) فيض الأسرار (٢/٢٣٤) وانظر تنوير الأغلاس (١/٤٠١) ومما يدخل في السياق ما ورد عن علي بن محمد الحبشي وهو يعلق على تـصريف عبد العزيز الدباغ الذي يصل حتى الجنان والحور وقوله إن كنت تعتقد أن الهر في جميع الأقطار يأكل الفأر بغير إذني فما أحسنت الأدب معي قال الحبشي في كنوز السعادة انظر إلى هذا الفناء العظيم (١٢٨).

(٣) ظهور الحقائق (٢٥٣).

وما ذكره من تحري الصحة صحيح ونحن لا نملك وثائق في نقلها إلا مصادر الطريقة فالتبعة تكون على أولئك الناقلين ثم تحري ذلك في الحديث عن سيرة معينة أما إذا كانت المناقشة لفكر فيكفي مجرد ورودها لأن العبرة حينئذ هو أثرها المترتب على ذكرها. وأما التأويل فإنه يبغي أن يكون في إطار الفكر الصوفي ولا يصح تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن وأما كو ا صادرة عن حالة سكر فهذا ليس تفسير يتيم بل هناك تفسيرات في إيرادها نذكرها قريبا منها الإذن والتحدث بالنعمة.

تفسير الشطحات عند صوفية حضرموت:

لقد كثرت الشطحات لدى صوفية حضرموت كثرة مفرطة حيث يرقق بعضها بعضا وتظهر الدعاوى العريضة حين يحصل الصوفي على اكتشاف السر الذي غاب عن المحجوبين في نظرهم وشأن الأسرار الكتمان لا سيما إذا كان السر يتعلق بالربوبية فإن إفشاءه كفر كما قال الغزالي فإن باح به برعونة تلك الشطحات فالتأويل أحد ثلاثة أمور:

- **الغلبة:** وذلك أن من شرب من كأس المحبة ووصل إلى اكتشاف السر العظيم عندما يكون الفناء قد بلغ غايته واشتد به السكر فهنا نجده يبوح بالأسرار لغلبة السكر وليس هذا بمذمة في حقه غير أنه يعرض نفسه للملامة بل وللتلف أيضا في نظر المحجوبين فهو بين نارين لا بديل عنهما فإما أن يجيب الداعي حين يناديه فيسكر ويتهتك بعد ذلك وإما أن لا يجيبه وهذا كفر في مذهبه فالحداد يرى أن الصوفية (صادقون في الشطحات بالنسبة إليهم ومعذورون لما غلب عليهم وقام م من الأمر الإلهي الذي لا يطاق ولا يستطاع منعه إلا أن يقول القائل ما قال وقد ذكر أيضا أن من أحسن وجوه تأويل كلام ابن الفارض الذي يوهم تفضيل نفسه على سائر الأنبياء أن يحمل على الغلبة والاستغراق وسقوط التمييز وخروج الأمر عن الاختيار المنوط به التكليف)[1].

وقال في الديوان:

وإن الذي أبدى من القوم ما سبيله الستر مغلوب بحال **قوية**

يفارقه التمييز عند ورودها عليه وإن أخطا فليس بمعنت

وكم من قريب بعدته عبارة عن الفهم فاستمسك بحبل **الشريعة**

وسلم لأهل الله في **كل مشكل لديك لديهم واضح بالأدلة**

- **الإذن:** وهو تفسير يرى أن الصوفي الواصل إلى مقام الفناء الذي يفيض بالشطحات قد أذن له إباحة تلك الأسرار ليعلم حاله عند مريد فيتشوق إليه أو ليعرف الناس مقامه ومكانته قال الحداد (وأما من أورد من الصوفية في كتبه أطرافا من هذا العلم كالحاتمي (ابن عربي) والكيلاني (عبد الكريم) ومن نحا نحوهما على الغلبة

---

(١) النفائس العلوية (ص:١٤٩).

والمغلوب معذور أو على الإذن والمأذون له مأمور يجب عليه الامتثال[1].

التحدث بالنعمة كما ورد ذلك في آخر هائية أبي بكر بن سالم.

فهذه رسالة تنبي بنص القرآن اتليها.

وأشكر نعمة ربي ولكن لا أحصيها.

ثم رأيت باسودان قد جمع هذه الأسباب في فيض الأسرار بأن نَفَس الصوفية في ذلك (عن إذن أو عن غلبة أو من قبيل التحدث بالنعمة)[2].

رابعا - مقام البقاء:

يعد مقام البقاء الذي يذكر بعد مقام الفناء لدى الصوفية عموما، أجل المقامين وأشرفهما كما يعد أيضا من المسائل المعقدة وهو أصل لفروع كثيرة منها الصحو بعد المحو، والقطبانية، والحقيقة المحمدية - وسنذكر كل واحد بما يناسبه ـ أو هو مقام الخلافة والإنسان الكامل، قد عبر عنه عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه (ت:١١٧٣) بنظمه ونثره فقال عنه:

ويعود منعكسا به نور الهدى بين الورى للحق منه مجالي.

فتراه خلقا وهو حق جامع امع الإفضال ولإنزال.

ويكون كالمشكاة والمصباح والزيت الذي بزجاجة يتلالىء.

رق الزجاج ورق ما في جوفه فنشأ ا فتشاكلا في الحال.

وشرح هذه الأبيات الأربعة بقوله: (أي أن هذا العبد صار فانيا في الله، وعاد باقيا بالله، لا يحجبه الخلق، ولا يدهشه الحق عن الخلق، صار كالقمر المنير يتلقى أنوار الشمس، وينعكس على العالم فتشرق به أنوار الحق

---

(١) إتحاف السائل (ص:٢١).

(٢) (ص:١٤٢/١) وقد جسد عمر بامخرمه المعادلة الصعبة في عدم القدرة على كتم السر:

بعد إجابة الدعي يا علي باح

في شرع الهوى دم من باح

والمحبين قالوا كتم لاسرار ذباح

وايش يلقي الذي به في الهوى مثل أجراح

إن تكلم قتل والقتل في حقه اصلاح

وان صمت فإن صمنه يلحق الموت يا صاح

وان دعوه الندامى بين خمار الأقداح

حار بين الشفا والنار راح أين ما راح

يكفر إن لم يساعدهم على شرب لاقداح

وإن يساعد بسف الراح فالشرب فضاح

في الخلق، فله فيهم منه مجلي على أشرف التقديس والت يه في جميع المعالي، فتراه أنشأه خلقا سويا، وهو حق قد غمره نوره الحق، وصارت بشريته مطوية في نورانية خصوصيته!! كما البدر بنور الشمس عن ظلمانيته فهو عبدالله الجامع لجميع الأسماء والصفات يعبد الله بجميع الأطوار في الهيئات....فإذا تأملت عبدية هذا العبد وجد ا تلاشت في عنديته كما قال الشاعر.

رق الزجاج ورقت الخمر فتشكلا فتشابه الأمر.

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر.

وإياك يا من قلبه عليل، وفهمه كليل، أن تظن في أهل الرشاد والإرشاد، ظنون أهل الإلحاد الإتحاد، وقد مر لك التمثيل بالقمر وتلقيه نور الشمس من غير اتصال ولا اتحاد)(١) والآن نأتي إلى فروع مقام البقاء وهي:

- الصحو بعد المحو:

بعد أن ينتهي الصوفي من سفره إلى مقام الجمع ويغيب عن فنائه ثم يعود بعد ذلك إلى التمييز ورؤية نفسه وكذا الأشياء من حوله وهو ما يسمى الفرق ولكنه قطعا ليس الفرق الأول الذي يكون صاحبه فيه محجوبا بالخلق عن الحق فحاشا الصوفي عندهم أن يقطع العقبات ويتجاوز المقامات ليعود إلى سيرته الأولى بل ي ل مقام البقاء أو الفرق الثاني وهو الجمع في التفرقة ويكون واسطة بين الخلق والحق فيقوم بدعوة الناس وإرشادهم قال الحداد: والعارفون يشتاقون إلى الجمع والحق ينقلهم عنه لطفا م وليقوموا بالتكاليف ولئلا تضمحل أجسامهم وتتلاشى عظامهم...وقال أيضا وذلك المقام الذي ينقل الحق إليه منهم من أراد أن ينفع العباد به أكمل وأشرف وهو مقام البقاء ومنه يرجع العارف إلى الخلق فيدعوهم إلى الله تعالى ويتخلق بأخلاقهم تكلفا لتقع المناسبة بينهم وبينه فيستجيبون له ولا يتأهل للمشيخة والدعوة إلى الله من لم يصل إلى حال الفناء والبقاء(٢) فالبقاء إذا عندهم أجل وأرفع م لة من الفناء وهو م لة الرسالة في حق المرسلين المشار إليه بقوله علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل وقول ابن الفارض.

وجاء بأسرار الجميع مفيضها علينا لهم ختما على حين فترة.

فعالمنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسلية(٣).

ويشير الاستدلال بالبيتين أن المقام بم لة الرسالة في حق الرسل وقد بين هذه النقطة عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس في التحفة المدنية حين ينتهي سفر الصوفي إلى الفناء ويفنى عن فنائه وهو منتهى فناء السائرين وهو الفناء المحض فقال (ومن هنا يرجع إلى عالم البقاء المعبر عنه بالفرق الثاني، والصحو بعد المحو،

---

(١) رفع الأستار لبلفقيه القصيدة وكذا شرحها.

(٢) النفائس العلوية (ص:١١) إتحاف السائل بجواب المسائل (ص:٨٢).

(٣) (ص:٥٦) وما أشار إليه من حديث (علماء أمتي) فإنه لا أصل له باتفاق العلماء انظر السلسلة الضعيفة للألباني (ص:٤٦٦) غير أن الصوفية قد صححوه بالكشف كما سيأتي في موضعه..

والفرق بعد الجمع، وعين البقاء، وجمع الجمع، وشهود الوحدة في الكثرة..وصاحب هذا المقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق فيعطي كل ذي حق حقه فهناك ثلاثة:

- من شهد الظاهر فقط وفني به عن المظهر فلم يشهده فهو صاحب الجمع والاضمحلال في الذات والفناء وهي الم لة المعبر عنها بالولاية.

- من شهد المظهر فقط وفني عنه بالظاهر فلم يشهده وهذا صاحب الفرق الأول.

- وأما من شهدهما جميعا فهو لم يحجبه حق عن الخلق ولا خلق عن الحق وهذه الم لة المعبر عنها بالنبوة في النبي والبقاء في الولي فصاحب هذا المقام له من كل المقامات واردات وفي كل الحضرات مشاهدات ومن كل الأسماء عليه تجليات فتارة يتكلم باسم الحقيقة مع الاستهلاك الصرف، وتارة بلسان الصحو الثاني صرفا أو مع شئ من السكر وهو الذي يصلح للإرشاد لأن هذا مقام إرشاد المريدين وهذا المقام في الولاية بم لة الرسالة في حق المرسلين وهذا المقام المشار إليه مع مقام الولاية بقول سلطان العاشقين ابن الفرض وجاء بأسرار الجميع مفيضها علينا لهم ختما على حين فترة.

فعالمنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قام بالرسلية[1].

وربما بالغ بعضهم متأثرا بابن عربي فجعل الولاية أكبر حيطة من النبوة قال أبو بكر بن سالم (والولي اسم من الله تعالى دون النبي وكانت الولاية أكبر حيطة من النبوة وباطنا لها فشملت الأنبياء والأولياء فالأنبياء أولياء فانون في الحق باقون به منبئون عن الغيب وأسراره وهذا مقام ليس للعلم فيه مدخل ولا مجال... ومراتب الأولياء غير متناهية لكمال الولاية) 55 وقال أيضا (وانقطع ظاهر النبوة بالوحي وبقي باطنها وسرت منها علوم لدنية ما للفظ فيها مجال ولا مدخل)[2] ونلمح من هذا التقرير الأخير ثلاثة أمور:

أولاً: أن الولي من أسماء الله وبالتالي فمن تسمى به حصل على أثر الاسم دون لقب النبي.

ثانياً: أن الولي يعلم الظاهر والباطن ويحوز على العلوم اللدنية بلا واسطة.

ثالثاً: أن الولاية غير محددة بزمان فهي لا تنقطع خلافا للنبوة.

وهكذا فمقام البقاء عبارة عن إرشاد المريدين ودعوة الناس ويكون الصوفي واسطة بين الخلق والحق كما قال ابن عربي (واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة....) وقال الكيلاني في الإنسان الكامل (إن نبوة الولاية إرجاع الحق العبد إلى الخلق ليقوم بأمورهم فمن دعا بعد كان خليفة ولكنه لا يستقل في دعوته بل هو تابع لمحمد مثل أبي يزيد والجنيد والجيلاني وابن

---

(١) (ص:٦).

(٢) معارج الأرواح (ص:٨-١٧١).

عربي....)[1].

وصاغ ابن الفارض ما اتفقت عليه عبارات الاستدلال السابقة فقال:

وجاء بأسرار الجميع مفيضها علينا لهم حتما على حيز فترة.

فعالمنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق من قام بالرسلية.

مصطلح القطب:

ويعبر عنه بمقام القطبية أيضا، ومفهوم القطب لدى الصوفية بحضرموت لا يختلف عن غيره لدى الطرق الأخرى حيث جاء بمعنيين أحدهما القطب القديم وهو بمعنى الحق كما هو عند أهل الوحدة في كلام الشيخ أبي بكر بن سالم في معارج الأرواح: والقطب الذي عليه مدار أحكام العالم مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم وخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء وهو الخاتم للولاية المطلقة فنفى عنها الإشكال وهو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية..

وقال أيضا: فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم هو دائرة الوجود الأزلي فله حكم الوحدة وهو الوحدة المحمدية....[2].

وأما القطب الحادث فإنه على درجات تضمنتها دولة الباطن التي تتحكم في شؤون الناس ويسوسها الديوان الصوفي الذي يحكم العالم ويتكون الديوان مما يلي:

أولا القطب الغوث:

قال الحاد (وأما القطب الغوث فليس إلا واحدا في كل زمان وهو الفرد الجامع ويدعى عند القوم بالخليفة وبالإنسان الكامل وينعت بصاحب الصديقية الكبرى والولاية العظمى[3].

عرفه باسودان في مطالع الأنوار بأن الغوث هو القطب الفرد الجامع الذي جمع أهل الدوائر من تحته إلا الأفراد على قول، والأقطاب جمع قطب وهو غير الغوث فيقال قطب الأحوال وقطب المقامات ثم يأتي الأبدال والنجباء والنقباء والعرفاء.

ويرى أن الأولياء في عالم الشهادة وهو عالم الملك - من أعلى السماوات إلى تخوم الأرضين - أعلاهم والخليفة عليهم القطب الجامع، والأولياء هم القادة الذين م حفظ الله السموات والأرض.[4].

قال الإمام الحداد في بعض قصائده موضحا هذه المسألة:

---

(١) الإنسان الكامل (١٣٣/٢).

(٢) (ص:٤٦-٥٦).

(٣) النفائس العلوية (ص:١٩).

(٤) (ص:٣٤٦).

لولاهم بين الأنام لدكدت جبال وأرض لارتكاب الخطيئة.

علامته:

القطب الغوث علامته الباطنة: أن يكون كله مع الله تعالى في جميع أحواله ولا يتغير بتغير الحوادث ولا يشغله الخلق عن ذكر الله، ومن علامته الظاهرة: أن تجري على يديه الأمور العظيمة الخارقة للعادة فهو يحي الموتى بإذن الله!! ويقول للشيء كن فيكون بإذن الله!! وهذا هو عين الخلافة المعبر، عنها بقوله تعالى: فبي يسمع وبي يبصر، وأما يجري على يد من هو دون أهل هذا المقام فليس بتصرف تمكين وإنما هو كرامة أكرمه الله ا لتقوية يقينه وثباته في الدين وهو ما أجاب به عبدالله بن أبي بكر العلوي - لعله العيدروس - كما قال الحداد و ـذا يتضح قولهم فلان أعطي كلمة كن[1].

منازل الأولياء عند بحرق:

ويحدد الشيخ بحرق في مواهب القدوس أن القطب هو الوارث للمقام المحمدي وقد يطلق على غير الغوث من أهل دائرته كأقطاب الجهات الأربع والأقاليم السبعة، وأن أفضل الأولياء القطب الغوث الذي به غياث عباد الله وبواسطتهم تـ ل عليهم رحمة الله، ثم الإمامان وهما كالوزيرين له، ثم الأربعة الأوتاد الحافظون لجهات الأرض أن تتزلزل عند أكثر المعاصي، ثم السبعة النجباء الحافظون للسبعة الأقاليم، ثم النقباء الأثنا عشر الحاكمون على البروج الأثني عشر، ثم الأربعون البدلاء الساعون في قضاء حوائج المسلمين...وكلهم مستمدون من القطب داخلون تحت نظره انتهى[2].

قال الإمام الحداد في بعض قصائده جامعا بين أفراد الديوان الصوفي:

فأبدالهم أوتادهم نقبائهم مع النجباء والقطب رأس العصابة.

الأفراد لا يدخلون تحت دائرة القطب:

وقد يذهب بعضهم إلى التفريق بين القطب وغيره ويرى أن الأفراد يخرجون عن ولاية القطب الغوث الذي تتحدد ولايته بالعالمين العلوي والسفلي فأما الأفراد فلا تتعلق ـم جهة فإنه قد تعانقت عندهم الأطراف وقد مر تفسير قول الفقيه المقدم ما أنا عليها أنه من الذين أفنوا الأضداد وقد سأل علي بن عمر العيدروس في المنام - كما في مطالع الأنوار - الإمام الحداد من مِن السادة آل باعلوي في مقام القطبية فقال له السيد طاهر بن محمد بن هاشم فقال والحبيب عبدالرحمن - أي خاله وشيخه - فقال مقامه فوق القطب وهذا يدل على تعلق الأفراد بالعالم العلوي والقطب بالعالم السفلي ومما يدل على أن القطب تتعلق ولايته وخلافته بالعالمين ما كتب بعض السادة آل العيدروس إلى الحبيب عبدالرحمن وهو قوله إلى وارث الأرض ومن عليها وكمالات

---

(١) ذخيرة المعاد (٢/٣٠).

(٢) (ص:٤٧).

السموات وما يليها أو ما في معناه[1].

المقام الذي يفوق القطبية والغوثية:

وقد يكون من الأولياء من هو من المطلقين غير داخل تحت دائرة القطب وعلى طريقة أحمد البدوي حين سأله مريد له فقال يا سيدي أنت القطب فقال نزه شيخك عن الغوثية وكذلك ما نسب إلى الجيلاني أنه جاوز هذه المرتبة بقوله.

كل قطب وكل فرد وغوث تحت حكمي يصغى لطيب كلامي.

درج بعض أقطاب التصوف بحضرموت فنسب إلى العيدروس الأكبر قوله والله إن الله أعطاني ثلاثة أشياء الأول قدمي الطاهر اليمنى دعست على رقبة كل ولي لله تعالى في جميع الأزمان من غير مبالاة والثاني أن أهل الرئاسة كلهم تحت القدم من شرقها إلى غر ا.. إلى آخر كلامه وقال عمر بن علي أبو علامة في الديوان.

ولا قطب إلا كان تحتي ملازما كذا الغوث والأوتاد في جمع خدمتي.

كذا الأوليا والنقبا بي لقد علوا وصاروا جميعا في فضائي وحاجتي.

وقال معروف باجمال كنت في مقام القطبية فأحببت أن أكون منفردا مع الحق فأقمت واحدا قيل أنه أحمد بن الحسين العيدروس وفي ذلك قال بامخرمه.

من هنا الدائرة دارت على اقطاب وأوتاد.

وأفرد الفرد له قبل أهلها قوم أفراد[2].

انعقاد الديوان الصوفي:

يذكر بعض متصوفة حضرموت أنه ربما حضر عقد الولاية حين تناط بالقطب عدد من الأولياء الموتى الأحياء عندهم وأحيانا يولى بحضرة الخضر ومن ذلك ما ورد في تذكير الناس من اجتماعهم في جامع حريضة برئاسة الجيلاني لتنصيب صاحب النوبة بعد وفاة أبي بكر بن عبدالله العطاس وقد عقد اجتماع آخر في قبته ورآه صاحب الرؤيا أنه قد ارتفع من قبره وفرشوا له فوق القبر قال ورأيت في الجانب البحري رجلا فسألته من هو فقال نقيب الأولياء بالمقدس والذي ظهر أن النوبة بقيت مع أبي بكر مدة بعد موته.[3].

وقد يأتي الأبدال إلى القطب عند موت أحدهم فيولي واحدا بدلا عنه قال في لمعة النور أن رجل سارق

---

(١) (ص:٩) ومن الأفراد الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب حسين بن محمد الحامد كما ورد في تاج الأعراس (٣٧٠/١).

(٢) وفيم مواهب الرب الرؤوف ولعل قائل يقول ليس فوق مقام القطبية مقام فما هذا المقام الذي ارتقى إليه الشيخ فأقول الذيعند أهل التحقيق أن مقام القطبية بل الغوثية معلوم ومن كان مع الله كان الله معه فلا يعلم له مقام وإن كان له في كل مقام مقام وسيدي الشيخ نفذ هذه المقامات والأطوار أوقات الليل والنهار وانظر السلسلة القدوسية (١٢٦/٣ (٢).

(٣) تذكير الناس من كلام أحمد بن حسن العطاس (ص:٢٠٧).

دخل على القطب أبي بكر العدني العيدروس ليسرق فدخل عليه خمسة نفر من الأبدال وقالوا له مرادنا تقيم أحد مقام أخينا السادس الذي توفي وكانت البدلية عنده فقال العدني سويرقنا تحتنا قم فقام السارق من تحت السرير وامتلأ خوفا وعرقا وبكى وتاب على يد العدني وخرج وليا من الأولياء سبقت له السعادة.[1].

وقد يجتمع أهل الديوان كلهم في بيت بعض الأولياء كما في كنوز السعادة أن علوي خرد قال في غرفة له أن القطب إذا جاء يجلس هنا والإمامان يجلسان هنا والأوتاد هنا والأبدال هنا وعدد أهل المراتب[2].

ختم الولاية:

يرى الإمام الحداد أن القطبية ختمت به وذلك في قوله (فرش بساط للشيخ عبد القادر وطوي ثم للشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس وطوي ثم فرش لنا ولا يطوى إلا للمهدي).

قال باسودان معلقا على هذا القول: بأن الشيخ عبدالله كان مظهرا من مظاهر آل باعلوي وهو أول من صنف في طريقهم والشيخ عبدالله الحداد كالخاتم لتلك المظاهر العلوية القدسية[3].

من أسماء القطب:

لقد خلع الصوفية على القطب أوصاف جمة منها الخليفة، الإنسان الكامل، قطب الدوائر، صاحب الوقت، النقطة من بسم الله، الغوث، الحقيقة المحمدية، السلطان.

والخلاصة في هذا المقام أن القطب عند الصوفية عبارة عن الواحد الذي هو موضع الله في الأرض في كل زمان أعطاه الله الطلسم الأعظم من لدنه وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد ويفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل ويفسرونه القطب القديم أو الحقيقة المحمدية هو الله في أول صورة تعين فيها وسماها الحقيقة المحمدية ومن خصائص هذا القطب القديم وجود الأفلاك لوجوده ودورا ا حوله قال ابن الفارض.

فبي دارت الأفلاك فاعجب لقطبها المحيط ا والقطب مركز نقطتي.

وأما القطب الغوث ومن يأتي بعده في الترتيب ممن يسير شؤون العالم عندهم فقد عولوا في ذلك على ما ذكره اليافعي في روض الرياحين كما تأثروا في صفته بما أورده الشعراني الذي يرى أن التصرف في الكون من العلامة الباطنة للقطب الغوث الفرد من أهل التمكين وأما علامته الظاهرة أن تجري عل يديه الأمور العظيمة الخارقة للعادة فهو يحي الموتى بإذن الله ويقول للشئ كن فيكون بإذن الله وهذا عين الخلافة المعبر عنها بقوله (فبي يسمع وبي يبصر).

---

(١) لمعة النور (ص:٦٩).

(٢) (ص:٤٩).

(٣) انظر غاية القصد والمراد وذخيرة المعاد (ص:٢٤٤).

المقام المحمدي:

وهو المقام المحمدي أيضا، ويعد مصطلح الحقيقة المحمدية عند الصوفية الأصل الذي يأخذ عنه الأنبياء والمنبع الذي تفرع عنه الكون ومصدر الموجودات حيث انسلخت من أنوار الذات فيما يدعونه العقل أو الروح المحمدي ثم انبجست من الروح المحمدي الأنبياء ثم العوالم كلها والحقيقة المحمدية مع ذلك معقدة كل التعقيد كلحم جمل غث لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقى.

ونحن نضبط الحقيقة المحمدية في إطار الفكر الصوفي الحضرمي ونرى أ ا قد تسللت إليهم من مقررات التصوف الفلسفي لواذا، ويشيرون إليه في الغالب إجمالا وأما تفصيله فيتضح من خلال هذه المواضع:

الأول: ما جاء في السلسلة القدوسية وهو صلى الله عليه وسلم العين المقصودة والحق المخلوق به في اصطلاح أهل التحقيق فآدم عليه السلام أبو الأشباح وهو صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح ولله در سيدي الشيخ عمر بن الفارض قال في التائية على لسان الحضرة المحمدية.

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي.

وفيها أيضا: فهو أولهم خلقا لا يقال خلق آدم قبله لأن آدم حينئذ كان مواتا لا روح فيه وهو صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج فهو أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا... وكيف لا وهو نسخة الحق وما آدم إلا نسخة منه... فآدم نسخة منه على التمام وبنو آدم نسخة منهما على تفاوت مراتبهم والأعلم كله أسفله وأعلاه نسخة منهم[1].

- الثاني: ما نظمه سالم بن أحمد بن شيخان العلوي شعرا يبين فيه هذه المسألة ويصرح أن الأنبياء نواب عن لنبي عليه السلام فهو الشمس وهم الكواكب التي تستمد نورها من الشمس فالنبي واسطة الأنبياء ومدهم والكل نوابه وخلفاؤه ونأخذ من قصيدته قوله:

لك ذات والعلوم والأسماء يا نبي نوابه الأنبياء.

شرف المرسلين في القدر أسمى بك يا من هم به سفراء.

سابق الكل في الوجود تنبا قبل لا آدم ولا حواء.

نوره عين الوجود برس فلقت في الورى به الظلماء.

فإلى المرسلين أنت رسول منك حقا غشتهم الأضواء.

---

(١) (ص:٩٥٦) وفي السلسلة أيضا أن أول موجود عقل موجده ويسمى الروح الأكبر والروح الكلي وروح محمد صلى الله عليه وسلم وهو ألف الأرواح وهو الحجاب الأعلى باعتبار أنه أصل الموجودات. فالروح واحدة وهي روح محمد صلى الله عليه وسلم إذ الأرواح كلها خلقت من روحه ولهذا يسمى أميا لأنه أم الأرواح فآدم أبو البشر وهو صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح وأمها كان الله ولم يكن معه شـ ئ (ص:٩٥٥) السلسلة القدوسية وهو المظهر القابل للفيض الإلهي بلا واسطة ثم يقسم الفيض ويعطى كل أحد (ص:٩٢٣).

أنت أصل لكل أصل فكل عنك فرع وهم آباء.

أي وربي هو التعين نور وهو عقل والنفس والإنشاء.

فلم خط ما يكون وما كان بلوح فالخاط ذاك الوشاء.

هو تاء الضمير من كنت كـ ا كيف ترقى رقية الأنبياء.

وكذا الباء من قبا كنت يا من فوق علياه لم تكن علياء.

أنت ذات مع الصفات وفعل أنت مجد ما طاولته سماء[1].

- الثالث: محاولة الشيخ أبي بكر بن سالم بيان هذه الحقيقة في معارج الأرواح بقوله:

واعلم أن الحق سبحانه وتعالى هو الوجود المحض فهو واحد وحده وقلنا وحده للت يه فبرز منه سبحانه وتعالى مظهر السر الأعظم وهو محمد صلى الله عليه وسلم مقام الكمالات ومقام الت ل الرباني ومنبع الجود الذاتي الرحماني وهو الحضرات الأسمانية الإلهية.

وقال أيضا (تكلمنا في منبع الحقيقة ومصدرها وهي الذات الأحدية وصفتها الاستهلاك الكلي في عين الوجود المطلق الأحدي وهي العلم والإرادة...وهي الحقيقة المحمدية المشار إليها بقوله لولاك ما خلقت الأفلاك ولا الأملاك)[2].

وقال أيضا فهو صلى الله عليه وسلم وهب حقائق العالم والعلم والعين كلها وهو الروح الأعظم وهو الإنسان الكبير عند جميع أهل الطريق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نوري وأراد به العقل كما أيده صلى الله عليه وسلم بقوله أول خلق الله العقل وهو في صورة باقي العقول والنفوس المطمئنة الناطقة ويؤيد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين ولي الله في الأرضين ورئيس الموحدين علي بن أبي طالب كرم الله وجه في بعض خطبة من خطبه كان يخطبها فقال أنا نقطة ب بسم الله الرحمن الرحيم وأنا جنب الله الذي فرطتم فيه وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا السموات والأرضون إلى أن صحا في أثاء الخطبة وارتفع عنه تجلي الوحدة ورجع إلى عالم البشرية وتجلى له الحق بحكم الكثرة فشرع معتذرا وأقر بعبوديته وضعفه وانكساره...

وقد سبق الرد على من تأثر في هذه الخطبة في الحديث عن الشطحات.

(١) القصيدة موجودة بكمالها في المشرع الروي (١٠٧/٢).

(٢) معارج الأرواح (ص:١٦٧) - وفصل (٧١) وما أشار إليه من حديث لولاك) حديث موضوع كما قاله الصغاني انظـر الـضعيفة للألبـاني (٢٨٢) وفيه المعارج أيضا (ولا كشف حقيقي تام إلا لحقيقة مظهر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والموافقة له والمتابعـة لأمـره والمحبـة والرضا في طلب رضاه لأنه أب الأرواح وآدم أبو الأشباح فاعدل إلى رؤية المقام المحمدي لأنه المقام الجامع الخاتم قوله تعالى (كل شئ هالـك إلا وجهه) وانظر فصل (٣٧-٦٦-٧٤-٨٧).

الرابع: ما أورده أحمد بن سميط من أن القطب الموجود في كل زمان - كما يقول أهل البصائر وهو المسمى بالغوث باعتبار الالتجاء إليه - هو مستمد من فيوضات نبينا محمد وهو كالنائب عنه، قال: وهذا معلوم عند أجلاء المسلمين، وصرح بذلك الحداد في قصيدته التي قالها في وصف القطب بقوله:

فتراه فانٍ عن عوالم حسد لا يستفيق لقول ضد عاذل.

فاشرب شراب العارفين الأوليا ء الجامعين لكل وصف فاضل.

واخضع لساقيهم وقطب مدارهم وإمام سالك سبلهم والواصل.

غوث البرية كلها ومفيدها عن إذن سيده الكريم العادل.

إلى أن قال:

يمتد من بحر البحور محيطها خير الأنام بعاجل وبآجل.

وقال الحاد في القصيدة التي شرحها ابن سميط ومنها:

محمد المبعوث بالبداية والحق والتحقيق والولاية.

إنسان عين لكشف والعناية وروح معنى جملة المظاهر.

قال: المظاهر هي الكائنات، فالنبي سره سارٍ في المظاهر كسريان الروح في الجسد!.[1].

الأدعية والصلوات المتأثرة بالحقيقة:

هناك أدعية وصلوات نقلت عن كثير من مشاهير الطريقة ضم بعضها كتاب سبيل المهتدين، وهذه الأدعية فيها الكثير المأثور ولكن لا تخلو من غلو فمما يمكن إيراده في مقام الحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل ما يلي:

١ - نقل صاحب كتاب النهر المورود بعض أدعية أبي بكر بن سالم هذه الصلاة (اللهم صل وسلم على الإنسان الكامل الجامع لمحامد، الذي أوتي جوامع الكلم، الذي عنت بخصوصيته مشرفة الجباه، وسجدت له الجبال، صلاة دائمة قائمة بمظهر الألسن، وتحركت بالصلاة عليه الشفاة، وسلم تسليما عليه وعلى الذين اصطفى من كل أواه، اللهم اشرح صدورنا، ونور قلوبنا بنور الفيض من حضرتك القدسية، وامنحنا وأمدنا من التوفيق والهداية إلى صراطك المستقيم.)[2].

٢ - ما ورد عن عي بن محمد الحبشي في بعض صلواته (اللهم صل وسلم على سيدنا محمد أول متلق لفيضك الأول.... صلاة نشهد ا من مرآته، ونصل ا إلى حضرتك من حضرة ذاته، قائمين لك وله بالأدب

(١) الكوكب الزاهر (٩٠).
(٢) (ص:٨٣).

الوافر، مغمورين منك ومنه بالمدد الباطن والظاهر... اللهم اكشف عني حجب الأغيار، اللهم أفض على روحي ما أفضته على روح الكامل من هذه الأمة.)[١].

تفسير الدعاوى في الصحو:

ولإن علق الصوفية الشطحات في باب الفناء على أنه في مقام السكر والاصطلام حين غاب العبد عن وجوده فقد علقوا ما ورد من دعاوى عريضة وهو في حال الصحو على المقام المحمدي كما قرر ذلك الكيلاني في الإنسان الكامل بأن هناك مقامان مقام الاصطلام وهو غيبوبة العبد عن وجوده والمقام المحمدي المعبر عنه في اصطلاح القوم بالصحو الثاني[٢].

ورد في التعرف على التصوف وفي قول ابن الفارض:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى.

أن ابن الفارض طلب وراثة العلم المحمدي لما صح أنه عليه السلام رأى ربه عز وجل رؤية عينية وقلبية أن يكون سرا من علم الوراثة المحمدية وما أجد متبعي سيدنا محمد أن يخصوا بمزايا عظام تبهر عقول الأولين!![٣].

وعلى ضوء هذه الحقيقة يحمل قول أبي يزيد (خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله) على ظاهره لأنه يعتبر وارث المقام المحمدي وقد جاء في كنوز أن الوارث للمقام المحمدي تخلع عليه خلعة الوراثة وليس هذا الكلام من قول أبي يزيد بل هو قول الخلعة[٤].

وقد سبقه شراح تائية ابن الفرض في قوله.

ودونك بحرا خضته وقف الألى بساحله صونا لموضع حرمتي.

قالوا قال هذا على لسان الحضرة المحمدية إذ كمال التوحيد مختص بمقام جمعه والكمل من والتابعين إياه.

وهكذا نرى أن الحقيقة المحمدية أو المقام المحمدي إنما ولد من رحم الوحدة التي دان ا ابن عربي التي يعني ا الروح الذي يعد محمد وغيره من الأنبياء صورة له وهي العقل الأول قال في الفصوص (بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية) قال القاشاني في شرحه عليها (إن محمدا أول التعينات التي عين به الذات الأحدية قبل التعين).

فابن عربي عني بالحقيقة المحمدية الروح المحمدي الذي يعد محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء صورة وهي العقل أو العقل الكلي المتجلي في أكمل مظاهره في طبقة الأنبياء والأولياء وهي الأصل الذي يأخذ

---

(١) شفاء الفؤاد لعلوي مالكي (ص:١١٧-١١٨-١١٩).
(٢) الإنسان الكامل (ص:٨٣).
(٣) التعرف تأليف أحمد عبدالله بن شهاب (ص:٣٥).
(٤) كنوز السعادة تأليف علي بن محمد الحبشي (ص:١٧).

ون عنه ويستمد منه كل نطق نطقه[١].

وقد تلقف هذا الهراء الصوفية وقام الكيلاني بتطوير الحقيقة وجعل لها مسميات فقال إن الله لما توجه لخلق العالم خلق روحا سماه حضرة الجمع والوجود لكونه جامعا الحقائق الوجود وسماه بالقلم الأعلى لانبعاث صور الموجودات منه كما تنبعث صور الكلمات من القلم الكتابي وسماه العقل الأول لأنه أول وسماه بالحقيقة المحمدية لأنه أكمل مظاهر حضرة الجمع والوجود[٢] وهي عند أهل الحلول كذلك كما يرى الحلاج بقدم النور المحمدي الذي يجعل النبي حقيقتين إحداهما قديمة وهو الوجود الأزلي الذي كان قبل الأكوان والذي استمد منه كل علم وعرفان والأخرى وهي محمد باعتباره نبيا ومرسلا[٣].

وكذلك معناها عند أهل الإتحاد كما يرى ابن الفارض أ ا مصدر علم الأولياء والأنبياء وعنه تفيض الموجودات وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي.

وعلى كل فإ ا حديث مفترى لا يعنون به شخص النبي محمد وإنما الحق حين ظهر في أول تعيناته فتكون مستمدة القضايا الفلسفية المغلوطة وهي بأحاديث الحلاج وابن عربي مخلوطة حتى تأثر ا صاحب البردة في قوله في مدحه عليه الصلاة والسلام.

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن من أنوارها للناس في الظلم.

المقام العاشر والمقام الرابع:

ومن أسماء مقام البقاء المقام العاشر باعتبار ترتيب المقامات التي ذكرت آنفا، وذكر من أهله الفقيه المقدم كما في قصيدة الحداد التي يقول فيها:

خص الرجال العارفين بقربه وبأنسه أهل المقام العاشر.

وقد جاء في شرح هذا البيت: فالمقام العاشر لأهل القرب من الله تعالى والأنس به من الرجال العارفين هو الرتبة العليا في رتبة الولاية والمقام الأقصى في أحوال النهاية، وهو مقام الهداية من مقامات اليقين، وباعتبار التوحيد هو في المقام الرابع، كما قال أحمد بن زين (فيكون هذا صاحب المقام الرابع وهو المنعوت بالصديقية الكبرى وهي خلافة نبينا محمد في أخلاقه وأحواله)[٤] والمقام الرابع باعتبار مقامات التوحيد الأربعة التي بينها الغزالي في الإحياء، وفي السلسلة القدوسية نقلا عن بعض المشايخ أن مقام الفقيه المقام الرابع وصاحبه لا يقاس بأحد، قال شيخ بن عبدالله العيدروس أنا النقطة التي تحت الباء، إشارة إلى المقام الرابع المعبر عنه بفناء الفناء، وجمع الجمع.

---

(١) نظريات الإسلاميين وعنه التصوف والتفلسف لصابر طعيمة (٢٠٦).
(٢) الإنسان الكامل (٦٥٥).
(٣) المدخل إلى التصوف الإسلامي وعنه التصوف والتفلسف (ص:١٧٩).
(٤) التعرف على التصوف (٥٦).

وفي مواهب القدوس أن الشيخ سعد بن علي بامدحج يعد من أهل المقام الرابع في التوحيد لأن الغالب عليه فناء الفناء، أما العيدروس فإنه في مقام البقاء وهو مقام إرشاد السالكين والدعوة إلى الله.(١).

خامسا - مقام الخلافة:

ومن مقام البقاء نشأ كذلك ما يسمى بمقام الخلافة ويرونه أن الدلالة عليه الحديث القدسي (فبي يسمع، وبي يبصر) ورتبوا على الاستدلال به مصطلح الخلافة أو مقام كن.

وهذا الحديث قد تم الاستدلال به على مرتبة الإنسان الكامل في مقامي الفناء والبقاء فمن تـ يله على مقام الفناء ما ورد في السلسلة القدوسية في سياق تفسيره لقول الفقيه المقدم الذي مر معنا: أنا الله، فقال:(ولا يعزب عنك ما سبق من كلام الشيخ عبد الكريم الكيلاني حيث قال: الولي حق متصور في صورة خلقية! أو خلق متحقق بمعاني إلهية!، وسيدي الفقيه رضي الله عنه نطق بذلك، وهو في حال كون الحق سمعه وبصره وجميع قواه كما نطق بذلك أبو يزيد رضي الله عنه في هذا المقام أنا الله وأنني أنا الله فاعبدني نقل ذلك سيدي محيي الدين ابن عربي في الفتوحات....)(٢).

ففسر هذه الألفاظ أو الشطحات بأن الخلافة في صفات الحق بل هو حق متصور في صورة خلقية كما بينه عبد الكريم الكيلاني في كتابه الإنسان الكامل وانظر ما استقاه هنا منه في هذه القضية وكذلك رجوعه إلى الفتوحات لابن عربي يتبن لك مدى الضرر الناشئ من مجارة هؤلاء الغلاة في هذيا م.

وحين وقعت مذاكرة لدى أبي بكر بن عبدالله العطاس في هذا الحديث، قال للحاضرين: إذا كان كذلك فهل يدعى عبدا أو ربا، فلم يجبه أحد ثم قال نعم يدعى خليفة الله في أرضه. فسئل عن ذلك فقال هو من العلوم المكنونة التي لا تحيط ا العبارة، ولا تدرك بالإشارة، واستشهد ذين البيتين:

الرب عبد والعبد رب فليت شعري من المكلف.

إن قلت عبد فذاك حق أو قلت رب أنى يكلف(٣).

وقد تم تأويل الحديث أيضا في مقام البقاء والخلافة يشهد لذلك ما قاله الشيخ أبو بكر بن سالم: ومن اكتحلت عيناه، وتنور قلبه شهد العالم الغيبي بطلوع شمس العيان، لا سيما باختفاء الكواكب عند ظهور الشمس، وكذلك مظاهر جسميته مظهر وجود العبودية بحقيقة وجه الربوبية، فظهر الرب بظهوره ظاهرا، والعبد مختفيا، فهذه مقابلة الصفات البشرية، كلما ارتفعت صفة من صفات الإلهية، فيكون الحق حينئذ سمعه

(١) السلسلة القدوسية (٤١٧/٢-٥٣٢) مواهب القدوس (ص:٥٨).

(٢) (ص:٤٦٥).

- وجاء فيها عند تفسير قول الجنيد باب الفقر أنه الوجود الثاني فإن العبد بعد الفناء المطلق الذي هو فناء الذات وفناء الصفات تخلع عليه الصفات الإلهية ويتخلق بالأخلاق الربانية وفي هذا المقام يتحقق بمرتبة بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش (٧٠٢).

(٣) تنوير الأغلاس (٢٢١).

وبصره كما نطق به الحديث، فيكون له التصرف في الوجود بما أراد الله تعالى، وقد يكون معجلا، وقد يكون مؤجلا،وهذا الأمر الموعود به.[1].

ويطلق عليه مقام كن أيضا وهي من صفات القطب التي كما نقل باسودان في ذخيرة المعاد عن الحداد في سياق علامة القطب الغوث الظاهرة الذي يعطى كلمة كن فقال: وهو ما أجاب به سيدي عبدالله بن أبي بكر العلوي - ولعله عبدالله بن أبي بكر العيدروس نفع الله به - و ذا يتضح معنى قولهم أعطى فلان كلمة كن[2].

وقال عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس في العرف العاطر (بل المراد أن الإنسان إذا تخلق بأخلاق الله، وصل إلى مقام يقال له مقام تصريف القدرة، وأيضا يسمى مقام كن فيكون، كما قال الشريف الأستاذ علوي بن الفقيه المقدم نفع الله ما لتحققه ذا المقام أقول للشئ كن فيكون بإذن الله!! وكما قال العيدروس عن ربه أنه قال افعل ما شئت فقد غفرت لك..!!)[3].

وما يستدلون به في مقام الخلافة قد ورد عن ابن عربي في الفصوص بقوله (فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى!! ولذلك قال فيه كنت سمعه وبصره ما قال كنت أذنه وعينه!!).

قلت: والحديث الذي يستدلون به على هذا المقام قال ابن حجر في فتح الباري في شرحه (وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التي لا شئ وراءها، وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه الاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا، من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج وعلى الأوجه فلا متمسك فيه للاتحادية، ولا القائلين بالوحدة المطلقة، لقوله (ولئن سألني ولئن استعاذني)[4].

الخلافة وعلامة الأقطاب الظاهرة:

صفات الأولياء والأقطاب كما تصورها المصادر:

إن المتأمل لكتب التراجم والمناقب أو الطبقات لأقطاب الطريقة يجد الكثرة المفرطة من حكاية الخوارق والكرامات المضرة بعقيد العوام، لما فيها من طوام، قد صيغت بصياغة متوافقة، وتركت أثرا في الواقع من خلال الاعتقاد في هؤلاء الأولياء، روامتلاكهم أمر عظيمة ربما يكونون منها براء لا سيما المتقدمين ولكن

(١) معارج الأرواح الفصل (٢٨).

(٢) (٣٠/٢).

(٣) (ص:١٢١).

(٤) فتح الباري (٣٤٤/١١).

هكذا أراد لنا أرباب الكرامات أن نتصور الواقع فإيرادها في كتب المناقب مضر للأتباع أيما ضرر.

وهذه الخوارق - كما مر - حينما تكون من الأقطاب الذين انتهى سيرهم إلى مقام البقاء فإ ا علامة ظاهرة لهم وهي الخلافة المعبر عنها بقوله (بي يسمع وبي يبصر!!) وينبغي التأكيد هنا إلى أمور سبقت الإشارة إليها منها: إن ما نسب إلى هؤلاء الأولياء هنا إنما هو كما ورد في المناقب والعهدة في صحة ذلك راجع إلى هذه الكتب، ومنها عدم تعميمها كمنهج للجميع وإنما تضل محصورة على صاحبها. ولنعرج الآن إلى مظاهر هذه الخلافة وعلامتها الظاهرة.

أولا المعراج الصوفي:

لقد زعم صوفية حضرموت المعراج إلى السماء بل وإلى سدرة المنتهى بالتحديد إلى بعض أقطاب الطريقة ونسبوا ذلك إلى رائد التصوف الفقيه المقدم محمد بن علي قوله كما في الجوهر الشفاف وشرح العينية (عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات وفي رواية سبعا وعشرين مرة وفي رواية سبعين مرة[(١)] وذلك في بداية سلوكه الذي وصفه في رسالته إلى سعد الدين الظفاري ويمكن القول بأن هذا المعراج يتميز بصفتين هما الاستمرار والاشتهار فأما الاستمرار فقد وصفه فضل بن عبدالله بقوله (إن دابة الفقيه تعرف طرق السماء كما تعرف طرق الأرض) وأما الإشهار فيتضح من قول فضل الدمشقي حين التقى بالفقيه المقدم وقال له وهو يحاوره أنت صاحب نسبة فقال له الفقيه وما هذه النسبة قال سدرة المنتهى[(٢)].

ومن المعراج أيضا ما نقل عن الحداد أنه قال (إني قد وضع لي المعراج بمسجد الهجيرة وعرج بي إلى السماء حتى وقفت بين يدي الله تعالى وحصل لي شق الصدر بمسجد بني علوي)[(٣)].

- وقال أحمد بن محمد الحبشي - صاحب الشعب - لبعض أخدامه: دابتي تعرف طرق السماء[(٤)].

و كان عبد القادر بن عمر بايزيد مجاورا بمكة أيام إقامة صالح بن عبد الله العطاس (ت:١٢٧٩هـ) ا فساره صالح العطاس بما يقع له في سلوكه فقال مرة: إني خرجت إلى المسجد الحرام في بعض الليالي وطفت بالكعبة فحصل لي الإسراء إلى السماء....[(٥)].

وقد استفتى صاحب تاج الأعراس علويا بن محمد الحداد في إيراد هذا الكلام في ترجمة صالح العطاس

---

(١) الجوهر الشفاف (٧٩/١) - شرح العينية (١٥٨).

(٢) الجوهر الشفاف (٧٩/١-٩٥).

(٣) غاية القصد والمراد (١٠٢/١). وورد في لمعة النور من كلام علي بن عبد الرحمن المشهور أن شق الصدر وقع له مرتين في الـركن البحـري القبلي من مسجد الهجيرة بقرب السارية قال وهذه وراثة من جده المصطفى!

(٤) الكوكب الدري (ص:٦).

(٥) تاج الأعراس (٤٧/١) قال مؤلفه وهذا الإسراء هو حال معروف عند الأولياء وأمر مألوف لدى أهل القرب والإصطفاء تعرفـه أرواحهـم المباشرة ذه الحكمة وتتحدث به أشباحهم عند الإذن لهم في التحدث بالنعمة!! وها أنا أرشدك إلى ما نقله صاحب الفتوحـات المكيـة في اصطلاح رئيس الصوفية إن لم تكتف ذا.

فأجابه بقوله (وقد ظهر لي أن هذا الإسراء الذي وقع له إنما هو بروحه ولا مانع من ذلك إذا كان بالروح وقد وقع للحبيب عبد الله الحداد ما يشبه هذا - أظنه في مسجد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي بقيدون - وقال سيدي العارف بالله محمد مولى الدويلة (ليلة سري باليثربي سري بي) فالأولى إبقاء الكلمة على ما هي، ما دام أ ا لم تصادم قاعدة من القواعد الشرعية وهذه أمور معروفة عند أهلها ولا يسع أهل حسن الظن إلا التسليم لهم).

قلت: وما ظنه علوي الحداد من وقوع الحادثة بقيدون إن لم نحمل الواقعة على التعدد فإنه وهم كما في غاية القصد والمراد، وأما قوله أن العروج بالروح لا مانع من وقوعه فيشكل عليه اصطحاب الدابة - تشبها بالبراق - فلا يستقيم إلا عروج الجسد!!!.

ثانيا التصرف في الكون:

ظهور الخوارق وطاعة الأكوان يكون - على تعبير الحداد - كثيرا للسالكين المشرفين على مراتب الكشف، ويكون تقوية لهم، ويقع لأهل الفناء وقل أن يشعروا به لذها م في الله وعدم شعورهم بشيء من الكائنات، وأما أهل البقاء فيقل وقوعه لسكو م إلى ما يجري من أحكامه وقد يؤذن لهم في إظهار شيء من الخوارق لتقوية طالب ضعيف القلب، أو رد معاند يكذب بآيات الله.[1].

وهذا من الدعاوى البارزة التي تندرج ضمن صفات الأولياء وأ م يتصرفون في الكون كله الذي ينقاد لهم ويكون مطية كما قال أبو بكر بن سالم في مفتاح السرائر (والكون كله مطية للعارفين يتصرفون فيه بإذن ر م)[2] وأبعد من ذلك في الصفاقة دعوى ذلك التصرف لدى الأولياء الموتى الذين عدوا منهم جملة قال صاحب البرقة المشيقة (وكان الشيخ محمد بن علي - أي الفقيه لمقدم - من المتمكنين في التصريف بعد موته) ووصف ابنه علوي بأنه ممن أذن له في التصريف المطلق حتى بعد موته وانتقاله، وممن يحي ويميت ويقول للشئ كن فيكون[3].

ووصف السقاف بأنه لم يكن في زمانه أنفذ تصريفا ولا أمضى حكما في الكون منه ولا معقب لحكمه والي الدنيا كلها من شرقها إلى غر ا وقد كتب على قبر عمر المحضار (هذا سلطان في كل زمان ومكان ومتصرف بإذن مولاه في جميع الأكوان).

- وورد في النهر المورود من كلام أبي بكر بن سالم في التحدث بالنعمة بالإذن والتمكين قوله (أعطاني

---

(١) ذخيرة المعاد (٣٤).

(٢) (ص:٣٠) وينقل الحداد في إتحاف السائل التواتر على طاعة الأكوان لأولياء الله وهي عنده على ثلاثة أقسام السالكين المشرفين على مراتـب الكشف كثيرا ما تحصل لهم وقيل ما يشعر أهل الفناء بذلك لذها م في الله وأما أهل البقاء فيقل وقوعها لهم لسكو م إلى الله تعالى (ص:٨٤).

(٣) البرقة المشيقة (ص:١٠٤) - شرح العينية (١٦١-١٧٣) وفي حلاوة القرطاس أن أبا بكر العطاس عن حال علوي بن الفقيه هذا قال أشار إلى صدره أنه مثله.

الحق التصريف في الكون كله حيا وميتا!! وقال لي يا عبدي ملكي ملكك تصرف فيه كيف شئت فأخذت الذي يليق ويحمد!!!)[١].

وتستمر هذه الصفة في الأولياء إلى حيث كتب بعض السادة آل العيدروس إلى الحبيب عبدالرحمن إلى وارث الأرض ومن عليها وكمالات السماوات وما يليها!!![٢].

ولا نملك هنا إلا أن نؤكد على خطورة الانجرار خلف الغلاة من الصوفية الذين شحنوا المؤلفات بالطوام فتلقفها المتأخرون وأخذوا يرددو ا فأفسدت العقائد أيما إفساد.

ثالثا النظر إلى اللوح المحفوظ:

ينقسم الأولياء عند بعضهم في هذه الصفة إلى قسمين أعلاهما من ينظر إلى اللوح المحفوظ وما فيه لا يبدل ولا يمحى، وأدناهما من ينظر إلى لوح المحو والإثبات، كما قال محسن السقاف في نشر المحاسن[٣] وذكروا أن من النوع الأول الذي هو الإطلاع على اللوح المحفوظ لا ألواح المحو والإثبات كشف أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله تعالى (ت:٣٤٥هـ) في خروجه من البصرة إلى حضرموت وإطلاع الله تعالى له أنه لا يضر أولاده ولا ينازعهم فيما هم عليه من الاستقامة والطريق المثلى جور جائر[٤].

وقال السقاف في ولده شيخ: ما سميته شيخا حتى رأيته هكذا مكتوبا في اللوح المحفوظ[٥]وقد تجاوزوا هذا الحد إلى أبعد منه عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس فقال إن سيدي أبا بكر العيدروس قرأ اللوح المحفوظ في بطن أمه، وزاد علي الحبشي في كنوز السعادة أنه لما تعسرت أمه به في الولادة قال أبوه هذا ولدي لن يخرج حتى يقرأ اللوح المحفوظ بقي معه أسطر يتمها ويخرج[٦].

وجاء في مقدمة ديوان الحداد الذي حوى علوما غامضة لا سيما التائية الكبرى من قوله.

أطالع أمر القبضتين فقبضة اليمين وأخرى لليمين الأخيرة.

قيل ومن العلوم الغامضة قوله أطالع.أي اللوح المحفوظ الذي لا معقب لحكمه ولا يطالعه 'لا الغوث الفرد قطب وقته زمانه كهو نفع الله به[٧].

وهذا علي بن عبدالله السقاف نصح الأمير مباركا في وقته أن لا يضع أحد محبيه في مطلبة، فأبى ذلك فلما

---

(١) (ص:٩٣).

(٢) مطالع الأنوار (ص:٩).

(٣) نشر المحاسن (ص:٧٥).

(٤) عقد اليواقيت (٣٨/١).

(٥) المشرع (١٦٩/٢) - الدر المدهش البهي (ص:١٠).

(٦) فيض الأسرار (١٩٠/٢) - كنوز السعادة الأبدية (ص:١٧٠).

(٧) مقدمة ديوان الحداد (ص:١٧).

كان بعد صلاة الجمعة وقف علي السقاف في قبلة المسجد الجامع وصلى على الأمير في جماعة من أصحابه!! والأمير في المسجد، فاشتكى به عند محمد بن عمر وقال له: هل تجوز الصلاة على الحي؟ فأجاب: السيد علي من أهل الكشف ولعله رآك في اللوح المحفوظ قد مت، فلم يلبث ألا ثمانية أيام!!.[(١)].

وأغرب من النظر في اللوح المحفوظ التصرف فيه كما قال أحمد بن الجعد لسعيد العمودي لا يكون الشيخ حتى يمحو سيئات مريده من اللوح المحفوظ فأجابه كيف غفل حتى كتبت[(٢)].

قلت: وقد قال الأهدل في تحفة الزمن: ورؤية اللوح المحفوظ لا تصح في كرامات الأولياء إذ لم يصح ذلك عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه فاعلم ذلك ولا تلتفت إلى ما يحكى من ذلك والله أعلم ا.هـ[(٣)].

رابعا إحياء الأموات:

وهي من الدعاوى العريضة التي سجلت في صفات الأولياء وقد مر معنا ما وصف به علوي بن الفقيه المقدم أنه ممن يحي ويميت، وفي فيض الأسرار: أنه لما ماتت زوجة عبدالله العيدروس أتى إليها فناداها ثلاث مرات فأجابته في الثالثة، وماتت مرة أخرى وهو في الشحر فدخل عليها صاحبه سعد بن علي بامدحج وقال قومي يا بنت القطب وزوجة القطب وأم القطب كيف تموتين وما جاء القطب؟! فقامت. وذكر أن أبا بكر بن عبدالله العيدروس لما دخل إلى زيلع وماتت أم ولد الحاكم محمد بن عتيق وكان مشغوفا ا كشف عن وجهها ونادها باسمها فأجابته ورد الله روحها!![(٤)].

وفي سياق هذه الصفة ينتظم ما ورد في تذكير الناس من قصة علوي بن سهل لما دخل عليه عبدالله بن عمر بن يحي في مليبار ورأى في بيته تصاوير وطيور وديكة فقال إن جدكم يقول يكلف صاحب التصاوير يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح فقال له عاد شئ غير هذا فقال لا فنفخ علوي تلك التصاوير فإذا الديكة تصرخ والطيور تغرد فسلم له عبدالله بن عمر حاله[(٥)] وهل يسلّم لمن يخالف أمر رسول الله متحديا بحجة الولاية؟ فأي عقول تجيز مثل هذا الكلام وتسيغه! ولو كان مطويا في مجاهل المخطوطات لهان الأمر ولكن العجب في طباعته.

سادسا الطيران في الهواء والمشي على الماء:

وهو أصل ورد منسوبا في تراجم بعض أولياء الطريقة الحضرمية بفروع مختلفة.

منها الطائرة على شكل سفينة فقد زعموا أن المحضار لما شق على بعض أهله سفره بأولاده من الساحل

---

(١) نشر المحاسن (ص:١٠٧).

(٢) مطالع الأنوار (ص:٣١٩).

(٣) (ص:٣/٣١١).

(٤) فيض الأسرار (٢/٢٠٩) وفي حلاوة القرطاس إحياء الشاة (ص:٢٤٥).

(٥) تذكير الناس (١٥٥).

إلى حضرموت وما ينالهم من وعثاء لسفر قال لو أن أحدا من الأولياء سافر بأهله في الهواء لصنعت لهم سفينة وحملت لهم فيها ما يحتاجونه وأركبتهم فيها وتركتها تسير م في الهواء حتى يصلوا إلى تريم ولكن ما جرت بذلك عادة للأولياء[1].

و من ذلك حين دعا السقاف على سلطان شبام في وقته بدعوة حين شكاه بعض محبيه فخرج السقاف من قميصه ليرد الدعوة فلم يدركها لأ ا اخترقت الحجب والقميص قائم هكذا في مجموع كلام أحمد السقاف[2].

هذا كمثال على الطيران في الهواء وأما المشي على الماء فخوض الأولياء البحار حين يستغيث م مريدوهم عند تحطم السفينة فيذكرون أ م يدركو م ويعودون إلى جلساءهم وثيا م مبللة نعوذ بالله من الخذلان وردت في الجوهر في ترجمة مولى الدويلة وفي كرامات أبي بكر العيدروس كما في ا موعة العيدروسية لما استغاث به نعمان بن محمد المهري حين خرقت السفينة في البحر[3] قال أحمد المحضار.

قل يا عمر محضار يأتي سرعة هذا ا رب يدرك الهفان.

في البحر أو في البر أوهو في الهوا بالإذن من رب السماء الديان.

- وقد جاء بعضهم إلى عمر بن عبد الرحمن العطاس فدق الباب فلم يجده في البيت ثم سمعه يتكلم مع ناس ثم جاء إلى هذا الرجل وقال له قد أبطأت هنا فقال لي مدة وإني سمعتك تتكلم في الهواء مع أحد فسكت عنه وغالطه في الكلام.

وهذه القصة فسر ا أحمد بن حسن العطاس قول الحداد في العينية:

وابني حسين عمر العطاس من قد كان من أهل اليقين بموضع.

قال في تفسيره: لأنه اقتصر عليه ولم يبلغ مبلغه في ذلك غيره وقد قال في عيسى بن مريم لما ذكر أنه مشى على الماء وازداد يقينا فمشى على الهواء وقد سئل الشيخ ابن عربي في معنى الحديث إن أولياء هذه الأمة مشوا على الهواء بالتبعية لنبينا محمد والشيخ ابن عربي له رسالة في اليقين[4].

سادسا تجزؤ الأولياء:

وذلك حين يرى الصوفي في أكثر من موضع في وقت واحد أو يرى بعدة صور ومر نسبة بعض ذلك

---

(١) السلسلة القدوسية (٢٩٧/١).

(٢) (ص:١٠٧) وفي العقد النبوي أن بعض نساءه قالت مرض أبي وأبطأ لمرض به فادع لأبي إما أن يبرأ أو يموت إن كان نفذ عمره فلما وقع وسط الليل انتبهت وإذ قميص الشيخ ليس فيه أحد ثم سمعت برجة من السماء وإذا بالشيخ عاد في قميصه وقال كنا في قضاء حاجتك وأن أباك يموت بعد يومين أو ثلاث في الساعة الفلانية فكان كما ذكر (٣٥١/١) بتصرف وانظر (٣٥٢).

(٣) (ص:١٠).

(٤) بشائر وطوالع سعود لعلوي بن طاهر لحداد (ص:٤١).

ومنه قول العيدروس: لو أردت أن أنقلب مائة صورة في صورتي هذه أو في أشكال مختلفة لفعلت[1] وقد دخل بعض الغرباء على عبدالرحمن الجفري للشفاء على يديه فوجده في عمله ودخل وقت الصلاة فقام الغريب يصلي والولي لا يصلي فوقع في باله شئ من ذلك فدخل به الولي تسع خلوات في كل واحدة منهن صورة له تصلي فاعتذر الغريب وكذلك علوي بن هاشم كان جالسا والناس يصلون فقال محمد بافقيه في نفسه كيف هذه الولاية وفيها خرق للشريعة فكاشفه والده أحمد وقال ارفع رأسك فرفع رأسه فإذا تسع صور على صورة علوي في الهواء فقال هل تضر صورة واحدة جالسة وتسع يصلين.[2].

وكان أبو بكر السكران يشاهد عند الكعبة مع كونه في تريم وكان أبوه السقاف يرى في الأماكن البعيدة ولا يفقد عن بلده وكان عبدالله باعلوي يحج في كل سنة مع وجوده في بلدة تريم انظر شرح العينية[3].

سابعا العلم بما في الخواطر:

وهذه الصفة شاعت عندهم وذاعت ووردت في صيغ متعددة وقصص عجيبة في المكاشفة بما في صدور الناس ونسبت إلى تراجم عديدة لعل أعجبها قصة إبراهيم بن يحي بافضل في صلة الأهل حين أمر الفقراء أن يذبحوا ثورا وقف بباب الرباط فذبحوه بعد تمنع منهم وإصرار ومن شيخهم فجاء صاحب الثور وعلم بما صنعوا فسبهم وسب شيخهم ونسبهم إلى اللصوصية فخرج إليه الشيخ وقال لم تنكر على الفقراء وقد نذرت أنت ذا الثور وقلت في نفسك إن ولدت بقرتي ثورا فهو نذر علي لله تعالى للفقراء وقلت ما عندي أحد عليم بنذري ولم يعلم الغيب إلا الله وقد أعلمنا الله تعالى وجاء إلى الفقراء ما هو لهم[4].

ثامنا معرفة الشقي من السعيد:

ومما نسب إلى بعض أقطاب الطريقة معرفة السعيد من الشقي ففي الحكاية الثانية والستين من المشرع قال الشيخ عبدالله باعباد لعلوي بن الفقيه محمد بن علي أعلمني بما ظهر لك من الكرامات بعد وفاة أبيك قال ظهر لي ثلاث خصال أحيي وأميت بإذن الله تعالى وأقول للشئ كن فيكون بإذن الله وأعرف الشقي من السعيد بإذن الله فقال الشيخ عبدالله وعاد نحن نرجو فيك أكثر من هذا!!.

وفي البرقة المشيقة وكان في صغره معروفا بكرامات كثيرة وفراسات خارقة، منها: أنه يعرف الشقي من السعيد، وأنه ممن يحي الموتى بإذن الله ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله وأنه ممن أذن له في كمال التصريف

---

(١) السلسلة القدوسية (٢٧٠/١) وانظر أمثلة لتجزئه في تثبيت الفؤاد (٣٢٢/٢).

(٢) كنوز السعادة (ص:٢٥) ومن المؤسف له حقا أن بعض الفقهاء يحاول إساغة هذه المفاهيم فيذكرون أن من حلف بالطلاق أن يحج مثلا هـذه السنة فقامت بينة أنه ببغداد يوم الحج أ ا تطلق عليه قال السيوطي بقبول بينته وبينة الآخر إن ادعى ذلك بطريق الكرامة وحاصل ما وجهـوه ثلاثة أوجه الأول تعدد الصور بالتمثل والتشكل كما وقع للملك والجان الثاني عدم التعدد ولكن بتقريب المسافة بالطيالثالث تعظيم جثة الولي بحيث يملأ الكون فيشاهد في كل مكان ويحجب ما زاد على صورته المعتادة عن الرأي أو يدمج بعضه في بعض الزهر الباسم (٨٨).

(٣) (ص:١٧٨-١٨٨).

(٤) صلة الأهل (ص:٧٧) والجوهر الشفاف ترجمة إبراهيم بن يحي.

المطلق بإذن الله وكان من الأقطاب المتمكنين في الكشف والفراسة والمشاهدة[(١)].

ويروي صاحب الجوهر أيضا: أن مما ظهر للشيخ علوي ابن الفقيه المقدم بعد وفاة أبيه قوله وأعرف الشقي من السعيد بإذن الله وقد مر بأربعة صبيان يلعبون فقال: هذان الاثنان سعيدان، وهذان الاثنان شقيان. وقال خرجت يوما مع والدي إلى زيارة القبور وأنا إذ ذاك صبي صغير فقال يا علوي أنت ممن يعرف الشقي من السعيد فاقرأ ما على جبيني!! قال: فقرأته فإذا عليه مكتوب سعيد، سعيد، سعيد انظر ترجمته من الجوهر الشفاف[(٢)].

وفيه أيضا عن أحمد بن عبد القدوس الشبامي قال: ما مات الشيخ علي بن علوي إلا وقده يعرف الشقي من السعيد[(٣)].

ويقول حسن بن عبد الرحمن السقاف (ت:٨١٣هـ) أنا أعرف السعيد والشقي[(٤)].

و قال أبو بكر بن عبد الله العطاس كنت أعرف الشقي من السعيد....[(٥)].

وفي تاج الأعراس وكان سالم بن أحمد في نفسه شيء من هذه العبارة فلما زار أبا بكر العطاس ودخل بيته أشار أبو بكر بسبابته إلى وجهه - قبل أن يصافحه - كالذي يقرأ وهو يقول سين عين ياء دال قال فسلمت له من ذلك الحين.[(٦)].

وهذه مقالات فاسدة سواء علقت على مقام البقاء أو الفناء الذي هو مشجب لخرافات الصوفية.

تاسعا الأولياء يتصرفون في الأموال.

ومن بعض خصائص الأقطاب المنسوبة إليهم تصرفهم في الأموال ونسوق هذه النماذج:

- وقال حسين بن عبدالرحمن في حوار مع رجل طلب مساعدته فأحاله على عمه عبدالرحمن السقاف فلما ذهب الرجل إلى عمه رآه يفعل ما يخالف الورع فرجع إلى حسين عبد الرحمن وأخبره فقال: يا ولدي اشهد عني شهادة الله الحق أن عمي الشيخ عبدالرحمن لو يجلس على كحلان - مكان يجلس عليه اللصوص وينهبون من مر م - وينهب من مر به أنه حلال من الله تعالى ورسوله!!!.

قال الخطيب في الجوهر معلقا على هذا القول:اعلم أنه لم يتكلم ذا إلا وقد أطلعه الله على أن عمه أحل له كل ما أخذه من أي وجه انظر الجوهر الشفاف.

---

(١) البرقة المشيقة (١٤١).

(٢) الجوهر الشفا ترجمة السقاف وانظر الحكاية (٦٣).

(٣) (١٦٩/١).

(٤) المشرع الروي (٨٩/٢).

(٥) كنوز السعادة الأبدية (ص:١٢٦) وتنوير الأغلاس (١٤٦/٢).

(٦) (١٠٥/١).

- وفيه أيضا أن رجلا مرة قال لمحمد بن علي - وكان يشتري كثيرا من العقار - إنك تشتري الحرام فقال الشيخ أنا ما أشتري شيئا إلا وقد قال لي اشترني[١].

- في مواهب القدوس أن أبا بكر العدني كان يلام على تفريق الأموال الكثيرة، حين يقوم بتصرفات مالية يصرفها في الظاهر في غير مصارفها! فسأل الشيخ محمد عمر بحرق الفقيه محمد باجرافيل عن تلك التصرفات، فأجابه بقوله: أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل، والعقد والحل، والتصرفات جميعها، وأنه اليوم أفضل أهل الأرض ظاهرا وباطنا...!![٢].

وإذا كان الفقهاء يجارون الصوفية في ما يدعونه بل ويبررون لهم مخالفة ما يسمونه الظاهر فكيف بالعامة، ومن يأمن القراء بعدك يا شهر؟!.

وقد علق صاحب السلسلة القدوسية على من اعترض على العدني من الفقهاء بأن الأولياء: لما تركوا ما لا بأس به مخافة ما به بأس من شدة الورع أورثهم ذلك علامة يعرفون ا الحلال والحرام في المطاعم وغيرها وقد يرتفع بعضهم عن هذه العلامات إلى خرق العادة في الشيء المتورع منه فيظن من لا علم عنده بذلك أنه أتى حراما وليس كذلك.

قال وروي أن الشيخ عبدالله العيدروس وأستاذه سعد بن علي ضمنا له بأشياء منها افعل ما شئت ولا حرج قال هذا بعض كلام له[٣].

- وكان أحمد بن علي بن أحمد بن الشيخ من أهل الأحوال والكرامات وكان المعلم عبدالرحمن بن أحمد باوزير جليسه وكاتبه ومؤذن مسجده ولا يأكل عند أحمد بن علي حتى جاء طاهر بن محمد بن هاشم إلى عينات ورآه المعلم يأكل كثيرا فسأله بما في نفسه فأجابه طاهر بقوله إن أحمد بن علي صاحب الوقت، وله حق في أموال المسلمين!! مع أنه إذا دخل مطبخه شئ من الحرام يصير حلالا انظر الروض المزهر[٤].

- وورد سائح من السند إلى سيؤن في زمن حسين بن عمر العطاس وكان كلما دعاه أحد ليأتيه قال هات رخصة من العطاس فسئل عن ذلك فقال لأنه صاحب الوقت وإذا رخص ارتفعت الشبهة انظر تذكير الناس[٥].

ولعل تعليل هذه الأخبار وغيرها مما لم يذكر ويندرج في سياقها أن مرجعه إلى ما قال عبد العزيز الدباغ (الفرق بين أخذ الولي صاحب التصرف متاع الناس، وبين أخذ السارق واللص له الحجاب وعدمه فالولي

---

(١) الحكاية (١١٩).

(٢) (ص:٣٨).

(٣) السلسلة القدوسية (١/٢١٠-٢١٣).

(٤) (ص:١٠٣).

(٥) (ص:٢٨٦).

شاهد لربه عز وجل مأمور من قبله بالأخذ قال الله تعالى (وما فعلته عن أمري)[١].

عاشرا التصرف في الجنة والنار:

وهذا أيضا ورد منسوبا إلى بعضهم بأشكال متعددة من أفرادها الضمان بالجنة فمما سودته المصادر في هذا الشأن ما سبق ذكره عند التعليق على الشطحات أن فقيرا للفقيه المقدم يدعى باخريصه سافر سفرا طويلا فبلغ أهله أنه مات فتعبوا وأتوا الفقيه فقيل له قد جاء الخبر بموته فقال اطلعت على الجنة فلم أجده فيها ولم يدخل فقيري النار ثم جاء الخبر بحياته وقدم بعد مدة!![٢].

ولإن دل ما سبق على الإطلاع على الجنة فإنه قد نسب إلى محمد بن علي مولى الدويلة موقف آخر ولكن في المشي في النار فقد وقف بين يدي الله بعد وفاته وسمع نداء من الحق اذهبوا به حيث شاء فإنه محبوب، فقال: اذهبوا بي إلى النار! فلما وصلها رمى بنفسه فيها!! وجعل يسير فيها ذاهبا ومقبلا يخرج منها كل من رآه من أهل تريم! حتى أخرجهم الجميع إلا اثنين أو ثلاثة كلما خرجوا عادوا إليها بقي يشفع لهم![٣].

ومن نماذج الضمان بالجنة قول ابن شهاب الدين من بشرني بقدوم ابن سالم - يعني أبا بكر - من هود سالما ضمنت له على الله الجنة[٤].

ومن ذلك ما حصل لعبدالله باعلوي أن رجلا أنشد أبياتا تتعلق بالبعث فتواجد الشيخ وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال للرجل أعد الأبيات فقال الرجل بشرط أن تضمن لي الجنة فقال ليس ذلك إلي ولكن اطلب ما شئت من المال فقال ما أريد إلا الجنة فقال إن حصل لنا شئ ما كرهنا ودعا له بالجنة فلما مات الرجل وحضر باعلوي عند دفنه جلس على قبره فتغير وجهه ثم ضحك فسئل عن ذلك فقال إن الرجل لما سألاه عن ربه قال شيخي عبدالله باعلوي فتعبت لذلك فسألاه أيضا فأجاب بذلك فقالا له مرحبا بك وبشيخك عبدالله باعلوي[٥].

ذكرت قصة الساني مع الشيخ عبدالله باعلوي وقول الملكين له مرحبا بك وبعبد الله باعلوي عند السقاف فقال أتى الملكان عبد الباقي بن سلطان فقالا من ربك فقال شيخي الشيخ عبد الرحمن - يعني نفسه - فقبلا

---

(١) الإبريز الذي تلقاه نجم العارفين عن عبد العزيز الدباغ (ص:٢٠٧) نقل ذلك عنه مؤلف الكشف عن حقيقة الصوفية وتمام الكلام (ولقد دخل سيدي منصور القطب رضي الله عنه إلى مولانا إدريس نفعنا الله به فوجد سيدي أبا يعزى بن أبي زيان البكاري يزور فأخذ بلغته - نوع من الأحذية - وخرج فقلت للشيخ رضي الله عنه في ذلك فقال: الفرق بين أخذ الولي والسارق الحجاب وعدمه فسيدي منصور لكونه قطبا مشاهدا البلغة له ورآها في اللوح المحفوظ من قسمته وسمع الأمر من الحق سبحانه بأخذها يحل له الأخذ كيف أمكنه والسارق محجوب غافل عن ربه. علق نجم الدين أحمد بن المبارك: أعاذنا الله من سوء الانتقاد على الكمل العباد (٥٣٢).

(٢) الجوهر الشفاف (٩٧/١) وفيه زيادة أنه بلغ أهله خبر وفاته التي لم تفدها رواية السلسلة القدوسية.

(٣) شرح العينية (ص:١٨٠).

(٤) كنوز السعادة (ص:١٨٢).

(٥) الجوهر الشفاف (١٨٨/٢).

ذلك منه كما قبلا مثله من الساني كرامة له!!!![1].

الأولياء وعالم الأصلاب:

ومن العجائب في هذه السياحة ما نسب إلى عالم الأصلاب حيث ورد أن علويا بن الفقيه المقدم لما عزم على ترك التزويج والبعد عن النساء فأصر على ذلك قيل له نحن في ظهرك ذرية صالحة إن ترد أن تخرجنا بستر وإلا خرجنا من ظهرك وفضحناك!![2].

- ومن ذلك ما قاله أبوبكر بن سالم لمريده يوسف بن عابد الفاسي الذي قدم من المغرب ليتلقى عنه: يا يوسف أنا أبو الأرواح وأما والدك فهو أبو الأشباح والله إني نظرتك في صلب والدك عابد وحضرت على ولادتك[3].

وقال أبو بكر بن عبد الله العطاس لتلميذه علي بن محمد الحبشي يا علي إني أرعاك وأنت في صلب أبيك كذا في تاج الأعراس وقال أيضا كما في كنوز السعادة - لعبد الرحمن بن عبدالله لا تبيت الليلة بتريم فقال لأي شئ قال هذا ولد في صلبك طارف يريد أن يخرج قال عبدالرحمن فسرت حالا إلى سيؤن وأما تلميذه علي بن سالم فقد روي عنه أه سمى له أولاده ذاكرا صفتهم وهم في عالم الذر[4].

ومن قبيل التشابه فإنه قد نقل عن أحمد بن محمد المشهور أنه قال لأبي بكر العطاس مدة إقامته بتريم - إني شوف - أي أرى - أولاد في ظهرك كما الطلع[5].

قلت: أولا: لا يستقيم إطلاق الولد على من كان في صلب أبيه. وثانيا: لعلهم اقتفوا في هذا السبيل ما نسب إلى مشاهير الصوفية كأبي الربيع قال لأبي عبدالله القرشي لما أخفى عنه شيئا أعلي تتستر والله لقد رأيتك في ظهر أبيك قبل ظهورك[6].

شفاعة الأولياء:

وقد صوروا لنا تنافس الأقطاب على الشفاعة ما لم يتنافسوا في غيرها من الصفات ونقلوا عن الفقيه المقدم أنه كان يقول علي من القارة إلى قبر هود أي ألتزم لهم بالشفاعة قال: محمد بن أبي كر باعباد يعني أنه يدخل سلطنة د في شفاعته ٩٦/١.

وأما تلميذه عبد الله بن محمد باعباد فإن نفوذ شفاعته أوسع من الفقيه المقدم فقد سأله الفقيه ابن عبد

---

(١) السلسلة القدوسية (٣٠٧/١).

(٢) المشرع الروي ترجمة علوي - البرقة المشيقة (ص:١٤١) - فيض الأسرار (٢٥٦/٢).

(٣) النهر المورود وفي رواية كنوز السعادة أما تعلم أني أرعاك وأنت في صلب أبيك وحضرت طلق أمك وولاد ا بك (ص:٧٧).

(٤) تاج الأعراس (١٦٩/٢) - كنوز السعادة (ص:٧٧) تعليقات عبد الله بن محمد السقاف على الأشواق القوية (ص:٥٠).

(٥) حلاوة القرطاس (ص:٢٧).

(٦) نشر المحاسن لليافعي (ص:٥٠).

القدوس لما دخل ظفار وطرقه حال وغاب عن حسه فقال: حضرت بين يدي الله!! وعرضت علي الشفاعة فيمن أشاء فشفعت فيمن كان من حاسك إلى ديار مصر حتى الملك الأعرج: قال في طبقات الخواص: لعله محمد بن قلاوون ملك مصر لأنه لم يكن أعرج غيره(١).

وقد زعموا - أصلح الله حالهم - عن عدد من الأولياء الشفاعة منهم:

سعيد بن عيسى العمودي الذي يشفع لثلث الأمة، وكذا السقاف - في رؤيا - يشفع لأهل قرنه الذي ولد فيه والقرن الذي مات فيه، وقيل شفاعته من قاف إلى قاف، وعمر المحضار يشفع في أهل تريم، وقال العيدروس: إنما أنا رحمة للخلق قاصيهم ودانيه، وكان أبو بكر بن علي باعلوي يشفع في أهل عصره، وعمر بن عبد الله بامخرمه يشفع لأهل سيؤن، وقال الحداد: أهل تريم في القصعة(٢).

قلت والمسألة قد عالت إلى أضعاف مضاعفة!!!.

ونوع آخر من الشفاعة زعموه يتمثل في عدم كتابة السيئات في عصر الذي ولد فيه الولي المقصود بالترجمة، مثال ما نقلوه عن:

- معروف بن عبد الله باجمال لم تكتب على أهل وقته سيئة(٣).

أبو بكر بن سالم قال: منذ خلق الله هذا الهيكل ما كتبت على مسلم سيئة.(٤).

وقال طلبت من الله عز وجل أن لا يعذب من يقول لا إله إلا اله فأعطاني وقبل شفاعتي وقد عبر عن شفاعته لأهل عصره محمد بن عنقاء اليمني بقوله:

وشفعه الرحمن في أهل عصره شفاعة مسموع مطاع مفضل(٥).

- أبو بكر بن عبد الله العطاس من يوم ما خلق ما كتب الله ما كتب الله على أهل عصره سيئة(٦).

سادسا - تعظيم قبور الأولياء:

لقد نشأ تعظيم المقبور من عدة أمور منها ما نسب إليه من الحياة الخاصة به في البرزخ ويعد الاجتماع به أو الحديث معه من مصادر التلقي، ومنها الانتفاع بزيارته - لا سيما المريد - لأنه واسطة، ومنها الاعتقاد فيما ذكر لهم من خوارق، وتعظيم أضرحة الموتى أمر باد للناظر لكثرته الأمر الذي حدا ببعض الباحثين إطلاق صفة

---

(١) طبقات الخواص للشرجي (ص:١٧٨).

(٢) الجوهر الشفاف (١٦٧/٢) - المشرع الروي (٤٣/٢) - السلسلة القدوسية (٢٥٢/١-٣٠٧) غاية القصد والمراد (١٠٠/١).

(٣) بشائر وطوالع سعود (ص:٦٩).

(٤) الروض الباسم (ص:٧٣) النهر المورود (ص:٩٢).

(٥) أغلى الجواهر (١٥٣-١٥٥).

(٦) حلاوة القرطاس (ص:٣٠١-٣١١).

القبورية على الصوفية الذين يدورون حول هذه المعاني وفي هذا الإطلاق نظر إذ أن التصوف جملة من المفاهيم تشكل هذا الفكر لعل أبرزها الجانب الفلسفي كما سبق توضيحه، ويمكن ذكر مظاهر تعظيم المقبور من خلال ما يلي.

الزيارات والأضرحة:

يعترف صوفية حضرموت بدور بعض الأقطاب فيتحول الزيارة من الطريقة الشرعية إلى الكيفية الصوفية وأهم هؤلاء الأقطاب الذي تناط به هذه المهمة هو العيدروس في أهم زيارتين لهم وهما.

- زيارة نبي الله هود حيث انتقلت في عهده من الزيارة الشرعية على طريقة الفقهاء إلى الطريقة الصوفية طريقة المدد والتبرك بالمزار وأصبح لهذه الزيارة عوائد وطقوس منذ القرن التاسع[١].

- زيارة المهاجر أحمد بن عيسى وكانت زيارة على طريقة الفقهاء من غير جموع عبارة عن التسليم على الميت والدعاء له والترحم عليه والاتعاظ بذكر الموت وأما في زمن العيدروس فقد انتقلت إلى طريقة الصوفية التي تتناول التوسل والاستمداد والتبرك بالمزار[٢].

وقد غطت زيارات الصوفية العام الهجري من خلال انعقاده في معظم شهوره.

شهر المحرم وأهم الزيارات فيه:

- زيارة ضريح المهاجر بالحسيسة شرقي سيؤن يحضرها جمع من تريم وسيؤن يتفقون في يوم من أيام المحرم وقد أعادها علي أبو بكر العدني وأضاف بأسلوب الحلقة العلمية.

- زيارة عباد بن بشر وقد أظهر الكشف الصوفي قبره في شرقي تريم وزيارته تقام بعد مرور عشرة أيام من شهر محرم ويحضرها جمع غفير يتقدمهم آل الخطيب الذين أظهر الكشف الصوفي أ م أبناءه[٣].

- زيارة ضريح سالم بن عمر العطاس في الشحر وتكون في النصف من المحرم بالدخول إلى القبر والتمسح به والإنشاد والسماع وكانت زيارة مشهودة يخرج الدولة علي بن ناجي بنفسه في جملة من العسكر وقد عم البلاء بحضور النساء ويقول بعض الحمقى والأراذل أن الولي بحره يسع الكل[٤].

شهر ربيع الأول ومن أشهر الزيارات فيه:

زيارة ضريح علي بن حسن العطاس في المشهد بالقرب من حريضة وتقام في الثاني عشر منه وقد كان يحتفل بالمولد النبوي فيتقاطر الناس في كل عام ويجتمع فيها الجموع الغفيرة من كل ناحية حتى لا يكون لها

---

(١) زيارة نبي الله هود للصبان.

(٢) مخطوطة تقييد الفرائد تأليف عبدالله بن حسن بلفقيه.

(٣) الدليل القويم في شيء من عادات تريم (ص:١٧) وقد راجع هذا الكتاب سالم الشاطري وأبو بكر المشهور العدني وعمر بن محمد بن حفيظ.

(٤) النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية.

شبيه سوى أيام الحج او زيارة النبي هود على حد صاحب كتاب الأشواق القوية[١].

شهر ربيع الثاني ومن أهم الزيارات فيه:

زيارة ضريح علي الحبشي بسيؤن أو زيارة الحول ويتوافد أتباع الصوفية إلى سيؤن لحضور الجلسات في القبة التي تحوي ضريحه ففي اليوم الثامن عشر يعقد اجتماع كبير بمناسبة تلبيسة - إلباس - التابوت ويتحرك الموكب بالسماع والإنشاد ويوم العشرين يتم الاحتفال الكبير الذي يضم الجموع الغفيرة التي تفد من معظم البلدان ويلتف الناس داخل القبة وحولها[٢].

شهر جمادى الآخرة ومن أهم الزيارات فيه زيارة ضريح عمر بن محمد الدار بالقطن إلا أ ا تحولت في السنوات الأخيرة إلى سوق تجاري يعرض في التجار بضاعتهم.

شهر رجب ومن أهم الزيارات فيه زيارة ضريح سعيد بن عيسى العمودي كانت تقام في آخر جمعة منه بقيدون من وادي دوعن ويبتدئ ورود الناس من يوم الخميس و يأ القبة وتجلل بالزينة ويجتمع الناس لها وتكون أهم الوفود كما ذكرت في الشامل:

- وفد البادية الذين يفون عشية الخميس بزاملهم وأشعارهم التي يصفون فيها بعد الشقة وأ م يبغون الغيث ويسلمون ما أتوا به من نذور ومن الغريب أ م يهلون بالزيارة بقولهم عموم يا شيخ سعيد أي قصدنا غيثا يعم البلاد.

- زيارة العبيد الذين يدخلون في زفتهم إلى القبة ويصلون ولإمام يخطب وهم بضجيج المزامير وهنا تمتلئ الشوارع بالنساء والرجال يموج بعضهم في بعض ويقول الأراذل والحمقى أن بحر الشيخ سعيد يحمل إثمهم.

- وفد الصوفية أهل المسابح والبرهان وهؤلاء يكونون في ضيافة برزخية مع الشيخ سعيد كما يزعمون[٣].

شهر شعبان وأهم زيارة فيه زيارة قبر نبي الله هود المزعوم في الشعب الكائن على أقل من مرحلتين شرقي تريم وتبدأ الزيارة بالاغتسال في النهر الذي يقولون أنه من أ ار الجنة ثم يركع الزائر عند حصاة عمر المحضار ثم يسلم على البئر التي تجتمع فيها أرواح الأنبياء كما يدعون والله أعلم بما يوعون ثم الصعود إلى القبر بأدب ويسلم الزائر عليه ويقرأ سورة هود وقد حددت للوفود زيارات محددة لعل أهمها وقفة زيارة آل أبي بكر بن سالم صباح اليوم العاشر كما قيل.

---

(١) الأشواق القوية (ص:١٢١).

(٢) الدليل القويم في عادات تريم (ص:٣٤).

(٣) الشامل تأليف علوي بن طاهر الحداد (ص:٢١٣) وانظر تذكير الناس (ص:٢١٦).

وقفة تشبه بالحج الأرض منها ترتج يدعون في ذاك الفج بصوت واحد يا هود[١].

ويذكرون أن الزيارة ملتقى لعدد كبير من الأولياء والصالحين أهل الظاهر وأهل الغيب وقد نقل عن السقاف في الجوهر الشفاف أنه قال: نحن مواعدون صالحين كثيرين من كل جهة لا يحصيهم إلا الله نلقاهم عند قبر النبي هود، وفي موضع آخر منه ذكر بعض هؤلاء الصالحين ومنهم صفراء بنت خطلاء جاءت من الهند في خمس وعشرين بكرا من الصالحات من غير الظاهر فلقيهن في جبانة تريم فواعدهن أن يلتقي ن عند قبر النبي هود[٢].

زيارة أولياء تريم:

تحتل تربة تريم قداسة عند صوفية حضرموت لأنه قد ثوى فيها عدد من الأقطاب ومن مناسك زيار م البدء بزيارة الفقيه المقدم وهو تقليد شيعي قالوا من زار جده قبل زيارة الفقيه بطلت زيارته وقد قيل شعرا.

وزر الفقيه بالأول وعن الفقيه فسائل

وبعد من شئت فزر شموسهم ثم البدور

وعلى قبورهم فدر الخير عندهم يدور

وكن طريح جفنك فريح حول الضريح

وللتراب فقبل ولا تطيع العواذل[٣].

وقد تم ترتيب الزيارة في كتب خاصة صدر منها كتاب جديد بعنوان مرهم السقيم في زيارة تربة تريم لعلي بن أحمد الجنيد.

ثانيا بناء القباب على الأضرحة:

تعد قبة الصوفي لكبير عبدالله بن أبي بكر العيدروس (ت:٨٦٥هـ) أشهر القباب من حيث التاريخ والمكانة وقد ذكرها ابنه العدني ت ٩١٤ بقوله.

وقبة الشيخ المنور العيدروس بحر الدرر:

هذا من حيث الاشتهار أما من حيث البداية فقد ذكر الخطيب في برد النعيم أن السلطان عمر بن مسعود بنى على قبلا أبيه قبة وكان أبوه سلطانا فتصوف توفي (٦٤٨هـ) وقيل فيها (في قبة السعد يا فوز لزائرها) وقد أشار خرد باعلوي في غرره أنه كانت على قبر سالم بن بصري (ت:٦٠٤هـ) قبة عظيمة حيث يزار

---

(١) انظر مراسيم الزيارة التي استوفاها صاحب بذل ا هود.
(٢) (٤٧/٢).
(٣) المنهل العجيب الصاف.

ويتبرك به ثم لطول الزمن خربت كما خربت قبة السلطان مسعود وربما كانت في تربة تريم كثيرا من لقباب كما يفيده قول علي بن أبي بكر السكران (ت:٨٩٥هـ) سعد حيا الله قباب بشار.

أما بعد القرن التاسع فقد انفرط العقد وانكسر الباب وشيدت القباب على قبور الأولياء وصارت هذه القباب مورد الزائرين وكما غطت الزيارات البعد الزماني فإن القباب قد غطت البعد المكاني لدى صوفية حضرموت[1].

ثالثا الإستنجاد بالمقبور:

خلط صوفية حضرموت بين التوسل والاستغاثة فجوزوا دعاء الأموات والاستغاثة م ولأن كان في بغداد عرف قبر معروف الكرخي الذي اشتر عندهم بأنه ترياق مجرب فاسع إلى صوفية حضرموت ينشدون.

وإن قيل ترياق لبغداد جربا ففي ربع بشار شفا كل معضل.

تريم ا منهم ألوف عديدة بساحة بشار شموس الهدى قل.

زيارة كل منهم صح أ ا لما شئت من جلب ودفع محصل.

هذا على سبيل الإيجاز وإليك تفصيل القبور كما في غرر البهاء على ما يأتي.

- أحمد بن عيسى زيارة قبره ترياق مجرب ونجاة من كل عطب وأمن من كل أذى وسبب.

- الفقيه المقدم: زيارة قبره ترياق مجرب وشفاء واق من الرب ودواء من كل عطب وبه يستسقى كل من أجدب.

- السقاف وقبره بتريم يعرف باستجابة الدعوات ونزول البركات وهو للعلل ترياق مجرب.

- عمر المحضار: قبره يزار ويتبرك به معروف باستجابة الدعوات وهو ترياق مجرب[2].

وفي ذكر ذخيرة المعاد أن بعض الزائرين للحداد استودع منه وطلب منه أن الله يجمعه به مرة أخرى فقال إن وجدتنا وإلا فقبورنا نائبة عنا هذا معنى كلامه.

وفي موضع آخر قال إن الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللآئذين به بعد موته أقوى من اعتنائه م في حياته لأنه في حياته مشغول بالتكاليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد[3].

كثيب عينات الترياق:

وفي أغلى الجواهر عقد باب (الكثيب المبارك بعينات) الذي فيه قبة أبي بكر بن سالم وكذلك في النهر

(١) انظر برد النعيم والمنهل العجيب الصاف والأشواق القوية.

(٢) الغرر (ص:٧٢-١٥٦-١٩٢-١٩٨).

(٣) (ص:٣٧).

المورود بقول مؤلفه: إن لسيدي أبي بكر بن سالم الكثيب المشهور بالترياق النافع للقريب والشاسع سيما ذوي العاهات المستحكمة مثل الجذام وغيره من العاهات المدنفة، والأمراض المزمنة، تضرب للتمرغ في أكباد الإبل من مسيرة أشهر، وذلك مشاهد إلى الآن ولهذا يقال لسيدي الشيخ مولى الكثيب قال بعضهم يمدحه.

وإن بك تعب أو محنة فاقصد كثيب الجنة!.

واطلب خلاصك منه تخلص بتوفيق الله[(١)].

وماذا بقي في التعلق بالله عز وجل؟ وكيف تقصد أكباد الإبل إلى تراب من الأرض؟ ثم يقف من يبرر هذه الأفعال بأن العامة لا يقصدون النفع والضر فيها؟ فيا لله للتوحيد،إلى أي مدى يضر التعلق بالأولياء!.

و فيما يتعلق بتعظيم المقبور ننتهي منه بتعليم الموتى القرآن بثلاث حكايات:

١ - قال أحمد بن محمد المحضار (ت:١٣٠٤هـ) لما كنت أتعلم القرآن ضربني المعلم ضربا مؤلما فهربت منه وجئت إلى قبر الشيخ يوسف بن أحمد بحر النور بدوعن (الرشيد) فلما دخلت عنده ظهر لي من قبره وعليه حلة ذهب وقال أنا أقرأك القرآن تعال إلى عندي كل يوم فكنت آتيه فيخرج من قبره ويقرأني وكنت إذا دخل علي الليل وأنا عنده يطلع قدامي يحمل الفانوس!![(٢)].

٢ - كان أحد ذرية أحمد بن زين الحبشي - اسمه عيسى بن عبد الله - أميا فلازم قبر جده أحمد إلى أن علمه القرآن وهو في قبره ولا عجب في ذلك إذ هو من جملة الكرامات[(٣)].

٣ - ما نقل عن هادون العطاس وأحمد باعشن أ ما كانا يقرآن في قبة عمر بن عبد الرحمن العطاس فسمع الأول منهما صوت من ضريح عمر يقرأ المقرأ الذي سيقرأه هادون بصوت كصوته وكان قد خرج.[(٤)].

سابعا - الولاية والسعي نحو الولاية:

لقد أضاف صوفية حضرموت إلى مجرى التصوف الـ عة إلى الولاية، والسعي نحو الإمامة وكان الدافع لتحقيق ذلك النسبة لآل البيت التي يتصف ا آل باعلوي ويقولون بالإمامة الخاصة م تحت عباءة التصوف ومظاهر هذه الـ عة للولاية عند الصوفية تتضح من خلال المسائل التالية:

الخلافة الباطنة أو الملك الحقيقي:

(١) النهر المورود - أغلى الجواهر (ص:١٠٢) وفي مجموع كلام أحمد السقاف حكاية في فضل الكثيب نعرض تنظر.

(٢) بشائر وطوالع سعود (ص:٦٥) رواه عنه أحمد بن حسن العطاس وعلي بن محمد الحبشي وفي تذكير الناس دخول أحمد المحضار ضريح خديجة بمكة حين ضرب خطيب الحرم لما أطال الخطبة وقصر الصلاة وعدا خلفه الناس والعسكر ومكث ثلاثة أيام ثم استشارها في البقاء حين طلـب منه ذلك فقالت إني أظهر عليكم أكثر بأرضكم!! انظر (ص:١٧٠) ومن شعره في هذا المعنى كما في تاج الأعراس: وتذكري بالله ما قلت لنا في عام خمسين الحديث الأول.

(٣) رحلة الأشواق القوية (ص:٢٠).

(٤) تاج الأعراس (٢٠٦/١).

إن التصوف بحضرموت يـ ع إلى الخلافة الباطنة بدلا عن الظاهرة منذ النشأة لأن حضرموت عاشت فتناً من التناحر حول السلطة بين القبائل ذات الشوكة لم تشهد خلاله استقراراً ولا أمنا، ومن هنا أدرك الفقيه المقدم محمد بن علي هذا الواقع المرير فاستعاض بالخلافة الباطنة حين كسر أداة الخلافة الظاهرة المتمثلة في السيف كما ورد في تاج الأعراس (إن الفقيه المقدم إنما تزيا بزي الفقراء وترك حمل السلاح لأمور منها أن يكون له ولأولاده سيف القدرة والبرهان المبين الحاضر!! فيكونون بذلك هم الملوك وهم أهل الشوكة والحماية وقد أشار الشاعر بقوله:

ملوك على التحقيق ليس لغيرهم من الملك إلا رسمه وعقابه)[1].

فالذي يسعون إليه إذا إقامة الخلافة التي لا تبعة فيها، وهي الملك الحقيقي الذي صورته الظاهرة بأيدي السلاطين الذين حازوا الاسم دون المسمى كما قال أبو بكر بن سالم:

نحن الملوك حقيقة لا غيرنا والله لا ملك سوانا يوجد.

ما للملوك ولاية غير اسمها وبذلك افتخروا به قد عربدوا.

الشوكة لأهل البيت:

يرى بعض المتأخرين أن الأمر أمرهم والشوكة لهم وأما السلطان القائم فهو نائب عنهم ويظهر هذا التقرير من مثالين أحدهما: حين زار أحمد بن حسن العطاس محمدا الأنبابي بمصر سأله الأنبابي قائلا: من سلطان حضرموت؟ فقال: أما الشوكة فهي لأهل البيت فما اختلف فيه من شئ فمرجعه إليهم ينظرون فيه بنور الله وإن أ م عليهم رفعوه على أيدي الابتهال إلى الله، وأما الرئاسة في الأمور الدنيوية فتؤول إلى رجل من همدان ورجل من حمير[2].

والثاني ما أجاب به أحمد بن محمد المحضار لما سئل في امة عن أمراء حضرموت فقال إن أحدهم من حمير، والثاني من همدان وأردف قائلا حين أدرك امتعاض السائل من جوابه: إنما هم خدام لنا والأمر أمرنا وتمثل بالبيت ملوك على التحقيق.......[3].

الإمامة الخاصة لأهل البيت:

لقد ذكروا أن الإمامة الخاصة لأهل البيت لا تكون في سواهم، فهم يتوارثو ا حتى يظهر المهدي الذي قرب زمانه، وحان أوانه، كما قال أبو بكر العيدروس شعرا.

بدر السعادة قد قرب طلوعه وسوف يظهر.

---

(١) تاج الأعراس (١٩٩/١).

(٢) تذكير الناس (ص:١٤٢).

(٣) نسيم حاجر (ص:٩).

إذا بدا الشهب تطيعه ولو تأخر.

قال علي بن حسن في الرياض المؤنقة: البدر المشار إليه هنا مما يظهر - والعلم عند الله - أنه المهدي المنتظر خروجه آخر الزمان من أهل البيت المصطفى المشار إليه في الأحاديث الصحيحة والصريحة وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما وقد أشار سيدنا عبدالله بن علوي الحداد شعرا(ومنا إمام حان حين خروجه)[1].

وأجاب أحمد بن حسن العطاس في تذكير الناس حين سئل عن دعاء الإمام علي زين العابدين في قوله (اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته لعبادك...فقال بأن المراد إمامة أهل البيت المشار إليها بقول الحداد (ومنا إمام حان حين خروجه) وهي مرتبة الإمام الخاصة التي يتوارثها أهل البيت إلى أن يظهر المهدي) وهذا صريح في الـ عة إلى الولاية وإقامة هذه الإمامة المـ وعة ويزيد الأمر وضوحا ما ذكره الشجار في تثبيت الفؤاد لما قرئ أن الشيخ عبدالله العيدروس أعطى الحداد وديعة بعد أن صافحه في واقعة: لعل الوديعة مقام القطبية والدعوة إلى الله وتجديد الدين فقال أحمد بن حسن العطاس كما في تذكير الناس (كلا ولكنها الإمامة الخاصة لأهل البيت التي لا تكون إلا فيهم ولا تصلح لغيرهم والظاهر أ ا بعد الحداد مخبية لم يحملها أحد)[2].

القول بالقطبانية:

القول بالقطب الذي يعد أكبر الأولياء لدى المتصوفة إنما خرج من رحم الرافضة وترعرع عندهم ثم استخدمه المتصوفة بعد ذلك وطوروه وأضافوا إليه وتواردوا عليه وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته ص ٤٠٢ بقوله::(وظهر منهم أيضاً القول بالقطب والأبدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة فهو الإمام ووالنقباء وأشربوا أقوال........ وقال(فاشرب كل واحد من الفريقين - الصوفية والإسماعيلية - مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشا ت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العرفين).

وما صرح به ابن خلدون يكاد يكون نفسه ما ذكره عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف في حديثه عن متصوفة حضرموت في رسالته نسيم حاجر:

(إن العلويين الحضرميين ومن لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإ م على أخيه إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عدا أو لا يضبط كثرة منهم من يقول إ ا لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عوضوا بالخلافة الباطنة فصارت إلى علي ثم ابنه ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذريا م ألا ترى أ م يقولون بقطبانية هؤلاء وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها).[3].

وأجاب الحداد أيضاً على سؤال عبد الله العمودي حول الأولياء بقوله (وأما أول من أقيم في رتبة القطبانية

(١) الرياض المؤنقة.

((٢ (ص:٢١٥).

(٣) نسيم حاجر (ص:٨).

فقيل أنه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل أبوبكر رضي الله عنه ثم على ترتيب الخلفاء ثم الحسن ثم الحسين ثم زين العابدين هكذا قيل وأما آخر من يقام فيها فالمهدي الفاطمي عليه السلام الذي يكون في آخر الزمان)[1].

وحتى لا يقعوا في التناقض فيما قرروه ويتخلصوا من الإشكال القائم بتسليمهم بخلافة الثلاثة وبين ما قرروه من اختصاص القطبانية بأهل البيت نجدهم تخلصوا من هذا المأزق بدعوى أن الإمام علي هو مظهر الخلفاء الثلاثة قال الحبشي في عقد اليواقيت في سياق الحديث عن الإمام علي (وهو الإنسان الكامل في وقته وأول مفرد في الولاية المورثة عن النبوة الختمية الجمعية الكمالية أحدية الجمع بعد وراثة أبي بكر وعمر وعثمان فاجتمعوا فيه وظهرت الجمعية الكمالية أحدية جمعه في مظاهر الكمل من الأولياء والورثة المحمديين الإلهيين وخصوصا في خلفه من أولادهم الذين هم أمنة الله في بلاده لما فيهم من البضعة النبوية)[2].

لقب السلطان:

وهو لقب يطلقونه على الولي الذي يمتلك الحل والعقد في الأمور وهو تطلّع للخلافة الظاهرة أو محاكاة لها ولو أخذنا ما ورد في ترجمة السقاف كمثال على هذه النقطة لكفانا دليلا عن غيره قيل فيه:

- كان يقول أنا جندار من جنادرة السلطان وهو الذي يدخل عليه من غير حجاب ولا يعارضه أحد فيما يريده ولا لأحد معه أمر والحكم حكمه ما شاء فعل ويأمر وينهى ولا معقب لأمره وهذه صفة القطب.

- وقيل فيه لم يكن في زمانه أشهر حالا منه ولا أمكن قدما ولا أطول باعا في أحكام الولاية ولا أنفذ تصريفا ولا أمضى حكما في الكون منه.

- قيل أن جميع الأولياء يشهدون له بالولاية العظمى وقد سئل في عدن بعض مريدي السقاف من شيخك؟ فذكر كلاما طويلا فقال له السائل: (أشهد أن شيخك عبدالرحمن والي الدنيا كلها شرقها وغر ا يولي من يشاء ويعزل من يشاء....)[3].

التولية والعزل:

لقد ظلت الا عة للإمامة لدى صوفية حضرموت هاجسا ظهر في كثير من حديثهم عن القطب الذي وصف بأنه الخليفة - صاحب الحل والعزل - السلطان - صاحب التمكين.

قال بحرق في مواهب القدوس في شرح بيت الذي يتوسل فيه العدني بجده السقاف:

رقى في رتبة التمكين مرقى وقد جمع الشريعة واليقينا.

---

(١) النفائس العلوية (ص:١٩-٣٤).

(٢) عقد اليواقيت (ص:٧).

(٣) الجوهر الشفاف (٢/٦٥-٨٥) شرح العينية (١٨٩).

المراد به التمكين عند السادة إقامة الله العبد خليفة عنه يتصرف في الكون بإذنه[١].

ومما يدل على امتلاك صفة التولية والعزل هذه القصة العجيبة وهي أن السقاف سار من تريم لزيارة الشيخ سعيد العمودي فلما وصل إلى تريس وجد الحرب قائمة بين ابن ثعلب وخصمائه وما حصل من تعب فأنثى راجعاً إلى الشيخة العارفة بالله سلطانة بنت علي وقال لها نريد والياً عدلاً لحضرموت فاتفقا على أن يكون الوالي أول من يدخل عليهم في ذلك المسجد، فدخل رجل سقاء يحمل الماء على ظهره فقالا له: ولّيناك على حضرموت بأسرها فقال كيف أكون والياً وأنا ذا الحال،.....فاستولى على حضرموت من ذلك اليوم وهو السلطان جعفر أحد أجداد آل كثير[٢] وهذه القصة على التسليم ا مفادها أمران: -.

أحدهما: التصرف في الملك بالعزل والتولية يكون بالأولياء ومنهم السقاف الذي شهد له المشائخ بالولاية العظمى.

وثانيهما: عزو تولية السلاطين في حضرموت إلى المتصوفة الذين يبدون ويعيدون فيها. وهذا السلطان المشار إليه في القصة هو جعفر بن بدر بن محمد بن عمر بن كثير وأولاده عمر ومدرك ويماني هم الذين أسسوا الدولة الكثيرية (٧٨١هـ) وخلف عمر بن جعفر ابنه علي الذي ولد ببور وأنشأ السلطنة (٨١٦هـ).

وذكر بامطرف أن المشاع في الأوساط الروحية أن آل كثير كانوا قد دعا لهم الفقيه المقدم في عصره بالنصر لدى بروز شوكتهم في وادي حضرموت قبل أن يصلوا إلى مقام السلطنة أ.هـ وقد رسخ عند العامة هذا الاعتقاد وهو ما عبر عنه الشاعر الشعبي المعلم عبد الحق حين مدح آل كثير في بعض انتصارا م فقال في الشعر الحميني:

قد سبقت الدعوة لهم من نطق فخر ملتجائي.

لي عامد المقطب محمد له دعا ما هو دعائي.

كما مدحهم في قصيدة أخرى بمناسبة انتصارهم على يافع في وقعة المحايل فقال:

يعطيه حذاق آل بدر محمد لي هادوا بالدعوة المقبولة.

وآل بدر محمد أو الصحيح آل محمد بن بدر هم السلاطين آل عبد الله الذي أصيب بجذبة ربانية فتدروش عام ١٠٢٤ هـ.[٣].

ومما يمكن الاستشهاد به في هذا الباب ما قاله صالح بن علي الحامد في تاريخه حينما قامت الدولة الكثيرية في تريم على أنقاض دولة آل يماني: وهكذا استمرت دولة آل يماني بتريم حتى شاء الله أن يشاء العلويون بعد

---

(١) (ص:٤٥).

(٢) تذكير الناس (١٧٩).

(٣) المعلم عبد الحق (ص:١٧).

اختبارهم الدولة الكثيرية ومعرفة حسن سير ا أن تنضم تريم إليها[1].

حِمى الأولياء:

وهي ما تسمى بحضرموت الحوطة وهو مصطلح نشأ في الوسط الصوفي متأثرا بالشيعة وهي تعد حمى للولي لا يظلم فيها ولا يحدث أحد حدثا إلا عجلت عقوبته لأ ا في حماية الولي جاء في الغرر (فكل من آذى أهل حوطة حوطها من ساكنيها أو نالهم بمكروه عوقب في الحال في حياته وبعد مماته في ذريته)[2].

ولاشك أن مدينة تريم التي ثوى فيها عدد من الأقطاب داخلة في الحماية كما نسب إلى عمر المحضار أ ا في حماية السادة العلويين بقوله:

تريم أمست لنا فرض علينا ونحن أهل الكتب وأهل القرآت.

تريم هي حمانا إن أتوها جيوش البغي بالسوء نووها.

أتيناهم بفرسان ملوها عدمنا خيلنا إن لم تروها.

على سوم الجنينة ملبسات.

وفي تذكير الناس في حوار في البرزخ أن عمر المحضار قال لأخيه أبي بكر السكران أنا المتدرك لتريم وهؤلاء العتاة علي. يقصد حين تفاحش الجور ا من آل غرامة.[3].

وفي السياق ذاته يأتي ما نظمه أبو بكر بن شهاب في الرائية من الديوان حين تغيرت الأحوال في تريم مخاطبا عمر المحضار بقوله:

أدرك حماك مدينة الأجداد من مرض سرى في الدار والديار.

قم يا عمر محضار واجبر صدعها عار عليك وقوعها في العار.

حرمتها وضمنت أمن ربوعها يا كعبة الحجاج والزوار.

فرض حمايتها عليك كما وعد ت وأنت سلطان الحماة الجار.

---

(١) تاريخ الحامد (ص:٥٣٠/٢) ومما يستغرب إيراده أيضا مما يدل على أبعد من التولية من قبل الأولياء الأحياء هو الرجوع إلى الموتى في تعـيين السلطان وهو القبورية التي عنيت في الفصل السابق فقد ورد في مجموع كلام ابن شهاب أن الشيخ عبد الله بن مصلح الخرساني كان يخـرج عند قبر أحد الأولياء بتريم طالبا واليا لتريم!! فرأى صاحب القبر يجيب بأن الوالي هو المنصور ولكن جاء غالب بن محسن من الهند وتولى تـريم وحضرموت فعاد الخرساني إلى القبر متسائلا فقال صاحب القبر أن غالبا يأتي بالمنصور فتولى ابنه المنصور بعد أبيه.

(٢) (ص:٤٠٤) وفي الغرر أيضا أن لمحمد بن علي ساكن عيديد له بوادي عيديد حوطة مشهورة بالحماية والحشمة ما أحد يهم فيها بـأمر غـير مرضي ويأخذ منها شيئا إلا عاجلته العقوبة في الوقت والحين قلت والتأثر بالشيعة يكمن فيما زعموا أن للإمام علي حرما وهو الكوفـة وأن لجعفر حرما وهو قم وأن كربلاء حرما آمنا للحسين بحار الأنوار.

(٣) (ص:٢٣٥).

ثامنا - التشابه بين الكرامات:

إن المتأمل لكثير من الشطحات والكرامات الواردة في الفكر الصوفي الحضرمي يجدها متطابقة في المعنى أحيانا، وفي اللفظ حينا آخر لما نسب لمشاهير المتصوفة في الطرق الكبيرة المشهورة مما يدل على أحد أمرين إما استنساخها من قبل المتأخرين أو وقوع الحافر على الحافر، فقد حاكوا ما تضمنته سير المتقدمين من دعاوى عريضة لم يكونوا بالغيها والسبب يعزى لكو م يرون أن هؤلاء المتقدمين قد بلغوا القمة علواً، وغاصوا إلى الأعماق نزولا، فأتوا بما يستطاع أن يقال، وأوفوا بما لا مزيد عليه فما كان من المتأخرين إلا أن طفقوا يقلدو م وصاروا بذلك كلا عليهم لا سيما كتاب الفيوضات الربانية المنسوب إلى الجيلاني - وكان يقرأ بطبعته الحجرية والآن يباع بطبعة جديدة - وهذه أمثلة توضح هذا التشابه الكبير في الكرامات:

الأول: سبق في شطحات المنسوبة إلى العيدروس قوله في ذكر الأشياء التي أعطاه الله إياها (الأول: قدمي الطاهر اليمنى دعست على رقبة كل لله تعالى في جميع الأزمان من غير مبالاة).

وقد صاغها شعرا شيخ بن عبدالله كما في المنهل العجيب حاكيا هذه العبارة بقوله:

فابن أبي بكر العيدروس الولي العرف المكين.

طال قدمي على أم رؤوس بأمر ذي القوة المتين.

وهذه الشطحة نسبت قبله إلى الجيلاني إلا أ ا بأقل مبالغة ومع ذلك استعظمها بعض الصوفية قال الجيلاني (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله) وقد اشتهرت هذه العبارة في مناقبه عند صوفية حضرموت حتى قال الحداد في الرائية التي يمدح فيها الجيلاني:

قد قال في أمر على كرسيه قدمي على أعناق كل دوائري.

وقد عدها السهروردي تجاسرا وصرح بأ ا من شطحات الشيوخ التي لا يقتدى م فيها ولكن بعض الصوفية لم يلتفتوا إلى ذلك لا سيما الحضرميين فانظر إلى ما قاله أحمد بن حسن العطاس كما في تذكير الناس حين سئل هل قالها الجيلاني بلسانه أم قيلت على لسانه فقال: قال الشيخ عبد القادر هذه الكلمة بلسانه وقليل في حقه ولا يزال فيكل زمان قائل ذه الكلمة وقد ذكر هذا المقام ورتبه والقائل به الشيخ محيي الدين ابن عربي)[1] ونستفيد منه ثلاثة أمور.

- أن هذه اللفظة قليل في حق الجيلاني!! ولا ندري ما مقامه عند الصوفية.
- استمرار القائلين ا وهذه مجازفة عظيمة.
- الرجوع في ذلك إلى من هدم الدين وهو ابن عربي.

(١) تذكير الناس (ص:١٤١).

ولقد استساغ البعض قول الجيلاني على ما فيه من مبالغة حتى قال اليافعي في روض الرياحين (لم يبق أحد من الأولياء في ذلك العصر من الحاضرين والغائبين في جميع أقطار الأرض إلا مد رقبته إلا رجل بأصبهان أبى فسلب حاله ومنن طأطأ رأسه أبو نجيب السهروردي وأبو مدين المغربي وأحمد الرفاعي)[١] ولكنهم سيشرقون بقول العيدروس أن قدمه على رقبة الأولياء في جميع الأزمان فلن يجدوا لها تأويلا مناسبا.

وكذلك وقفت في سياحتي هذه أيضا على صوفي من حضرموت آخر ادعى هذا المقام وهو معروف باجمال قال كما في الرب الرؤوف (قدمي على رقبة كل ولي لله)[٢].

وقال أحمد بن حسن العطاس أن عمر بن عبد الرحمن العطاس قد قال هذه الكلمة يعني (قدمي على رقبة كل ولي لله تعالى) قال وهو جدير ا[٣].

المثال الثاني: ما يتعلق بأثر نظرة الشيخ ونفعها في سلوك المريد وقد سبق الكلام على أهمية في بابه وقد نقل عن السابقين كما في(في عقود الآل) ما يلي:

- قال أبو القاسم الغازي: كل من رآني أو رأي من رآني لم يدخل النار.

- قال محمد بن بو على: أن النبي قال له النار لا تمس من رآك أو رأى من رآك أو رأى من رأى من رآك.

- قال عبد الرحمن الثعالبي: من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة.

وعلى هذه الطريقة نفسها نسج بعض متصوفة حضرموت غزلاً مثيلاً، فقد ورد في شرح العينية أن أبا بكر بن سالم قال أن ناظره في الجنة. وزاد صاحب عقد اليواقيت: ناظري وناظر ناظري في الجنة. وزاد صاحب كتاب النهر المورود: فأنا ضمينه غدا في الجنة وأن يتخلص من ذنوبه غدا كالمولود من بطن أمه ولو كانت ذنوبه تملأ السموات والأرض. ونقل ذلك محمد بن عنقاء اليمني شعرا فقال:

وفيمن رآه أو رأى من رآه أو رأى من رآه فهو أفضل مؤمل.

وقد قاله لي في منام رأيته حباني فيه كل خير مسهل.

وتصديقا لهذا قال عبد الرحمن بن شيخ عيديد لمن حضره كما في شرح العينية: انظروا إليّ لأني نظرت الشيخ أبا بكر وناظره في الجنة[٤].

- وقال عبد القادر بن عمر بايزيد لصالح بن عبد الله العطاس (ت:١٢٧٩هـ) إن الحبيب عبد الله الحداد

---

(١) روض الرياحين.

(٢) الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف.

(٣) تنوير الأغلاس (٣٣١/٢).

(٤) عقود اللآل تأليف عيدروس بن عمر - شرح العينية ترجمة أبي بكر بن سالم - النهر المورود.

يقول: ناظري وناظر ناظري في الجنة فقال: صدق الحبيب عبد الله في قوله، وأنا أقول كذلك ناظري وناظر ناظري في الجنة[1].

- وممن نقلت عنه أيضا علي بن حسن العطاس (ت:١١٧٢هـ) بقوله ناظري وناظر ناظري في الجنة.[2].

- كما وردت أيضا عن محمد ا ذوب صاحب سواكن كان يقول ناظري وناظر ناظري ويكررها إلى أن ينقطع نفسه ثم يقول ناظري وناظر ناظري في الجنة[3].

المثال الثالث: ما ورد في ديوان أبي بكر بن سالم.

فيا ساكرا منها فيهناك سفها سكرت ا من قبل مظهر طينتي.

وفي نار إبراهيم كنت موحدا ولي في سفينة نوح سهم وحصتي.

ولي عند تكليم الكليم بشائر بطور التجلي من تجليه دكت.

وهو صدى لما ينسب إلى الجيلاني في الفيوضات الربانية وهو كتاب مشهور لدى صوفية حضرموت بطبعات متعددة، ونسبها الشعراني في الطبقات إلى إبراهيم الدسوقي[4]:

أنا الواحد الفرد الكبير لذاته أنا الواصف الموصوف شيخ الطريقة!!.

أنا كنت مع نوح أشاهد في الورى بحارا وطوفانا على كف قدرة.

أنا كنت مع إبراهيم ملقى بناره وما برد النيران إلا بدعوتي.

وهي طويلة ذكر أنه كان مع إسماعيل ويعقوب وإدريس وأيوب.

والقصيدة نسبها الشعراني في الطبقات لإبراهيم الدسوقي وهنا يتضح أ ا مفترية على الجيلاني التي تأبى سيرته مثل هذه الترهات.

المثال الرابع: ما وصف به السقاف أباه مولى الدويلة بأن أول قدمه بتخوم الأرض والآخر بساق العرش كما في شرح العينية وهو يتفق تماما مع ما نسب إلى الجيلاني من قوله:

ذراعي من فوق السموات كلها ومن تحت بطن الحوت أمددت راحتي.

---

(١) تاج الأعراس (٦٥/١) وقد عدها المؤلف أنه أذن له بالتحدث في هذه الكلمة المشهورة وقال لايتبادر إلى الذهن أ ا من بنات الأفكار لأ ا لا يقولها إلا الخواص عن إذن خاص..

(٢) تاج الأعراس (٦٦/١) وفي ذلك قصة حين جرى ذكرها ببندر باكلنقان..

(٣) تنوير الأغلاس (٣٨٤/٢) وكذا بنصها في كنوز السعادة (ص:٥٨).

(٤) كنت قد عثرت على طبعة حجرية متآكلة ثم إذ بي أراها في المكتبات تباع بطبعة جديدة فأدركت حين إذ الضرر الذي جلبته هذه المطبوعـة على صوفية حضرموت.

وكذلك ما قاله مولى الدويله في الفناء بأنه (نزل علينا شئ لو نزل على الجبال لجعلها سمادا) مقتبس من الكتاب المنسوب للجيلاني في شعره:

وشاهدت معنى لو بدا كشف سره بصم الجبال الراسيات لدكت.

المثال الخامس: ما ورد في كنوز السعادة الأبدية أن أبا بكر العطاس لما وضع السبحة كانت تذكر الله وحدها تعد حبة حبة، وهذه سبحة شبيهة بسبحة الشيخ أبي الوفاء التي أعطاها الجيلاني وكان إذا وضعها على الأرض تدور حبة حبة كما ذكره باسودان في الذخيرة(١).

المثال السادس: قال أبو بكر العدني في قصيدة الوسيلة حين أتى إلى ذكر أبيه فقال:

وذكر العيدروس القطب أجلا عن القلب الصدا للعارفين(٢).

وهو مقتبس مما نسب للجيلاني:

وذكري جلا الأبصار بعد غشائها وأحيا فؤاد الصب بعد القطيعة.

وقد فسر قول العيدروس محمد بن عمر بحرق - تلميذ أبي بكر العدني - في مواهب القدوس بقوله (وذكر أحوال العيدروس أزال من القلب ما عليه من الكرب لما ذكرها بصدق) وليس كما فهمه أبو بكر المشهور أن المراد بالذكر مجموعة الأذكار المأثورة التي رتبها العيدروس.(٣).

المثال السابع: وقد يختلف الاقتباس مع البقاء على الفكرة العامة ومن ذلك ما نسب إلى أن مولى الدويلة حين أنكر عليه أبو حميد ملاطفته للنسوة - كان له ن علاقة من جهة الأم على حد تعبير الخطيب في الجوهر الشفاف - فلما نام أبو حميد وقام ليتوضأ فقد فرجه وخصيتيه!! وبقي كالمرأة فاستغفر الله، فقال له الشيخ: ما نخاطبهن إلا ونحن مثلك ثم عاد له ما فقد.

وأما القصة الأخرى المشا ة فهي ما ذكره اليافعي في نشر المحاسن من قصة الرجل الذي أنكر على الفقراء وكانت زوجته عندهم بقوله: هؤلاء الفاعلون التاركون يسمعون والنساء عندهم. فشعر بحرقان بول، فتنحى ليبول فوجد فرج امرأة، فرجع إلى الشيخ. فقال له: هكذا يكون الفقراء إذا جلس عندهم النساء،فاستغفر الرجل الله.(٤).

---

(١) كنوز السعادة (ص:٤٩).

(٢) وأعجب بقول أحمد بن زين بن سميط قوله أنه روي عن بعض المنتسبين إلى العيدروس كان يحفظ القصيدة التي منها هـذا البيـت (وذكـر العيدروس) فرآه بعضهم في المنام أنه تنازع فيه ملكا القبر أحدهما يريد يسأله فقال الآخر خله - أي دعه - فإنه يحفظ هذه القصيدة فأجابـه الآخر بأنه لا يقيم أبياته فرد عليه الأول لكنه يقيم هذا البيت بلا تغيير انظر مجموع كلامه. والرؤيا المنامية برمتها أيضا في فيض الأسرار وكذا انظر تثبيت الفؤاد (١٦٠/١).

(٣) مواهب القدوس (ص:٤٧) - سلسلة أعلام حضرموت العدد (١٣) (ص:١٤٩).

(٤) انظر الجوهر الشفاف ترجمة مولى الدويلة.

وسواء فقد المنكر الأول فرجه، أم وجد الثاني فرج امرأة، فإن الملمح الذي يؤخذ منهما عدم الاعتراض على الصوفي فيما يخالف فيه الظاهر والتسليم له في مشكل في الظاهر.

المثال الثامن: ما نقل عن شيخ بن عبدالله العيدروس قوله أنا النقطة التي تحت الباء قد ذكرها السراج في اللمع منسوبة للشبلي. وتقدمت الإشارة إلى معرفة معناها من جهة الكشف وفي جوابات زين العابدين بن عبد الله بن شيخ على رسائل عمر بن أحمد باشراحيل حين سئل عن الباء والنقطة ما يفيد هذا التشابه حين قال في جوابه:

(قال سيدنا الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه الباء أول افتتاح القرآن، وأول كل بسملة فيه، وجميع العلوم من القرآن الدال على علم الغيب والشهادة وعالم الجبروت وعالم الملكوت، فيقول بسم الله الرحمن الرحيم بالباء ظهور الوجود، وبالنقطة تميز العابد من المعبود، قيل للشبلي أنت الشبلي؟ قال: أنا النقطة التي تحت الباء، فالنقطة للتميز، وهو وجود العبد بما يقتضيه حقيقة العبودية، وكان الشيخ أبو مدين يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة، فالباء المصاحبة للموجودات من حضرة الربوبية في مقام جمع الجمع، والباء تعطي معرفة الصفات بالنقطة التي تحتها، فصار في الباء الأشكال الثلاثة الباء والنقطة والحركة، والباء هي ملكوتية، والنقطة جبروتية، والحركة شهادة، والألف المحذوفة التي هي بدل منها هي الحقيقة القائمة بالكل، وقال في موضع آخر وبالباء تكونت الأشياء صورة ومعنى لأ ا نطقت أعني ذرات الكائنات بسر الباء فجميع الموجودات سر الباء!)[1].

المثال التاسع: ما نقل في كنوز السعادة ومجموع كلام أحمد بن عبدالقادر منسوبا إلى ا ذوب أحمد الهدار - أحد المتأخرين - حيث كان إذا مرت به امرأة في الطريق يمسك بثديها.قال في كنوز السعادة: والحكمة في ذلك أنه يخرج شهوة الزنا منها!![2].

وتشبه هذه القصة من حيث الحكمة ما نقل في تنوير الأغلاس من قصة ا ذوب الذي يركِب النساء على حماره فإذا وصلت إلى حيث تريد قبلها!! فأنكر عليه الشعراني هذا بظاهره وباطنه فلما جرى منه ذلك فقد حاله وسبه ما معه! فشكى إلى الخواص واستغفر الشعراني من ذنبه وطلب منه أن يرد حاله فقال ا ذوب ليذهب إلى الباب الفلاني ويأكل ما وجد فمضى الشعراني فوجد وزغا فأكلها فرجع حاله!! قال العطاس وكانت الحكمة في ذلك أن كل من قبلها ذلك الرجل لا تزني طول حيا ا!![3].

المثال العاشر ما حكاه الشرجي في طبقات الخواص أن إبراهيم بن عبد الله بن زكريا (ت:٦٠٩هـ) رأى النبي في المنام فقال له يا إبراهيم اقرأ سورة مريم قال: فقرأ ا عليه حتى وصلت إلى قوله تعالى (وإن منكم إلا

---

(١) السلسلة القدوسية (٥٣٢/٢) وانظر شطحات الصوفية (ص:٤٤) قال معلقا على قول.

وقد أشار الكيلاني في الإنسان الكامل إلى مؤلف له في النقطة من بسم الله فلينظر.

(٢) كنوز السعادة (ص:١٧٨) مجموع كلام أحمد بن عبد الرحمن السقاف جمعه نجله عبد القادر (ص:٧٢).

(٣) تنوير الأغلاس (٢٨٢/٢).

واردها) فقال: نعم يا إبراهيم إلا أهل اليمن فقلت أي أهل اليمن يا رسول الله فقال أتم السورة فلما أتممتها فقال يا إبراهيم أهل اليمن من المحالب إلى حيس قلت: وبم نالوا ذلك يا رسول الله؟ فقال بصبرهم على جور ولا م.

وهذا يشبه ما يذكرونه من فضائل حضرموت وأن أبا بكر الحسن البكري ذكر في تفسيره عند قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها...) أنه يستثنى من ذلك أهل حضرموت لأ م أهل ضنك في المعيشة. وزاد الطين بلة علي بن محمد الحبشي حين ادعى أن استثناء (إلا أهل حضرموت) قراءة شاذة، قال نبه عليه أبو الحسن البكري لجور ولا م وضنك معيشتهم!![1] قلت: والذي نبه عليه البكري استثناء من غير الزعم أنه قراءة شاذة فمن أين هذا القول الخطير؟.

تتطابق في **القصص:**

وقد تتطابق القصتان تماما في إطار الفكر نفسه، ونذكر على سبيل المثال قصتين إحداهما: أنه كانت بين أبي بكر بن سالم وعبيد بن عبد الملك بانافع (ت:١٠٠٦هـ) أخوة ومحبة فأعطى أبو بكر بن سالم خاتمه لعبيد بانافع، وأخذ خاتم عبيد، وقال له: من سبق به الأجل سيسقط خاتمه من يد صاحبه أمارة على موته فليحضر دفنه، فكان أبو بكر بن سالم هو الذي سبق به الأجل، وكان عبيد حينها نازلا في أحور فسقط الخاتم من يده في صلاة الضحى فركب على ناقته وحملته القدرة الإلهية هو ورديفه ابن مرشد، وقال له لا تفتح عينيك، فلما كان في أثناء الطريق فتح مرشد عينيه فهتف عليه بقوله عمى! فقال: يا سيدي واحدة! فقال واحدة إلى ولد ولدك فوصلوا عينات ووجد من حضر مرادهم يحملون الشيخ أبا بكر بن سالم فلم يقدروا حتى وصل عبيد فقال شلوا وقولوا (أربعة شلوا الجمل والجمل ما شلهم) فهو أول من قالها، ثم طهره وكفنه هو ومن معه حتى أنزلوه قبره، فكان عبيد تولى توسيده في القبر، وفك العصابات منه، ولما كشف عن وجهه قال له: مرحبا بصادق الوعد!![2].

والقصة الثانية التي تتطابق معها أنه وقعت بين صالح بن عبد الله الحامد (ت:١٢١١هـ) ومحمد الجيلاني بجهة حبان ألفة ومحبة في الله، فقال محمد الجيلاني لصالح بن عبد الله من كانت وفاته منا قبل فليحضر أخوه عند دفنه، وجعلا لذلك علامة بينهما، وهو أن يسقط خاتم الحي، فبعد مدة من الزمن سقط خاتم صالح بن عبد الله من أصبعه وهو ببلد عمقين، فعرف بذلك وفاة الجيلاني وهو إذ ذاك بروضة بني إسرائيل وبين البلدين ثلاث مراحل، فقال صالح الحامد لمحبه الأمير محمد بن سعيد بن فهيد: سر معي ولا تخف وأردفه، وقال له: اغمض عينيك ولا تفتحهما فامتثل الأمير، وبعد زمن يسير قال افتح عينيك فإذا هما في الروضة، وكان من أمر أهلها أ م غسلوا محمدا المذكور وكفنوه فلما أرادوا حمله تعذر ذلك عليهم لشدة الثقل! وبينما هم يحتالون

(١) طبقات الخوا (ص:ص:٤٧) - النور السافر (ص:١١٨) - المواعظ الجلية (ص:٤٥).

(٢) ذكرها علي بن أبي بكر المشهور في سلسلة أعلام حضرموت العدد (١٥) (ص:٤٧) نقلا عن مخطوطة أبي نجمة.

على ذلك بكل وسيلة إذ قدم عليهم صالح بن عبد الله فصلى على الجنازة وقال لثلاثة من الحاضرين احملوا معي، ثم قال: بسم الله وعلى ملة رسول الله فارتفع النعش.

ولا يجد القارئ أي صعوبة في إيجاد أوجه الشبه السبعة بين القصتين، وقد تحمل الواقعة على التعدد كما قد تحمل على الاستنساخ مع التعديل الطفيف الذي لا يخل بالأصل.(١).

وأخيرا فإن مما يستوقف السائح في هذه الطريقة من طرق الصوفية ما يميزها من تسلسل الولاية في الأبناء والأحفاد وسريان الكرامات والخوارق إليهم ووراثتها وقسمتها قسمة تمييز، ولا يعدو حال من لحق بالمدرسة من غيرهم أن يكون منطويا فيهم، ويظهر ذلك جليا في سند الخرقة المسلسل بالآباء وهذا التسلسل في الولاية حقيقته أمر وهبي واصطفاء رباني يرجع إلى النسب وهو مراد العيدروس العدني بقوله:

فقنا على العشاق في كل مشهد   من مثلنا

ولو يطول من طال أو جد من جد   ما نالنا

وأرباب هذه الطريق ممن ذكر وتسلسل فيهم هذا الإرث جاء الحديث عنهم مفصلا في كتب التراجم وغيرها كالبرقة المشيقة والمشرع وغرر البهاء والعقد النبوي وشرح العينية وهناك ما يشير إلى سند آخر ولكنه مسلسل بالأبدال لآل الخطيب كما وضحه صاحب الجوهر الشفاف معلقا على قول محمد بن علي الخطيب أنا بدل ابن بدل وما يخلو منا البدل فاستنبط صاحب الجوهر ثلاث فوائد من هذا الكلام:

الأولى اطلاع الشيخ المذكور أنه بدل.

الثانية اطلاعه على أبيه أنه بدل.

الثالثة اطلاعه على المتخلفين من ذريته من أن لا يخلون من بدل(٢).

بل قد يتجاوز الأمر الخطباء ليصل حظ النساء من البدلية عدد كبيرا في أسرة واحدة بشبام وتظهر الكتب لنا واقعا ينبض بالمكاشفات والاطلاع على الخواطر يشارك فيه النساء من الشرفات فيقلن للشيخ أبي بكر بن سالم تلميذ معروف باجمال حين دخل شبام بعد وفاة شيخه: على حذوه يا ابن سالم، وللعبيد والموالي ومن لا يؤبه له أيضا مشاركة في المكاشفة وقد أراد بعضهم أن يعد الأولياء بشبام فأخذ سبحة وعد كل من يمر به منهم فمر واحد ممن لا يؤبه به فلم يعده فقال مكاشفا: فقال: ضع حبة!! - أي عدني منهم - فرمى الرجل بسبحته مسلما لكثر م(٣).

الختام:

---

(١) تاج الأعراس (١٣٤/١).

(٢) الجوهر الشفاف الحكاية السابعة والثمانون.

(٣) انظر كل من مخطوطات كنوز السعادة وتاج الأعراس ومواهب الرب الرؤوف.

وحسبي أن أمسك عنان القلم إلى هنا في هذه السياحة التي ما قمت ا إلا لبيان الحق حين أقدم المعاصرون على بيان الشق العملي وإخفاء الجانب الفلسفي أو ما نشأ من فروع لدى الغلاة، وإني إذ انتهى بنا المقام أدعو المتصوفة أن يقوموا لله مثنى وفرادى ويتفكروا في المفاهيم الأصيلة للتصوف ويكفوا عن الترويج لها تحت ستار الزهد والدعوة إلى الأخلاق وأن يعودوا إلى المعين الأصيل من الكتاب والسنة - والعود أحمد - ويدعوا ما لوث به التصوف الفلسفي الأفكار، فما جئت به من حق فليقبل وما كان من خطأ أو سهو فليصوب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه أكرم مبارك عصبان.

المراجع.

١ ـ الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب كرامات السادة الأشراف من آل باعلوي وغيرهم من الأولياء والصالحين الأكابر العراف تأليف عبدالرحمن بن محمد الخطيب خ.

٢ - مجموعة السلسلة العيدروسية.

٣ - المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي تأليف محمد بن أبي بكر الشلي.

٤ - الكبريت الأحمر عبدالله بن أبي بكر العيدروس مطبوع ضمن ا موعة العيدروسية.

٥ - النهر المورود في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم فخر الوجود جمعه الحسن بن إسماعيل الحامد (خ).

٦ - صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل جمعه محمد بن عوض بافضل - ط -.

٧ - نشر محاسن الأوصاف في ذكر مناقب سقاف بن محمد السقاف تأليف نجله حسن - ط - دار الحاوي.

٨ - غاية القصد والمراد في مناقب القطب الحداد محمد بن زين بن سميط دار إحياء الكتب العربية.

٩ - البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة تأليف علي بن أبي بكر السكران طبع في مصر.

١٠ - المواعظ الجلية من ا الس العلية من أنفاس علي الحبشي جمعها حفيه علي عبد القادر مكتبة الرباط بسيؤن.

١١ ـ من أعقاب البضعة المحمدية الطاهرة تأليف علوي بن محمد بلفقيه دار المهجر.

١٢ - كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية من أنفاس علي بن محمد الحبشي جمعه محسن بن عبدالله السقاف خ.

١٣ - تذكير الناس من مجموع كلام أحمد بن حسن العطاس جمعه أبوبكر بن عبدالله الحبشي مطبعة حسان القاهرة.

١٤ - المنهل العجيب الصاف في فضيلة وكيفية حضرة الشيخ عبدالرحمن السقاف جمعها عبدالرحمن بن محمد المشهور.

١٥ - شرح العينية تأليف أحمد بن زين الحبشي مطبعة جاوى المحدودة.

١٦ - مجموع كلام أحمد بن عبدالرحمن السقاف جمعه نجله عبدالقادر دار الفقيه للنشر والتوزيع.

١٧ - مطالع الأنوار بشرح رشفات السادة الأبرار تأليف عبدالله بن أحمد باسودان خ.

١٨ - برد النعيم في نسب الأنصار خطباء تريم خ.

١٩ - الغرر تأليف محمد بن علي خرد باعلوي مطابع المكتب المصري الحديث.

٢٠ - السنا الباهر في أعيان القرن العشر تأليف محمد بن أبي بكر الشلي.

٢١ - عقد اليواقيت الجوهرية تأليف عيدروس بن عمر الحبشي المطبعة العامرة الشرفية.

٢٢ - ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد تأليف عبدالله بن أحمد باسودان امش عقد اليواقيت.

٢٣ـ الخبايا في الزوايا تأليف عمر بن علوي الكاف دار الحاوي.

٢٤ - نشر النفحات المسكية تأليف باحسن مخطوط.

٢٥ ـمواهب الرب الرؤوف في مناقب الشيخ معروف تأليف محمد بن عبدالرحمن بن سراج خ.

٢٦ - الدر المدهش البهي في مناقب الشيخ سعد بن علي تأليف علي بن أبي بكر السكران خ.

٢٧ - لمعة النور من كرامات علي بن عبدالرحمن المشهور مخطوط.

٢٨ - النفحة المدنية في الأذكار القلبية تأليف عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس.

٢٩ - السلسلة القدوسية تأليف شيخ بن عبدالله العيدروس مخطوط.

٣٠ - مواهب القدوس في مناقب أبي بكر العيدروس تأليف محمد بن عمر بحرق مطبوع ضمن ا موعة العيدروسية.

٣١ معارج الأرواح تأليف أبي بكر بن سالم مخطوط.

٣٢ - التعرف على التصوف أحمد بن عبدالله بن شهاب تريم للدراسات والنشر.

٣٣ـ إتحاف السائل بأجوبة المسائل عبدالله بن علوي الحداد مطبعة لجنة البيان.

٣٤ - الروض المزهر شرح قصيدة مدهر أحمد بن علي الجنيد مخطوط.

٣٥ - فيض الأسرار تأليف عبدالله بن أحمد باسودان مخطوط.

٣٦ - تنوير الأغلاس جمع محمد عوض بافضل مخطوط.

٣٧ - الضوء اللامع في مولد النبي الشافع لعمر بن محمد بن حفيظ.

٣٨ - الدليل القويم في شيء من عادات تريم حامد بن محمد بن شهاب الدين.

٣٩ العرف العاطر عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس.

٤٠ ـ أغلى الجواهر المنتقى من تراجم أبي بكر بن سالم تاج الأكابر تأليف البحث العلمي لدار الأصول.

٤١ - الفيوضات الربانية من أنفاس السادة العلوية في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تأليف زين بن إبراهيم بن سيمط.

٤٢ - تاج الأعراس في مناقب صالح بن عبد الله العطاس علي بن حسين العطاس مخطوط.

٤٣ - الكوكب الدري في مناقب أحمد بن محمد الحبشي تصنيف زين بن علوي باعبود مخطوط.

٤٤ - الروض الباسم في مناقب الشيخ أبي بكر بن سالم تأليف عبد الله بن أبي بكر باشعيب مخطوط.

٤٥ - حلاوة القرطاس في مناقب أبي بكر بن عبد الله العطاس مخطوط.

٤٦ - الكوكب الزاهر على نسيم حاجر تأليف أحمد بن أبي بكر بن سميط.

٤٧ - تحقيقات تاريخية لما أسرة باحرمي من أفضلية.

٤٩ - تفريج القلوب وتفريج الكروب تأليف عمر بن سقاف السقاف.

٥٠ - الخبايا في الزوايا تأليف عمر بن أحمد الكاف.

٥١ رحلة الأشواق القوية إلى مواطن السادة العلوية تأليف عبد الله بن محمد باكثير وتعليق عبد الله بن محمد السقاف.

٥٢ - العقد النبوي تأليف شيخ بن عبد الله العيدروس.مخطوط.

٥٣ - غرر البهاء الضوي تأليف خرد باعلوي.

٥٤ ـ النفحة الشذية من الديار الحضرمية تأليف عمر بن أحمد بن سميط.

٥٥ - مجموع كلام ابن شهاب.مخطوط.

٥٦ - مطلب الراغبين في مناقب شهاب الدين مخطوط.

٥٧ - النور السافر لعبد القادر العيدروس.

٥٨ - بشائر وطوالع سعود جمع علوي بن طاهر الحداد مخطوط.

٥٩ - خلاصة المدد النبوي تأليف عمر بن محمد بن حفيظ.

٦٠ - الحضرة الربانية تأليف حلي بن حسن العطاس.

٦١ - حضرة القيام لعمر أبي علامة مخطوط.

٦٢ - تثبيت الفؤاد سيرة الحداد للحساوي.

٦٣ - ظهور الحقائق عبد الله بن علوي العطاس.

٦٤ - مفتاح السرائر تأليف أبي بكر بن سالم.

٦٥ أ العطية الهنية تأليف علي بن حسن العطاس.

٦٦ - القرطاس شرح راتب العطاس تأليف علي بن حسن العطاس.

٦٧ - العقود اللؤلؤية تأليف محمد بن حسين الحبشي.

٦٨ - سلسلة أعلام حضرموت تأليف أبي بكر بن علي المشهور (١٥ عدد).

٦٩ - المواعظ الجلية من أنفاس علي بن محمد الحبشي.

٧٠ - رفع الأستار قصيدة مع شرحها لعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه.

مراجع أخرى :

- طبقات الخواص للشرجي.

- دراسات في التصوف إحسان إلهي ظهير.

- شطحات الصوفية عبد الرحمن بدوي.

- التصوف والتفلسف صابر طعيمة.

- مصرع التصوف للبقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل.

- نشأة التصوف الفلسفي وتطورها عرفان عبدالحميد فتاح.

تحفة الزمن حسين عبدالرحمن الأهدل.

- فتح الباري الحافظ ابن حجر.

- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.

- فتاوى بامخرمه الهجرانية والعدنية.

- فتاوى ابن حجر الهيتمي.

- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة محمد ناصر الدين الألباني.

فهرس المحتويات